الطبعة الثامنة

للناشئين والشباب

روائع الأدب العالمي في كبسولة

2

عرض وتبسيط: مختار السويفي

- كنوز الملك سليمان
- ثورة على السفينة بونتي
- أوليفر تويست
- الرجل الخفي
- مغامرات توم سوير
- كبرياء وتحامل
- روميو وجولييت
- تاجر البندقية
- كما تحب



مكتبة الدار العربية للكتاب

روائع الأدب العالمي في كبسولة 2

لازالت مكتبة الدار العربية للكتاب تحتفي بكاتبها الكبير الراحل الأستاذ مختار السويفي، فتتوالى إصداراتها من روائع الأدب العالمي، معترفة له بذلك الفضل السباق في فتح نوافذ مطلة باتساع ومقدرة أمام هذه الأجيال على أجمل ما أبدع الأدب العالمي في تشكيلته الإنسانية الزاخرة بالعطاء، لكل البشر، في كل زمان، وفي كل مكان...

في هذا الجزء، نقرأ قبسًا من إبداعات هؤلاء العظام: هنري رايدر هاجارد، ووليم بلاي، وتشارلز ديكنز، و هـ. ج. ويلز، ومارك توين، ووليام شيكسبير .. ونقف بيسير من الجهد، الذي تحمل أغلبه الراحل الكبير الأستاذ مختار السويفي، على ملامح من مكامن الإبداع لدى كل منهم، وخصائص النمط الروائي لديهم؛ لنكشف عن بعض جوانب التفرد والتميز الحكائي لديهم؛ لندرك أن العطاء الإنساني نهر بلا ضفتين وبلا مصب في نهاية الطريق، تسري إليه كل روافد العطاء؛ فتنخلع عنها ملامحها الذاتية الضيقة، لترتدي أهابًا جديدًا يخاطب وجدان كل البشر .. وعقل كل البشر.

يأتي هذا الجزء - كغيره من أجزاء السلسلة - دالاً معبرًا وشاهدًا أساسيًا على حق أجيالنا هذه - والأجيال القادمة - في أن تكتشف منابع الإبداع الإنساني، وحقها كذلك في أن تساهم بنصيب غير يسير في هذه المنابع.



مكتبة الدار العربية للكتاب



روائع الأدب العالمي 2

في كبسولة

مكتبة الدار العربية للكتاب
16 عبد الخالق ثروت القاهرة .
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + - ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

رقم الإيداع : 9441 / 1993

الترقيم الدولي : 7-12-5366-977

الطبعة الرابعة : محرم 1423هـ ــ مارس 2002م .
الطبعة الخامسة : شوال 1425هـ ــ ديسمبر 2004م .
الطبعة السادسة : جمادى الآخر 1428هـ ــ يوليو 2007م .
الطبعة السابعة : جمادى الآخر 1431هـ ــ يونيو 2010م .
الطبعة الثامنة : ذو القعدة 1434هـ ــ أكتوبر 2013م .

للناشئين والشباب 2

روائع الأدب العالمي

في كبسولة

عرض وتبسيط : مختار السويفي

- كنوز الملك سليمان
- ثورة على السفينة بونتي
- أوليفر تويست
- الرجل الخفي
- مغامرات توم سوير
- كبرياء وتحامل
- روميو وجولييت
- تاجر البندقية
- كما تحب

الناشر

مكتبة الدار العربية للكتاب

المحتويات

إهــــداء ...

إلى حبيبة الروح ..

زهرة الشباب النقية الطاهرة ..

صاحبة البسمة الوضيئة ..

والطباع النبيلة الطيبة ..

ابنتي هالة ..

رحمها الله وأكرم مثواها ..

مقدمة الطبعة الثانية

لا يسعد الكاتب بشيء قدر سعادته بنجاح أعماله ، فهي سعادة حقيقية صادقة تدفعه إلى بذل المزيد من الهمة لخدمة قرائه ، والمزيد من الاهتمام بتقديم المادة التي يقبل عليها هؤلاء القراء ، طبقًا لما أثبتته نتائج الإقبال وإحصائيات التوزيع .

وكان النجاح الذي حققه الجزء الأول من سلسلة « روائع الأدب العالمي في كبسولة » دافعًا لي وللسادة الناشرين « مكتبة الدار العربية للكتاب » على الإسراع بإصدار الجزء الثاني من هذه السلسلة .. ثم توالى بعد ذلك إصدار الجزءين الثالث والرابع حتى الآن .. وقد تضمنت هذه الأجزاء الأربعة سبعة وثلاثين عملاً من روائع الأدب العالمي ، قدمتها إلى قرائي الكرام من الناشئين والشباب مبسطة وموجزة إيجازًا قد يغنيه عن قراءة هذه الأعمال في أصولها الكاملة ، وقد يغريه أو يدفعه دفعًا إلى قراءة هذه الأصول .

ويفضل من الله وتوفيقه ، وجدت هذه الأجزاء الأربعة طريقها إلى قراء الأدب العالمي ، ومحبيه سواء في مصر أو في أقطار العالم العربي بمشرقه ومغربه ، ونفدت الطبعات الأولى تباعًا ، الأمر الذي دعا الناشرين إلى إصدار هذه الأجزاء في طبعات ثانية تلبية للطلب المستمر عليها .

* * *

في برنامج «بين لغتين» الذي يقدمه « البرنامج الثقافي » بالإذاعة المصرية، سألني الأستاذ معد البرنامج عن منهجي في عرض وتبسيط هذه الأعمال الأدبية العالمية ، وعن المعيار الذي أتخذه عند اختياري لتلك الأعمال .

أما عن المنهج الذي اتبعته في عملية العرض والتبسيط فهو يقوم على تقديم الرواية أو المسرحية بكل تفاصيلها وجميع أحداثها وجميع شخصياتها الرئيسية أو الثانوية بطريقة موجزة وغير مخلّة بصلب العمل الأساسى ، مع الحرص الشديد على عدم إغفال روح المؤلف الأصلي للرواية أو المسرحية وطبيعة أسلوبه الأدبي الذي تميز به .

أما معيار اختيار الأعمال الأدبية العالمية التي يتضمنها كل جزء من أجزاء هذه السلسلة ، فيقوم بصفة أساسية على اختيار الأعمال الأكثر شهرة التي أبدعها أشهر الأدباء والمؤلفين العالميين في مشارق الأرض ومغاربها .

هذا وقد حرصت على أن أقدم موجزًا لجميع المعلومات العامة عن حياة هؤلاء الأدباء والمؤلفين وكفاحهم الحثيث ، حتى وصلوا إلى القمة الرفيعة والمكانة الأدبية التي حققت لهم الشهرة العريضة كأدباء ومؤلفين عالميين . كما أشرت أيضًا إلى أهم أعمالهم الأدبية التي حققت لهم تلك الشهرة وذيوع الصيت في كافة أرجاء العالم .

وهكذا يجد القارئ الكريم عروضًا موجزة عن حياة وأعمال : جول فيرن .. وروبرت لويس ستيفنسون .. وجون شتاينبك .. وتشارلس ديكنز .. ووليم بلاي .. وهـ . ج . ويلز .. ومارك توين .. وجين أوستن .. والكسندر دوماس .. ومؤلف فرعوني مجهول .. ودانييل ديفو .. وأنتوني

هوب .. والدكتور طه حسين .. وليزلي ليفيت .. وبرناردين دي سان بيير .. وجيروم ك. جيروم.. وجاك لندن.. وأوسكار وايلد.. ووليم شيكسبير.

وبكل الاعتماد على الله العلي القدير ، فعشمي كبير في قرائي الكرام من الناشئين والشباب، أن يتقبلوا هذه الأعمال قبولاً حسنًا ، لعلها تؤدي إلى ما أهدف إليه من تيسير الاطلاع على « روائع الأدب العالمي .. في كبسولة » .. أرجو أن تكون حلوة المذاق ..

والله هو الموفق في تحقيق كل قصد نبيل .

كورنيش النيل / القاهرة

مختار السويفي

مقدمة الطبعة الأولى

ما تصورت قط حجم هذا الإقبال الهائل من جانب الناشئين والشباب على قراءة الأعمال الجادة من الأدب العالمي ..

وقد يرجع هذا الإقبال إلى الشهرة العريضة التي تتمتع بها هذه الأعمال أو يتمتع بها الأدباء العالميون الذين أبدعوها ..

ومما لا شك فيه أن هذه القصص والروايات الشهيرة التي يزخر بها التراث الإنساني من الأدب العالمي، تعتبر من ركائز الثقافة العامة التي يتميز بها قراء الأدب ومحبّوه ، مهما اختلفت جنسياتهم ومواقع مواطنهم في أرجاء المعمورة الواسعة .

ولذلك فلم يكن من الغريب أن تنتشر هذه الأعمال الأدبية في أرجاء العالم من أقصاها إلى أقصاها .. وأن تترجم هذه الأعمال إلى عشرات من اللغات التي تتكلمها الشعوب المختلفة في عالم اليوم .

ولم يكن من الغريب أيضًا أن « بعض » هذه الأعمال التي كتبت منذ مئات السنين ما زالت حية حتى اليوم.. وما زالت محل اهتمام قراء الكتب .. وما زالت أيضًا من الموضوعات المحببة التي تعرض على خشبات المسرح وشاشات السينما ومسلسلات التليفزيون .. وذلك لما تتضمنه من قيم وعبر ومثل عليا ، وحكايات وأحداث وشخصيات يستمد منها الإنسان حكمة الحياة ، أو يقضي بها وقتًا حافلاً بالسرور يسهم في تخفيف أعباء الحياة ومسئولياتها الجسام .

ولعل هذا هو الدافع الذي شجَّعني على تقديم هذه الأعمال الأدبية العالمية في هذا الشكل المبسط ، آملاً في تعريف القراء من الناشئين والشباب بهذا اللون العظيم من الأدب العالمي ، حتى تتاح لهم الفرص في المستقبل لقراءة هذه الأعمال كاملة في نصها الأصلي .

وعلى الله قصد السبيل .

مختار السويفي

كورنيش النيل - القاهرة

أول نوفمبر 1993

سيـر هنري رايدر هاجارد

كنوز الملك سليمان

KING SOLIMAN'S MINES.
BY: SIR HENRY DIDER HAGGARD.

وقعت أحداث هذه الرواية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .. حين كانت أفريقيا السوداء ومعظم المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى منعزلة عن العالم .. وكان الأهالي الأفريقيون الذين يعيشون في تلك المناطق النائية يمارسون حياتهم البسيطة التقليدية ، ولا يعرفون شيئًا مما حدث في أوربا وفي العالم الخارجي بصفة عامة من تطورات علمية وصناعية .

« مختار السويفي »

* * *

منذ ثمانية أشهر ، حصلت على ثروة طائلة وقد قضيت نحو خمسة عشر شهرًا في سبيل الحصول على تلك الثروة ، التي عرَّضتني إلى أحداث وأهوال جسام .. ولكني أحب أن أعرفكم بنفسي أولاً :

أنا « آلان كوترمين » .. وأعيش في مدينة « دربان » بإقليم « ناتال » في جنوب شرق أفريقيا .. وأنا في الخامسة والخمسين من عمري .. وبدأت حياتي العملية في سن مبكرة .. حيث عملت كبائع متجول .. ثم اشتغلت في أعمال صيد الحيوانات والأعمال الحربية .. كما اشتغلت أيضًا كعامل مناجم .

وفي يوم ما تعرفت على رجلين جاءا من انجلترا إلى جنوب أفريقيا في مهمة خاصة .. الرجل الأول هو « سير هنري كيرتيس » .. وهو شاب في نحو الثلاثين ، وأعتقد بأنه أضخم وأقوى رجل رأيته في حياتي .. أما الرجل الثاني فهو « الكابتن جون جود » .. وهو يتميز بحسن مظهره وشدة

نظافته ولطفه .. وكان يضع على عينه اليمنى « مُونوكْل » .. وهي عدسة زجاجية مفردة توضع أمام العين لتقوية نظرها .. كما كان يضع في فمه طقمًا من الأسنان الصناعية .

دارت بيني وبين هذين الرجلين أحاديث طويلة .. عرفت منها أن « سير كيرتيس » قد جاء إلى جنوب أفريقيا للبحث عن أخيه « نيفيل » الذي هاجر من انجلترا إلى جنوب أفريقيا بحثًا عن ثروة ، ولكنه اختفى منذ فترة طويلة وانقطعت أخباره .. وقد علم « سير هنري كيرتيس » أني أعرف كثيرًا من أخبار أخيه ، ولذلك فقد لجأ إليَّ لمساعدته في العثور على أخيه المختفي .. أما « الكابتن جون جود » فهو صديق لـ « سير هنري » تطوَّع لمصاحبته في تلك المهمة .

* * *

تذكرت بصعوبة كل ما كنت أعرفه عن « مستر نيفيل » .. وقلت لهما إني عرفت بعض أخباره عن طريق خادم أسود اسمه « جيم » كان يعمل في خدمته ، وصاحبه في آخر رحلة قام بها قبل انقطاع أخباره .. وعلمت من « جيم » هذا أن سيده يزمع القيام برحلة خطرة للحصول على « كنوز الملك سليمان » .

ولما كنت أعرف بعض الحكايات التي يتوارثها الأهالي من قبائل «الزولو» عن هذه الكنوز المخبأة في الجبال البعيدة الواقعة خلف صحراء شاسعة قاحلة ، فقد حذّرت «جيم» من المشاركة في تلك الرحلة التي قد لا يعود منها أبدًا .. إلا أنه لم يسمع كلامي واختفى هو أيضًا .

اندهش « سير هنري » وصديقه « كابتن جود » لدى سماعهما عن «كنوز الملك سليمان » وسألاني هل هي موجودة فعلاً .. فقلت لهما إني لحسن الحظ أعرف الكثير عن تلك الكنوز ولديَّ أسرار لا يعرفها أحد .

أذكر مثلا أن أحد النبلاء البرتغاليين واسمه « جوزيه سيلفستر » قد جاء إلى هذه البلاد منذ نحو عشرين عامًا بقصد الوصول إلى تلك الجبال الواقعة خلف الصحراء .. وهي الجبال التي يقال إن الملك سليمان قد أخفى فيها كنوزه من الماس .. وقد تصادف لي أن قابلت هذا النبيل البرتغالي قبل قيامه بتلك الرحلة المحفوفة بالمخاطر ، وكان يتمتع بصحة جيدة .

وبينما كنت أقوم برحلة صيدٍ في الصحراء ، فوجئت ذات يوم بشبح يزحف على يديه وركبتيه ولا يقوى على النهوض .. وكان هذا الشبح هو «جوزيه سيلفستر » بنفسه .. كان عبارة عن عظام مكسوَّة بالجلد .. أصفر الوجه من شدة المرض .. وأوشكت عيناه أن تخرجا من رأسه .. وكان يهمهم في ضعف : ماء .. شربة ماء بحق الله !

وبطبيعة الحال فقد أعطيته ما طلبه من ماء حتى ارتوي .. وبعد أن استراح قليلاً واستعاد وعيه .. أشار إلى قمم جبال سليمان الواقعة خلف الصحراء والتي تبدو باهتة عند خط الأفق ، وقال لي بصوت واهن ضعيف: يبدو يا صديقي أني أشعر باقتراب الموت .. ولقد كنتَ طيبًا معي وأسديتَ إليَّ صنيعًا جميلاً .. لذلك فسوف أعطيك « الوثيقة » .. ربما تستطيع في يوم ما أن تقهر هذه الصحراء المترامية وتصل إلى تلك الكنوز .

ومد « جوزيه سيلفستر » يده إلى داخل قميصه ، وأخرج كيسًا صغيرًا مصنوعًا من جلد الغزال ، وأعطاني إياه وطلب مني أن أفتحه .. فوجدت داخله قطعة ممزقة من قماش قديم أصفر اللون ، كتبت عليها بضع كلمات بلون أحمر يميل إلى البُنِّي .. وداخل القماش وجدت قطعة من الورق .

وعندئذٍ قال لي « سيلفستر » بصوت أصبح أكثر ضعفًا .. إن هذه الورقة تتضمن ما كتب على قطعة القماش .. وأنه قضى عدة سنوات حتى تمكن من معرفة ما كان مكتوبًا على القماش .. واعترف لي بأنه من أحفاد أحد النبلاء البرتغاليين الذي كان يعيش منذ نحو ثلاثمائة عام .. وكان من أوائل البرتغاليين الذين وصلوا إلى تلك المناطق بقارة أفريقيا .. وكان اسمه أيضًا « جوزيه دي سيلفستر » ..

وأخبرني أيضًا أن جده الأكبر هذا هو الذي كتب هذه الكلمات ، بينما كان يحتضر على سفح أحد هذه الجبال التي لم يصل إليها من قبل رجل أبيض .. وبعد موته أحضر خادمه هذه « الكتابة » وسلمها للعائلة .. وظلت هذه الوثيقة في حيازة العائلة دون أن يهتم أحد بقراءتها إلى أن قام «جوزيه سيلفستر » بقراءتها وفك رموزها وطلاسمها .. وقرر أن يقوم بنفسه بما فشل فيه جده منذ ثلاثمائة عام .. وهو الحصول على كنوز الملك سليمان ليصبح أغنى رجل في العالم .

وبعد أن أعطاني «جوزيه سيلفستر » هذه الوثيقة وأخبرني بقصتها ، تلاشت أنفاسه ومالت في هدوء .. وحفرت له قبرًا عميقًا دفنته فيه .

كان « سير هنري كيرتيس » وصديقه « الكابتن جون جود » ينصتان إلى ما رويته لهما بدهشة شديدة .. وسألاني عما كان مكتوبًا في تلك الوثيقة .. فأخبرتهما بأنها كانت مكتوبة باللغة البرتغالية ، وقد استعنت برجل برتغالي كان مخمورًا لمساعدتي في ترجمة ما جاء في تلك الوثيقة إلى اللغة الإنجليزية .. وهذا هو نص الوثيقة بالكامل :

«أنا جوزيه دي سيلفستر .. أموت الآن من شدة الجوع داخل كهف في الجانب الشمالي من الجبال التي أطلقت عليها اسم « جَبَلَي صدر شيبا » ..

ويقع الكهف في الجبل الجنوبي من هذين الجبلين .. وأنا أكتب هذه الوثيقة في سنة 1590م .. أستخدم قلمًا مصنوعًا من قطعة من العظام .. أكتب به على قطعة من القماش مزقتها من قميصي .. أما الحبر الذي أكتب به فهو قطرات من دمي .. وعلى من يعثر على هذه الوثيقة أن يقدمها إلى ملك البرتغال لعله يأمر بإرسال جيش للقيام بالمهمة .. وإذا استطاع هذا الجيش أن يجتاز فيافي الصحراء ويهزم قبيلة «كوكوانا» ، فسوف يصبح ملك البرتغال أغني ملك على ظهر الأرض .. ويجب على الملك أن يرسل مع الجيش بعض رجال الدين ، لأن رجال قبيلة «كوكوانا» يعرفون السحر وأساليب الشيطان وفنونه .. ولقد رأيت بعيني ملايين من أحجار الماس الثمينة ، مخزّنة في غرفة كنوز الملك سليمان التي تقع خلف «الموت الأبيض» .. ولكن الساحرة الصيَّادة العجوز «جاجول» خدعتني ، ولم أستطع الحصول من هذه الكنوز على شيء ، سوى أن أخرج بحياتي سالمًا .. وعلى كل من سوف يذهب إلى هـذا المكان بناءً على نصيحتي وطبقًا لخريطتي ، أن يتسلق القمة الجليدية للجبل الأيسر من «جَبَلَي صدر شيبا» حتى يصل إلى ذروتها وأعلى مكان فيها .. وعند الجانب الشمالي سيجد الطريق العظيم الذي مهده سليمان بنفسه .. وعلى مبعدة مسيرة ثلاثة أيام من هذا الطريق ، سيصـل إلى « قصر الملك » .. وعليه حينئذ أن يقتل الساحرة «جاجول» وأن يصلِّي من أجلي .. وداعًا .. جوزيه دي سيلفستر».

وبعد أن قرأت عليهما نص تلك الوثيقة .. سألني «سير هنري كيرتيس» عما إذا كنت أعرف الطريق إلى تلك الجبال التي ذهب إليها أخوه .. فأجبته بالإيجاب .. وهنا طلب مني أن أكون دليله في رحلة البحث عن أخيه في تلك الجبال البعيدة .. وقال لي بصراحة إنه لا يطمع في تلك الكنوز .. وإننا

إذا عثرنا عليها فسوف تكون مناصفة بيني وبين «الكابتن جود» .. وأنه سيتكفل بجميع مصاريف ونفقات الرحلة .

وقبل أن أوافق على هذا الطلب ، حذرت «سير هنرى» وصديقه من أن الرحلة حافلة بالمخاطر .. وقد لا نعود منها أبدًا .. وأننا قد نلقى نفس المصير البائس الذي وقع فيه «جوزيه دي سيلفستر» منذ ثلاثمائة عام .. وحفيده «جوزيه سيلفستر» منذ نحو عشرين عامًا .. كما وقع فيه «مستر نيفيل» الذي انقطعت أخباره ..

ولكن «سير هنرى» قال في هدوء : علينا أن نجرب حظنا ..

وعندئذٍ بدأت الاستعداد للقيام بتلك المهمة الخطرة ..

* * *

اشترينا عربة وبعض المعدات الأخرى .. وكان «سير هنرى» قد أحضر معه من إنجلترا عددًا كبيرًا من البنادق والمسدسات ، فأخذنا معنا عشر بنادق وثلاثة مسدسات وكمية مناسبة من الذخيرة .

واتفقت مع سائق ودليل من قبائل الزولو هما «جوزا» و «توم» .. وكنت أريد الاستعانة أيضًا بثلاثة من الخدم الأشداء الأقوياء الشجعان .. ولكني عثرت على اثنين فقط تتوافر فيهما هذه الشروط وهما: «خيفا» و«فنتفوجل».

وفي مساء اليوم السابق على السفر جاءني رجل من الزولو اسمه «أمبوبا» ، وهو شاب طويل القامة قوي الجسم لطيف المظهر ، ويبلغ نحو الثلاثين من عمره .. وذكَّرني هذا الرجل بنفسه ، حيث اشترك معي في إحدى المعارك الحربية التي قادها «اللورد شملز فورد» ، وكنت أعمل كدليل يصاحب تلك الحملة العسكرية .

قال « أمبوبا» إنه سمع أننا ننوي القيام برحلة عظيمة نحو الشمال .. وهو يريد أن يصحبنا في تلك الرحلة ولو دون أجر .. لأنه كما قال رجل شجاع يحب مواجهة الصعاب والمخاطر .

كان « أمبوبا » ذا جسم ضخم يماثل جسم « سير هنري » .. لذلك فقد أعجب به «سير هنرى» وقرر أن يتخذه كخادم خاص له أثناء الرحلة .. وقَبِلَ «أمبوبا» هذا العرض .

* * *

كانت رحلة طويلة .. شاقة ومجهدة .. قطعنا فيها نحو ثلاثة آلاف ميل .. بدأناها من مدينة «دربان» في نهاية شهر يناير .. حتى وصلنا إلى مشارف قرية «سيتاندا» في الأسبوع الثاني من شهر مايو ..

وأنا لا أريد أن أصف هنا جميع التفاصيل والأحداث التي صادفتنا خلال تلك الرحلة ، ولكني أذكر أن «كابتن جود» كاد يلقي مصرعه تحت أقدام فيل هائج ، لولا أن سارع «خيفا» الشجاع بغرس رمحه في خرطوم الفيل ، فازداد هياج الفيل المتوحش ، وأمسك «بخيفا» وداسه بقدميه حتى مات المسكين مضحيًّا بحياته في سبيل إنقاذ الكابتن . وبعد أن أطلقنا بنادقنا على الفيل الهائج حتى أرديناه قتيلاً ، قال « أمبوبا » إن « خيفا » قد مات ميتة الرجال الشجعان .

وكانت قرية «سيتاندا» تقع على حافة الصحراء الشاسعة التي تمتد وكأنها بلا نهاية .. وهي قرية صغيرة تتناثر فيها أكواخ الأهالي مع بعض حظائر الماشية ، وبعض الحقول المزروعة بالحبوب .

وعند حافة تلك الصحراء ، تذكرت ما حدث منذ عشرين عامًا حينما شاهدت المسكين «سيلفستر» وهو يزحف على يديه وقدميه وقد ساءت حاله بعد محاولته الفاشلة في الوصول إلى «كنوز الملك سليمان » .

كان الجو صافيًا ، ولذلك فقد استطعت أن أرى التكوينات الزرقاء الباهتة لقمم جبال سليمان عند الأفق البعيد .. وعندئذ أشرت إلى تلك القمم البعيدة وقلت لـ « سير هنري » : ها هي الجبال عند الأفق .. إنها تبدو كجدار عالٍ يحيط بكنوز الملك سليمان .. ويعلم الله إذا كنا سنستطيع أن نتسلق هذا الجدار أم سنرجع خائبين .

ونظر «سير هنرى» إلى تلك الجبال البعيدة التي تقع في آخر تلك الصحاري القاحلة ، وقال إن أخاه هناك ولابد أن يعثر عليه . وهنا قال «أمبوبا» إن الصحراء واسعة جدًا وليست فيها قطرة ماء .. وإن الجبال عالية جدًا ومغطاة بالثلوج .. ثم وجَّه كلامه إلى «سير هنري» وقال : إذا كنت يا سيدي تنوي اجتياز تلك الصحراء ، وتصعد فوق قمم تلك الجبال لتبحث عن أخيك .. ربما سأبحث أنا أيضًا عن أخ لي وراء تلك الجبال ..

لم أفهم ما كان يقصده «أمبوبا» بهذا الكلام .. وسألته إن كان يعرف شيئًا عن تلك الجبال البعيدة ، فقال إنه يعرف القليل .. فهناك أرض غريبة تعيش فيها الساحرات والأشياء الجميلة .. وفيها رجال شجعان وأشجار وجداول مياه وثلوج .. وهناك أيضًا طريق عظيم أبيض اللون .

* * *

وفي اليوم التالي أعددنا عدتنا وجهَّزنا أنفسنا لبدء الرحيل .. آملين في اجتياز تلك الصحراء القاحلة حتى نصل إلى جبال سليمان .. وكانت خطتنا

أن نواصل السير أثناء طراوة الليل ، وأن نستريح أو ننام خلال قيظ النهار .
وقبل أن نخطو الخطوة الأولى في رحلتنا ، صاح بنا «سير هنري» بصوته العميق وقال : أيها الرجال .. نحن مقدمون على رحلة من أغرب رحلات الإنسان على وجه الأرض .. وعلينا أن نصلي لله الذي بيده مقادير البشر ، لكي يرشدنا ويبارك خطانا .

وهكذا تحركنا وبدأنا نخوض في الرمال ..

لم يكن معنا دليل يرشدنا سوى قمم تلك الجبال البعيدة ، والخريطة القديمة التي رسمها «جوزيه دي سيلفستر» منذ ثلاثمائة عام .. وإذا قدر لنا أن نعثر على «البئر ذي المياه الفاسدة» التي تتوسط الصحراء طبقًا لما هو مرسوم بالخريطة ، فسوف يكون هذا معناه أننا سنموت عطشًا .. وأنا شخصيًّا كنت أعتقد بأن العثور على مثل هذه البئر وسط هذا البحر من الرمال الممتدة بلا أول ولا آخر يعتبر أمرًا بعيد الاحتمال .

وواصلنا المسير صامتين في ضوء القمر .. يغمرنا إحساس كثيف بالوحدة والشعور بالانعزال عن العالم .. ومرت الأيام والليالي .. ولم يكن هناك أي أحياء غيرنا في هذا الاتساع الشاسع .. لا حيوان ولا طير .. سوى أسراب الذباب التي كانت تهجم علينا كالجيوش الجرارة .

ونفد كل ما حملناه معنا من المياه .. وأصبحنا نعاني العطش الشديد وحرارة الشمس تكاد تشوي لحم أجسادنا .. ولا أدري كيف تحملنا كل هذا العذاب دون أن نموت .. وأخيرًا ارتمينا على الرمال ممددين .. ومصيرنا معلق بين الحياة والموت .

* * *

وفجأة .. هبَّ «فنتفوجل» واقفًا ، ورفع أنفه نحو السماء ، وأخذ يتشمم الهواء في مختلف الأنحاء ، ثم قال بصوت واثق : إني أشم رائحة الماء .. هناك ماء في مكان قريب من هنا !

ونظرنا حولنا في كل الاتجاهات .. فلم نر سوى «جَبَلَي صدر شيبا» اللذين يبعدان عنا بنحو خمسين ميلاً .. ويبعد كل جبل منهما عن الجبل الآخر مئات الأميال ويحصران بينهما سلسلة جبال سليمان .. وأخيرًا قال «سير هنري» : ربما يوجد الماء على قمة هذا التل القريب .

وصعدنا صاغرين إلى أعلى التل .. وكم كانت المفاجأة مذهلة .. لقد عثرنا على ماء يملأ فجوة عميقة من شقوق التل .. فشربنا وارتوينا وملأنا بطوننا عن آخرها ، واستعدنا قدرتنا على مواصلة الرحيل عند بزوغ القمر.

وفي الثالث والعشرين من شهر مايو ، وصلنا إلى سفح الجبل الذي تشير إليه الخريطة .. ولحسن حظنا عثرنا على بعض أشجار الفواكه البرية .. ثم بدأنا الصعود إلى قمة الجبل .. وكلما صعدنا كانت البرودة تزداد وتزداد ، حتى أصبحنا نعاني من شدة البرد القارس عندما وصلنا إلى منطقة الجليد .. وهنا قال «الكابتن جود» بصوت واهن : أعتقد بأننا الآن بالقرب من الكهف الذي كتب فيه «جوزيه دي سيلفستر» رسالته ورسم خريطته .

وكان من الواضح أننا إذا لم نعثر على هذا الكهف قبل حلول الظلام ، فسوف نموت متجمدين في تلك الثلوج .. وفجأة صاح «أمبوبا» بفرح : هذا هو الكهف .. ها هو مدخله هناك ..!

كانت الشمس قد غربت ولم تترك لنا سوى ظلام دامس حين وصلنا زاحفين إلى فتحة الكهف .. وتسللنا إلى الداخل واحدًا بعد الآخر ، وبدأنا

نستريح ونلتقط أنفاسنا .. وحتى نلتمس بعض الدفء ، تجاورنا وتلاصقت أجسادنا ، وشرعنا في النوم .

وعندما بدأ ضوء الشمس يتسلل إلى داخل الكهف ، اكتشفنا أن «فنتفوجل» قد مات من شدة البرد .. فتركناه حيث كان راقدًا ، والحزن عليه وعلى أنفسنا يكاد يمزقنا .

ثم اكتشفنا شيئًا محزنًا آخر .. رأينا جثة «جوزيه دي سيلفستر» الذي مات منذ ثلاثمائة عام .. كان يبدو جالسًا مستندًا إلى جدار الكهف ، ورأسه مائل على صدره ، وذراعاه الطويلتان مسترخيتان إلى جانبيه .. وكانت بشرته الصفراء قد التصقت بعظامه ، وكان جسده كله مجمدًا وجافًا ..

تركنا الجثتين في مكانيهما داخل الكهف ، ليبقيا هناك إلى ما لا نهاية .. وبدأنا نزحف خارجين إلى ضوء الشمس الساطع ، ونحن نسأل أنفسنا : ترى .. بعد كم من الساعات سنلقى نحن مثل هذا المصير التعس ..؟!

بدأت الشبورة تنقشع وتتلاشى رويدًا .. وبدأت الأشياء تبدو بوضوح .. ونظرنا على أسفل الجبل فرأينا مجرى صغيرًا من الماء الرائق .. ومساحة هائلة مغطاة بالعشب الأخضر .. وعلى جانب غدير الماء ، رأينا مجموعة من الغزلان الجبلية الكبيرة وقد وقفت تشرب .

وبطبيعة الحال ، فقد اصطدنا غزالاً وأقمنا وليمة فاخرة .. وشربنا حتى ارتوينا واستعدنا أرواحنا ، وعادت إلينا قوانا وحيويتنا ، وبدأت معالم المكان تتضح أمامنا أكثر وأكثر .. فهناك الوادي الأخضر الواسع .. وهناك غابة كثيفة .. ونهر كبير ينساب في مجراه الفضي .. ومراعٍ خضراء شاسعة ترعى فيها مواشٍ وأبقار لا حصر لها .. وحقول مزروعة بالحبوب .. كان المنظر جميلاً لم أرَ مثله في حياتي !

وكانت المفاجأة حين رأينا طريقًا رائعًا منحوتًا في صخر الجبل ، ويبلغ اتساعه نحو خمسين قدمًا .. أخيرًا .. عثرنا على طريق سليمان !

كانت بعض أجزاء الطريق منحوتة في صخر الجبل .. وقد نحتت على الجدران من الناحيتين مناظر غريبة لرجال مسلحين يقودون مركبات حربية .. ومناظر معركة .. ومناظر لجماعات من الأسرى .

وسرنا في طريق سليمان حتى وصلنا إلى غابة صغيرة يتخللها غدير من الماء الرائق .. وهناك جلسنا لنستريح ولنتناول طعامنا .. ثم أشعلنا الغلايين وبدأنا ندخن .

وكان « الكابتن جـود » جالسًا على شاطئ الغـدير يجفف جسمه بعد أن أخذ حمامًا .. ولم يكن يرتدي سوى قميصه بعد أن خلع جميع ملابسه الأخرى ليغسلها في ماء الغدير .. وفجأة ، رأينا سهمًا ينطلق مثل خط من الضوء مر بجانب رأسه .. ثم ظهرت أمامنا مجموعة من الرجال !

كانوا طوال القامة بشكل أكثر من المعتاد ، تلمع بشرتهم السوداء كالذهب ، وفي مقدمتهم يقف فتى صغير لا يتجاوز سبعة عشر عامًا .. وكان ما زال ممسكًا بالقوس الذي رمى به سهمه الطائش .

وفي الحال أمسك كل من «السير هنري» و «الكابتن جود» ببندقيته وصوبها نحو صدور الأهالي الذين بدوا كما لو كانوا لا يعرفون ما هي البنادق ، فقد ظلوا يتقدمون نحونا بلا خوف من إطلاق النار .. وعندئذٍ صحت في رفاقي : أخفضوا بنادقكم ودعوني أتصرف !

وبدأت التفاهم مع هؤلاء الرجال بلغة الزولو .. وقلت لهم إننا غرباء وقد جئنا نريد السلام .. ولكن رجلاً عجوزًا قال على الفور : هذا كذب .. فالغرباء لا يستطيعون اجتياز الجبال وعبورها .. والغرباء غير مسموح لهم

بأن يعيشوا على أرض «كوكوانا» .. هذا هو قانون الملك .. وعليكم أن تستعدوا للموت !

وتقدموا نحونا وهم يشهرون سكاكينهم ..

وكعادته حين تضطرب أعصابه .. أخرج «الكابتن جود» من فمه طاقم أسنانه العلوي ، ثم أدخله في فمه مرة أخرى .. وكانت هذه الحركة ضربة حظ لا مثيل لها .. فقد صاح الرجال المهاجمون صيحة رعب ، وتراجعوا إلى الخلف وقد جحظت عيونهم من شدة الخوف والذعر !

وأدركنا أن المهاجمين قد خافوا من طاقم أسنان الكابتن ، فطلبت منه أن يعيد إخراج طاقم الأسنان وإدخاله إلى فمه مرة أخرى .. وعندما فعل الكابتن ذلك ازداد رعب الرجال وأخذوا ينتفضون خوفًا وهلعًا .. وصرخ الفتى الصغير الذي كان يتقدم الرجال صرخة مدوية .. وتحامل الرجل العجوز على نفسه وسألني وهو يرتجف : إنكم لستم من البشر .. هل يمكن أن تلد النساء رجلاً له عين مستديرة [مشيرًا إلى المونوكل] تلمع في ضوء الشمس .. وله أسنان تخرج من فمه وتدخل ..؟!

وعندئذٍ انتهزت هذه الفرصة فقلت لهم فورًا : لقد جئنا من عالم آخر .. جئنا من النجم الكبير الذي يلمع في السماء ليلاً !.. وسوف نقيم عندكم لفترة قصيرة ولنمنحكم البركة أيضًا .. والآن .. دعونا نعاقب اليد التي رمت السهم على هذا الرجل الذي تخرج أسنانه من فمه وتدخل !

فقال الرجل العجوز : نرجوكم أن تعفوا عنه .. إنه ابن الملك !

وانتهزت هذه الفرصة أيضًا لأبيِّن لهم مدى قوتنا .. فأشرت إلى «أمبوبا» وقلت له : إعطني الماسورة المسحورة التي تتكلم .. فأعطاني البندقية التي

كان يحملها ، وقلت لهم وأنا أشير إلى حيوان كان يقف على بعد نحو سبعين مترًا : هل يستطيع ولد ولدته امرأة أن يقتل هذا الحيوان البعيد بمجرد إحداث صوت ..؟!

قال المحارب العجوز : لا يمكن .. هذا مستحيل يا سيدي !

وعندئذٍ صوَّبت البندقية نحو الحيوان وأطلقتها فخرَّ صريعًا على الفور .. فازداد الرجال رعبًا وخوفًا .. وعلت الدهشة وجوههم المذعورة .. وقال العجوز في النهاية : لقد اقتنعنا بكم .. إن جميع الساحرات في قبيلتنا لا يستطعن أن يفعلن شيئًا كهذا .. الآن .. اسمعوا يا أبناء النجم الساطع .. يا أبناء العيون التي تلمع في ضوء الشمس والأسنان التي تخرج من الفم وتدخل .. يا من تستطيعون القتل بهذا الصوت المرتفع كالرعد .. أنا اسمي «إنفادوس» .. وأنا ابن «كافا» الذي كان ملكًا على شعب «كوكوانا» .. أما هذا الشاب فاسمه «سكراجا» .. وهو ابن «توالا» الملك العظيم .. سيد شعب «كوكوانا» وحارس الطريق العظيم .. وباعث الرعب في قلوب أعدائه .. وقائد مائة ألف من الجنود الشجعان .. «توالا» المرعب .. صاحب العين الواحدة !

قلت للرجل العجوز إننا نريد أن نقابل الملك «توالا» .. فالتفت الرجل العجوز إلى رفاقه وأمرهم بحمل جميع أمتعتنا وحاجياتنا فيما عدا البنادق التي لم يجسروا على الاقتراب منها أو لمسها .. وحملوا أيضًا ثياب «الكابتن جود» التي كانت قد خلعها ليغسلها .. ولكن الكابتن صاح بهم أن يتركوا ملابسه ليرتديها .. ولكن الرجل العجوز قال في دهشة : لا يا سيدي .. هل يريد سيدي أن يغطي ساقيه البيضاوين ؟.. هل فعلنا شيئًا شريرًا حتى يقوم سيدي بتغطية ساقيه ؟!



وهنا تقدم «سير هنري» إلى «الكابتن جود» وقال له : لقد ظهرت في هذه البلاد بشخصية خاصة متميزة .. ويجب عليك أن تستمر في تمثيل هذه الشخصية .. ومن الآن فصاعدًا يجب أن تبقى هكذا .. لا تلبس سوى القميص والحذاء .. وتظل محتفظًا بالمونوكل فوق عينك .. لأنك إذا غيَّرت أي شيء من مظهرك هذا .. فسوف يتوقفون عن تصديقنا .. وسيقتلوننا جميعًا في لحظة واحدة !

* * *

وأثناء الطريق دار بيني وبين «إنفادوس» العجوز حديث طويل بلغة الزولو .. سألته : من ذا الذي بنى هذا الطريق يا «إنفادوس» ؟ فقال : لقد بُني في عصور قديمة يا سيدي .. ولا أحد يعرف كيف ولا متى بُني .. حتى الساحرة العجوز «جاجول» التي عاشت مئات السنين وظلت تعيش حتى الآن لا تعرف ذلك .

وظللت أوجه أسئلتي إلى «إنفادوس» حتى عرفت منه الكثير من الأسرار .. عرفت أن جنود الملك «توالا» يعدون بالآلاف .. وأن حربًا أهلية قد دارت رحاها بين العائلة المالكة في قبيلة «كوكوانا» .. وكان سبب هذا النزاع هو عادات وتقاليد القبيلة التي تقضي بأن أية امرأة إذا ولدت طفلين توأمين فيجب أن يُقتل الطفل الأضعف .

وكان للملك السابق «كافا» أخ توأم ولد معه .. ولكن أم الملك أخفت وليدها الآخر حتى لا يتعرض للقتل .. وعندما مات الملك «كافا» ، تولى العرش أخوه الأصغر «إيموتو» .. ولكن «جاجول» الساحرة العجوز المرعبة ، أيدت «توالا» الأخ التوأم للرجل الميت .. وقام «توالا» بقتل الملك

«إيموتو» وتولّى العرش بدلاً منه .. ولكن أرملة «إيموتو» هربت وحملت معها طفلها الرضيع «أجنوسي» .. ومنذ ذلك الحين لم يرها أحد .

فسألته باهتمام : معنى ذلك إذا كان «أجنوسي» لم يزل حيًّا .. فسوف يكون هو الملك الحقيقي لشعب «كوكوانا»..؟

فأجاب على الفور : هذا صحيح .. وهناك علامة «الوحش الزاحف» التي نوشم بها الابن الأكبر للملك حين يولد .. فإذا كان «أجنوسي» حيًّا فسوف يصبح الملك صاحب الحق الشرعي على شعب «كوكوانا» .. ولكن من المؤكد أن «أجنوسي» قد مات .

كان «أمبوبا» يسير خلفي مباشرة .. وسمع كل هذا الحديث الذي دار بيني وبين «إنفادوس» .. ولاحظت أنه مهتم بسماع هذا الحديث كلمة كلمة..

ونظرًا لأن «إنفادوس» كان قد أرسل بعض الرسل للإعلان عن قدومنا .. فقد لاحظنا ونحن نقترب من القرية أن هناك فرقًا كثيرة من الرجال كانت تتجمع على جانبي الطريق ، وهم يحملون في أيديهم حرابًا ذات سنون لامعة ودروعًا رمادية اللون .. وأفهمني «إنفادوس» أن هؤلاء الجنود اسمهم «الرماديون» ، وهم من خيرة الجنود في شعب «كوكوانا» .. وأنه هو القائد الآمر لهؤلاء الرماديين .

واجتزنا القرية حتى أصبحنا على مشارف مدينة «لوو» عاصمة أرض «كوكوانا» .. وهي مدينة صغيرة تقع بالقرب من تل له شكل غريب يشبه حدوة الحصان أو شكل هلال القمر .. وخلف المدينة كانت هناك ثلاثة من الجبال لها شكل وتكوين غريب ، وتتوج قممها الثلوج .. ولاحظ «إنفادوس» أننا نركز أنظارنا على تلك الجبال .. فقال يوضح لنا أمرها : إنها

جبال مملوءة بالكهوف .. وعندها ينتهي الطريق .. وجميع ملوكنا الذين ماتوا مدفونون هناك .. في أرض الموت !

وهنا قلت لرفاقي باللغة الإنجليزية : إن كنوز الملك سليمان مخبأة في تلك الجبال ..

وكان «أمبوبا» واقفًا بالقرب مني وهو مستغرق في تفكير عميق ، ولكنه قال فجأة : نعم ... الكنوز موجودة هناك .. وما دمتم تحبون هذه الأشياء فسوف تحصلون عليها .

واستمر سيرنا وسط صفوف لا حصر لها من الأكواخ .. إلى أن وصلنا إلى مجموعة صغيرة من الأكواخ بنيت على شكل دائرة تتوسطها ساحة واسعة .. وأعدوا لنا كوخًا مستقلًّا لكل واحد منا .. وزودونا بالطعام وبالماء .. ولكننا آثرنا أن نبقى جميعًا في كوخ واحد حتى نكون مجتمعين معًا عند حدوث أي خطر .. ثم استغرقنا بعد ذلك في نوم عميق ؛ لأننا كنا في غاية الإرهاق والتعب ..

* * *

وفي صباح اليوم التالي ، ذهبنا لمقابلة الملك «توالا» .. الذي كان يعيش في كوخ كبير شديد الضخامة .. أمامه ساحة واسعة اصطف فيها آلاف من الجنود مدججين بالرماح والدروع ، وقفوا جامدين كما لو كانوا قد نُحتوا من صخور صلبة .. وجلسنا على بعض المقاعد أمام بوابة الكوخ الملكي انتظارًا لظهور الملك وحاشيته .

وعندما فُتحت بوابة الكوخ ، ظهر رجل ضخم الجثة كالعملاق ، وخلفه صبي صغير هو «سكراجا» ومخلوق آخر غريب يبدو كما لو كان قردًا مجففًا ، يرتدي ملابس من فراء الحيوانات .

كان الملك «توالا» ذا وجه مخيف يثير الرعب .. وله شفتان غليظتان وأنف ضخم مفلطح وعين واحدة يطل منها الشر .. وكان يزين رأسه بعديد من الريش الأبيض ، وجسمه كله مغطى بدرع لامع ، ويمسك في يده اليمنى رمحًا ضخمًا ، وحول رقبته حلقة سميكة من الذهب .. وفي منتصف جبهته تتلألأ ماسة ضخمة لم نر مثلها من قبل .

ولكي يرينا الملك قوته وجبروته ، أمر بإعدام جندي لا يحمل درعه بطريقة جيدة .. فتقدم ابنه «سكراجا» وغرس رمحه في قلب الجندي المسكين .. وهنا سمعنا صوتًا حادًا يخرج من المخلوق الذي يشبه القرد المجفف : خذوا هذا القتيل بعيدًا .. وغطوا آثار الدماء .. قال الملك أوامره .. وأُطيعت أوامر الملك !

أوشك «السير هنري» أن ينهض محتجًا على تلك القسوة الظالمة .. ولكني أشرت إليه بأن يلزم الصمت حتى لا نتعرض للمشاكل .. وأخيرًا تحدث إلينا الملك قائلاً : هل جئتم حقًا من النجوم البعيدة ؟.. هل تعرفون أني قادر على جعل مصيركم مثل هذا الجندي الذي مات في لحظة خاطفة..؟!

وعندئذٍ قلت للملك وأنا أضحك ساخرًا : ألم يخبروك بأننا قادرون على القتل ونحن نقف في مكان بعيد ..؟!

قال الملك أخبروني بذلك ولكني لا أصدقه .. أروني كيف تقتلون رجلاً من هؤلاء الجنود الواقفين هناك .

قلت : نحن لا نقتل الرجال إلا إذا كان ذلك من أجل عقاب عادل .. أحضر لنا فيلاً أو أي حيوان آخر ، ودعه يقف عند تلك البوابة البعيدة .. وسترى بنفسك أني سأسقطه ميتًا وأنا واقف في مكاني هنا .

وأمر الملك بإحضار فيل .. وهمست إلى «السير هنري» بأن عليه أن يطلق النار على الفيل فور ظهوره عند البوابة حتى يعرف الجميع أنني لست الساحر الوحيد في جماعتنا .. وما إنْ ظهر الفيل عند مدخل البوابة البعيدة ، حتى صوَّب «السير هنري» بندقيته نحوه ، وأطلق النار فسقط الفيل صريعًا .. وانطلقت على الفور همهمات التعجب من آلاف الجنود ومن جميع الموجودين الذين شاهدوا ما حدث .

وظهرت ملامح الخوف على وجه الملك ، فانتهزت هذه الفرصة وقلت له انظر الآن .. إني أستطيع أن أكسر رمحك وأنا واقف في مكاني .. وصوَّبت بندقيتي نحوه وأطلقتها فتناثر سن الرمح إلى قطع صغيرة .. وانطلقت همهمات الدهشة والتعجب مرة أخرى .

وهنا رأينا المخلوق الذي يشبه القرد المجفف يزحف على أربع من مكانه في الظل ، واتجه إلى حيث كان الملك ..وعندئذ هبَّ هذا المخلوق الغريب واقفًا على قدميه الخلفيتين وأزاح الغطاء عن وجهه .. وكم كانت دهشتنا حين رأينا وجه امرأة عجوز معمِّرة ، كله تجاعيد متغضنة ، وليس في رأسها شعرة واحدة .. كانت هذه المرأة هي «جاجول» الساحرة الشهيرة الشريرة التي لا يعرف عمرها أحد .. والحقيقة أن الخوف قد اعترانا جميعًا بسبب منظرها المرعب .. ومدت «جاجول» عظام يدها حيث تظهر أصابعها ذات الأظافر الطويلة ووضعتها على كتف الملك «توالا» وقالت :

«إسمع أيها الملك .. اسمعوا يا كل الموجودين هنا .. إني أرى أنهارًا من الدم ستسيل في كل مكان .. وأنتم أيها الرجال البيض القادمون من النجوم البعيدة .. هل تبحثون عن شخص مفقود كما تقولون ؟ .. لن تجدوه هنا .. فمنذ آلاف السنين لم تطأ هذه الأرض قدم بيضاء .. وإذا كنتم قد جئتم من

أجل الأحجار البيضاء ، فسوف تعثرون على تلك الأحجار بعد أن يجف الدم.. [ثم تقدمت إلى «أمبوبا» وقالت له] ..وأنت يا صاحب الوجه الأسود الفخور .. مَنْ أنت ؟.. إني أعرفك وأستطيع أن أشم رائحة الدماء التي تجري في قلبك وعروقك .. اخلع ملابسك لأرى!»..

وعلي الفور سقطت الساحرة العجوز مغشيًا عليها ..

وقام الملك وكل عضو فيه يرتعش .. وأصدر أمرًا بانصراف الجنود .. وقال لنا في صوت خافض : اذهبوا في سلام .. الليلة ستقام حفلة رقص أدعوكم لمشاهدتها .. وغدًا سوف أفكر ..!

وقام «إنفادوس» بمصاحبتنا حتى وصلنا إلى كوخنا ..

* * *

تلاحقت بعد ذلك أحداث مهمة .. وقال لنا «إنفادوس» بصراحة إن الملك «توالا» مستبد ظالم .. وأن الأرض تصرخ من قسوته وشهوته للقتل.. وإن حفلة الرقص التي سيقيمها الليلة ستشترك فيها الساحرات الصيّادات .. وستقوم الساحرات بشَمٍّ بعض الحاضرين لاختيارهم للقتل.. فإذا كان الملك يريد أن يستولي على القطيع المملوك لأحد الرجال .. أو يريد أن يستولي على زوجة أحد الرجال .. أو إذا كان يخشى من سلطة رجل معين ، فإن الساحرات الصيّادات اللواتي درّبتهن «جاجول» سيقمن بشم هؤلاء الرجال .. وهذا معناه أن الساحرات قد اختارت هؤلاء للقتل فيقتلون في الحال .. إن الأرض كلها تعاني من ظلم «توالا» وأساليبه الدموية .

وعندما سألت «إنفادوس» لماذا لا تتخلصون من هذا الملك الظالم ؟. قال: إننا إذا قتلنا «توالا» فسوف يتولى العرش ابنه «سكراجا» ، وهو يحمل

قلبًا أكثر سوادًا من قلب أبيه .. [ثم قال بعد فترة صمت قصيرة] .. لو لم يقتل الملك «إيموتو» .. أو لو كان ابنه «أجنوسي» مازال حيًا ، لكان الأمر مختلفًا .. ولكن «إيموتو» و«أجنوسي» قد ماتا ولم يعد هناك أمل .

وهنا هبَّ «أمبوبا» واقفًا وتقدم إلى «إنفادوس» وقال له وسط دهشتنا جميعًا : لا يا عمي «إنفادوس» .. إن «أجنوسي» لم يمت .. إنه ما زال حيًّا .. أنا «أجنوسي» يا عمي .. لقد هربت أمي بعد مقتل زوجها الملك «إيموتو» وحملت معها ابنها .. واستطاعت أن تعبر به الجبال والصحاري .. وعاشت في أرض نبتت فيها الأعشاب والأشجار .. ولقَّنت ابنها كل المعلومات عن وطنه الأصلي وعن مكانته في هذا الوطن .. لقد عشت يا عمي واستطعت أن أكسب عيشي بنفسي .. عملت خادمًا .. وعملت جنديًّا واشتركت في معارك وحروب كثيرة .. وكنت أحلم دائمًا بالعودة إلى وطني لأطالب بحقي حتى لو لقيت حتفي .. وعندما تقابلت مع هؤلاء الرجال البيض الشجعان ، وعلمت أنهم سيذهبون إلى وطني في تلك الأرض البعيدة ، التحقت بخدمتهم وجئت معهم ..!

كان « إنفادوس » ينصت إلى هذا الكلام وهو مذهول لا يستطيع أن يصدق نفسه .. ولكنه تماسك وقال : إذا كنت أنت «أجنوسي» كما تقول .. فهيا اخلع ملابسك لأرى شيئًا ..

وقام «أمبوبا» وخلع جميع ملابسه وأصبح عاريًا كما ولدته أمه .. وأشار إلى وشم «الوحش الزاحف» الذي كان مرسومًا حول خصره .. وعندما تأكد «إنفادوس» من هذا الوشم ، خرَّ راكعًا على ركبتيه وصاح في فرح : أنت ابن أخي .. أنت «أجنوسي» .. أنت الملك !

وقال «أمبوبا» : انهض يا عمي .. فأنا لم أُصبح بعد ملكًا .. ولكن بمساعدتك ، ومساعدة هؤلاء الرجال البيض الشجعان من أصدقائي .. سأصبح ملكًا على تلك البلاد وأستعيد عرشي الذي اغتصبه «توالا» .. فهل ستضع يدك في يدي ، وتصبح رجلي الذي أعتمد عليه ..؟!

فتقدم «إنفادوس» إلى «أمبوبا» [أو بالأحرى إلى أجنوسي] وخرَّ على ركبتيه مرة أخرى ووضع يده في يدي « أجنوسي » وقال : أعاهدك على أن أكون رجلك حتى آخر حياتي !

كنا نستمع إلى تلك الحكاية ونحن في غاية الدهشة .. لقد جاء «سير هنري» إلى هذه البلاد البعيدة ليبحث عن أخيه المفقود .. وجئنا معه لهذا الغرض وللبحث أيضًا عن كنوز الملك سليمان .. فإذا بنا الآن أمام عملية لم تكن في الحسبان ، ولكنها مغامرة لا بأس من الاشتراك فيها .

وتداولنا الأمر مع « أمبوبا» [أجنوسي] ومع عمه «إنفادوس» في كيفية تنفيذ عملية التخلص من «توالا» وتولِّي «أجنوسي» عرش «كوكوانا» .. فقال «إنفادوس» : الليلة سيقام حفل الساحرات الصيّادات .. وستمتلئ قلوب الكثيرين بالغضب ضد الملك «توالا» .. وعندما ينتهي الحفل ، سأتكلم مع بعض الرؤساء الكبار .. وسأحضرهم معي ليتأكدوا بأنفسهم أنك يا «أجنوسي» الملك الحقيقي .. وغدًا سيكون عندنا عشرون ألف رمح تحت أمرنا .

وبعد أن غربت الشمس وحلَّ الظلام ، أشعلت آلاف المشاعل لتضيء المكان .. ثم ظهر القمر وكان بدرًا كاملاً .. وتجمع في الساحة الكبرى أكثر من عشرين ألفًا من الأهالي .. وكانوا مقسمين إلى مجموعات صغيرة تفصل

بين كل مجموعة وأخرى طرقات ضيقة ، لكي تسمح بتجول الساحرات الصيّادات حين يبدأ العمل .

ودقت الطبول ، وظهر الملك «توالا» ومعه ابنه «سكراجا» والساحرة العجوز «جاجول» ، وخلفهم فرقة مكونة من اثني عشر جلادًا .. وهم الذين سيتولون قتل كل من سوف تختاره الساحرات .. ثم حلَّ الصمت والوجوم .. وبدأ ظهور الساحرات واحدة بعد أخرى .. ثم بدأت كل ساحرة منهن ترقص رقصًا عنيفًا يشبه حالة الهياج والجنون ..

ورأينا الساحرة التي كانت قريبة منا وهي تشم أحد الرجال .. فأخرجوه من الجمع وتقدم إليه الجلادون فقتلوه بطريقة سريعة بشعة .. ثم بدأت الساحرات الأخريات في شم العديد من الرجال الذين كانوا يُقتلون في لمح البصر واحدًا بعد الآخر .. وتكوَّمت الجثث غارقة في دمائها .. وحاولنا من جانبنا أن نوقف هذه المذبحة ونتشفع لهؤلاء القتلى لدى الملك لكي يعفو عنهم .. ولكن الملك استبدت به شهوة القتل وقال وهو يتمتع برؤية الدماء : من الأفضل لمثل هؤلاء الكلاب أن يموتوا ..

وأخيرًا هبَّت الساحرة العجوز «جاجول» واقفة ، وقفزت إلى الساحة وأخذت تجري وتهرول وترقص بحركات عنيفة وأثارت فزعنا وفزع الأهالي .. وفجأة توقفت أمام رجل طويل القامة وضخم الجثة كان واقفًا أمام جماعته وبدأت تشمه .. وسمعنا صرخات قوية أطلقتها الجماعة التي كان يرأسها الرجل الذي تم اختياره للقتل .. وقد علمنا فيما بعد أن هذا الرجل يمتلك ثروة كبيرة كان الملك يريد الاستيلاء عليها .

ثم عاودت «جاجول» رقصها العنيف واتجهت نحونا .. ثم توقفت وبدأت تشم «أمبوبا» [أجنوسي] في كتفه .. وصرخت بصوتها الحاد : لقد شممته .. شممت رائحة الشر التي تملأ قلبه .. اقتله .. اقتله أيها الملك .. اقتل هذا الغريب قبل أن تسيل الدماء بسببه ..

وساد الصمت والوجوم .. ولكني وقفت وصحت بالملك قائلاً : أيها الملك .. إن هذا الشخص يعمل خادمًا لدينا .. ونحن ضيوفك وأي شيء يؤذيه سيؤذينا نحن أيضًا .. ونحن نعلن حمايتنا لهذا الرجل ..!

ولكن الملك «توالا» أجاب بغضب : لقد شَمَّته ولمسته أُمُّنَا «جاجول» بنفسها وهي أم الساحرات الصيّادات جميعهن .. لذلك فلابد أن يقتل الآن فورًا ..!

وعندئذٍ أشهرنا بنادقنا ومسدساتنا وقلت : إذا حاول أحد أن يقتله ، فسوف نقتله قبل أن يفعل ذلك .

ومع ذلك أشار الملك إلى الجلادين الذين كانوا يقفون خلفه ، وقد تغطت ملابسهم وأيديهم وأجسامهم كلها بدماء الضحايا ، وأمرهم بصوت مرتفع غاضب : أمسكوه .. واقتلوه !

عندئذٍ قفزتُ إلى المنصة وصوَّبت مسدسي نحو رأس الملك .. وصوَّب «مستر هنري» مسدسه نحو رئيس الجلادين .. بينما صوب «كابتن جود» مسدسه نحو رأس «جاجول» .. وقلت للملك محذرًا : سنقتلكم ، جميعًا وسنقتل الملك إذا حاول أي منكم أن يمسَّ شعرة واحدة من رأسه !

وتراجع الملك عن موقفه وقال مغتاظًا : لأنك قلت إن هذا الرجل يعتبر أيضًا من ضيوفي .. وليس خوفًا من تهديدكم .. فقد عفوت عنه .

فقلت بهدوء وما زلت مصوِّبًا مسدسي نحو رأسه : والآن لقد تعبنا من مشاهدة الموت والقتل .. ونريد أن نذهب لكي ننام .. فهل انتهت حفلة الرقص ..؟

فقال بصوت ينم عن الغضب : لقد انتهت !

ثم أشار إلى جثث القتلى التي كانت مكوَّمة أمامه وقال للجلادين : خذوا جثث هؤلاء الكلاب وألقوها للكلاب !

وانصرفنا في هدوء وحذر إلى كوخنا ..

* * *

قرب الفجر سمعنا وقع أقدام خارج الكوخ .. ودخل «إنفادوس» ومعه ستة من الرؤساء .. وقال باحترام شديد : سادتي .. سيدي «أجنوسي» .. أيها الملك الحقيقي لشعب «كوكوانا» .. لقد أحضرت معي هؤلاء الرؤساء .. إنهم من أصحاب السلطة والنفوذ بيننا .. وتحت إمرة كل واحد منهم ثلاثة آلاف من الجنود الأشداء .. والآن .. دعهم يا «أجنوسي» يرون بأنفسهم وشم «الوحش الزاحف» المرسوم على خصرك .. وأسمعهم قصتك حتى يقرروا انضمامهم إلينا ضد الملك «توالا» .

قام «أجنوسي» وخلع ملابسه وأراهم الوشم .. وحكى لهم قصته التي سمعناها من قبل .. وسأل «إنفادوس» الرؤساء عن رأيهم .. فقال أكبر الرؤساء سنًّا : حقًّا إن الأرض تصرخ من ظلم «توالا» وقسوته وجبروته .. لقد كان أخي أحد الذين قتلهم الملك هذه الليلة .. ولكن الموضوع شديد الخطورة .. فسوف تسيل دماء كثيرة .. وسينضم الكثيرون إلى الملك «توالا» .. فالناس ينحنون للشمس المضيئة في السماء ولا ينحنون للشمس

التي لم تشرق بعد .. وهؤلاء الرجال البيض الذين جاءوا من النجوم لديهم قـوة سـحر عظيمـة .. وهم يضعـون « أجنوسي » فـي حمايتهـم .. ولابـد أن يقدموا للناس علامة سحرية .. وعندما يرى الشعب هذه العلامة ، سيعرفون أن سحر هؤلاء البيض يقف في صف «أجنوسي» باعتباره الملك الحقيقي ..

وعندما شرحت لرفاقي ما قاله هؤلاء الرؤساء .. قال «الكابتن جود» بثقة وكأنه يقول شيئًا مهمًّا : أعتقد بأننا نستطيع أن نقدم لهم العلامة السحرية التي طلبوها .. وعليهم أن يتركونا لنفكر بعض الوقت ..

وأخرج الكابتن كتابًا كان يحمله ضمن أمتعتنا ، وأخذ يقلب صفحاته بسرعة وقال : إن غدًا هو اليوم الرابع من شهر يونيو .. وسوف يحدث للقمر كسوف كلي ، يبدأ من الساعة الثامنة والربع بتوقيت «جرينتش» .. وسيشاهد هذا الكسوف في جنوب أفريقيا .. إذن هذه هي العلامة السحرية .. ولنخبرهم بأننا سنطفئ القمر مساء الغد !

كانت فكرة عظيمة اقتنعنا بها فورًا .. فقلت «لإنفادوس» وللرؤساء الذين معه : إننا لا نحب أن نستعرض قوتنا .. ولكن نظرًا لأن الموضوع مهم وخطير .. ولأننا سنعمل معًا على إزاحة الملك «توالا» فقد قررنا أن نعطيكم العلامة السحرية التي طلبتموها.. وهي علامة سيراها الناس جميعًا .. غدًا قبل منتصف الليل .. سنخفي القمر ونطفئه تمامًا لمدة ساعة ونصف الساعة .. وسيغطي الظلام الأرض كلها .. هذه هي العلامة السحرية التي تؤكد أن «أجنوسي» هو الملك الحقيقي لشعب «كوكوانا» .

وهنا قال كبير الرؤساء وهو يبتسم : تكفينا هذه العلامة إذا قمتم بها حقًّا .. وأريد أن أخبركم بأن الملك «توالا» سيدعوكم بعد ساعتين من

غروب شمس الغد لمشاهدة حفلة «رقص البنات» .. وسيقوم «توالا» باختيار أجمل الفتيات وأكثرهن فتنة وأحسنهن رقصًا .. وسيأمر ابنه «سكراجا» بقتل هذه الفتاة ، ليقدمها قربانًا للآلهة الصامتين الذين يحرسون الجبال .. وعندما تطفئون القمر .. ستنقذون الفتاة من القتل .. وسيقتنع بكم الناس جميعًا ..!

وقال «إنفادوس» موجهًا كلامه إلينا وللرؤساء الذين معه : هناك خارج مدينة «لوو» .. يوجد تل يأخذ شكل الهلال .. وهناك سيجتمع جنودي وجنود كل التابعين لهؤلاء الرؤساء .. وسنضع خطة لينضم إلينا جنود آخرون .. وإذا استطعتم أن تطفئوا القمر فعلاً ، فسوف أسحبكم في الظلام إلى خارج المدينة لتصبحوا في أمان وسط الجنود .. وفي صباح اليوم التالي سنبدأ معركتنا ضد « توالا» .

وبعد أن تم هذا الاتفاق مع الرؤساء خلدنا إلى النوم لنستريح .. وقضينا النهار التالي في هدوء وترقب .. ووصلتنا دعوة الملك «توالا» لحضور حفلة « رقص البنات » التي ستقام في المساء .. وعندما حلَّ الموعد ارتدينا الدروع تحت ملابسنا، وحملنا بنادقنا وأسلحتنا .. وذهبنا إلى الحفل .

كانت هناك جموع غفيرة من البنات ، وكل واحدة منهن كانت تضع على رأسها تاجًا من الزهور ، وتحمل ورقة كبيرة من أوراق الشجر في إحدى يديها ، وتحمل في يدها الأخرى زهرة بيضاء .

وعلى دقات الطبول بدأت البنات في رقصة جماعية جميلة .. ثم بدأت البنات الجميلات في الرقص منفردات .. ووقع اختيار الملك على فتاة منهن كانت أكثرهن جمالاً وأحسنهن رقصًا .. وقالت الفتاة ببراءة إن اسمها «فولاتا» .. وتقدمت إليها الساحرة العجوز «جاجول» وقالت لها بصوتها

الكريه : سنقدمك أيتها الفتاة قربانًا للآلهة الصامتين هناك عند الجبال .. إن نوم الليل أفضل للإنسان من تعب النهار .. والموت أفضل كثيرًا من الحياة .. وستحصلين على شرف الموت بيد ملكية .. سيقتلك ابن الملك بنفسه !

أُصيبت الفتاة بذعر شديد لدى سماعها هذا الكلام البغيض .. فصاحت بأعلى صوتها : يا متوحشون .. يا غلاظ القلوب .. إني ما زلت صغيرة .. وماذا جنيتُ حتى تحرموني من رؤية الشمس وهي تولد من بطن الليل .. ومن رؤية النجوم في السماء بعد أن تغرب الشمس وتذهب .. ومن قطف الزهور التي يبلِّلها الندى .. ومن سماع ضحكات المياه وهي تترقرق .. ومن عودتي إلى كوخ أبي .. ومن قبلات أمي .. ومن رعاية الخراف الصغيرة حين تمرض .. ومن ذراع حبيب وهو ينظر في عيني شغوفًا مولعًا .. ومن أطفال ألدهم فيصبحون رجالاً .. أنتم متوحشون.. قساة .. وقلوبكم غليظة !

ويبدو أن هذا الاستعطاف لم يغيِّر شيئًا من شعور الساحرة «جاجول» ولا شعور الملك «توالا» .. بالرغم من أني رأيت ملامح التأثر واضحة في وجوه الحراس ووجوه الرؤساء الذين شهدوا الموقف وسمعوا كل كلمة .. ورأيت «الكابتن جود» وقد هبَّ واقفًا ، وتأهب لمساعدة تلك الفتاة البريئة.. ويبدو أن الفتاة قد لمحته وأحست بمشاعره ، فألقت بنفسها على الأرض عند قدميه مستجيرة به وقالت : أنقذني أيها الأب الأبيض الذي جاء من النجوم .. أنقذني من «جاجول» ومن هؤلاء المتوحشين !

انحنى «الكابتن جود» وأمسك بذراع الفتاة وأنهضها من الأرض وقال يطمئنها : انهضي يا فتاة .. سوف أحميك وأدافع عن حياتك .. ولن يمسّك أحد بسوء !

في تلك اللحظة ، رأيت قوسًا من ظل الأرض وقد بدأ يقترب من وجه القمر .. لقد بدأ الكسوف فعلاً .. فصحت في وجه الملك قائلاً : إننا لن نسمح لك بقتل هذه الفتاة البريئة ..

فقال الملك للحراس : اقبضوا على هؤلاء الرجال واقتلوهم !

واندفع نحونا بعض الرجال المسلحين الذين كانوا يقفون وراء الكوخ استعدادًا لمؤامرة دبَّرها الملك ضدنا .. فرفعنا بنادقنا وصوبناها .. وأطلقنا في الهواء طلقة أصابتهم بالذعر .. وصحت فيهم بأعلى صوتي : قفوا عندكم .. وإياكم أن تتحركوا .. إذا تقدمتم خطوة واحدة ، فنحن أبناء النجوم سنطفئ القمر ونجعل الأرض في ظلام دامس !

وازداد زحف ظل الأرض على وجه القمر فخفت نوره .. وبدأ الظلام يخيِّم وتختفي ملامح الوجوه الواجمة .. فصاح «سكراجا» : إن القمر يموت .. هؤلاء السحرة البيض سيقتلون القمر !

وبحركة هي مزيج من الخوف والغضب .. رفع «سكراجا» رمحه وصوّبه نحو صدر «السير هنري» الذي تحاشى الضربة ، والتقط الرمح ، وقذفه بأقصى قوته نحو «سكراجا» فاخترق صدره ، وسقط «سكراجا» ميتًا..

وأخذ الظلام يزداد ويزداد .. وازداد بالتالي هلع الفتيات وخوفهن من هذا الظلام الزاحف .. واستولى عليهن نوع من الجنون ، فأخذن يجرين نحو البوابة وهن يصرخن صرخات مرعبة .. وهرب الملك وحراسه .. وهربت «جاجول» ودخلوا جميعًا إلى كوخ الملك طلبًا للحماية .. وقلت للرؤساء الذين كانوا يقفون مشدوهين من هول الموقف : والآن أيها

الرؤساء .. إذا كنتم قد اقتنعتم بالعلامة السحرية .. فهيّا بنا نذهب جميعًا إلى المكان الذي حددناه واتفقنا عليه بالأمس !

وقبل أن نصل إلى بوابة الخروج ، كان القمر قد اختفى كلية ، وحلّ ظلام دامس .. وتلمسنا طريقنا في هذا الظلام ، وكل منا يمسك بيد الآخر .. وصحبنا معنا الفتاة الجميلة البريئة ..

* * *

وصلنا إلى التل الهلالي الشكل الذي تجمّع عنده كل الجنود التابعين «لإنفادوس» وللرؤساء الستة .. وكان الكسوف قد انتهى وعاد القمر ينشر نوره على ساحة المعركة المرتقبة .. كان الجنود متناثرين في السهول وعلى سفوح التل من الجانبين .. وكانت حرابهم ورماحهم تلمع وتتلألأ في ضوء القمر .. وكانت رياح الليل الرطبة تحرك الريش الذي كان يزين رءوسهم .. وتساءل «السير هنري» قائلاً : ترى .. مَنْ مِن هؤلاء الجنود سيظل حيًّا حتى هذا الوقت من مساء الغد ..؟!

هززت رأسى ولم أحر جوابًا .. غدًا ستكون المعركة .. وسيسقط الآلاف والآلاف .. وربما سنسقط نحن أيضًا ونموت .. ولكن الشيء المؤكد الذي سيبقى دائمًا .. هو أن الشمس ستسطع على هذا المكان في كل نهار .. وستعبث الرياح بالأعشاب وسيقان الشجر .. وستظل هذه الأرض الواسعة كما كانت قبل أن نوجد .. وكما ستكون بعد أن ننتهي وينسانا الزمن ..

إن الإنسان يولد ويعيش ويموت ويدفن في الأرض ويتلاشى ويُنسى اسمه .. ولكن الهواء الذي دخل إلى رئتيه وخرج منهما سيظل باقيًا ، يهب

مع النسيم ومع الرياح .. وستظل الكلمات التي نطق بها تدور وتدور كالموجات، يتردد صداها في فضاء لا نهائي تملؤه الكواكب والنجوم.

ومع تباشير الفجر ونور الصباح .. بدأ الجنود ينتظمون في المواقع المحددة لهم .. وكانت الخطة هي أن نطبق على جيش «توالا» من الأمام ومن الجهتين اليمنى واليسرى .. تمامًا كحركة الكماشة .. وكان «أجنوسي» و«إنفادوس» و «سير هنري» واقفيْن على رأس جيش «الرماديين» .. ووقف «الكابتن جود» على رأس الجيش المتمركز في الجهة اليمنى .. ووقفت أنا على رأس جيش الجهة اليسرى .. وانتظرنا وصول جيش «توالا» الذي خرج من مدينة «لوو» وبدأ يزحف في طابور طويل مثل طوابير النمل.

كانت معركة حاسمة لم تستغرق وقتًا طويلاً .. فقد أطبقنا على جيش «توالا» من الجهات الثلاث .. فتشتت جنوده هاربين وهم يصيحون ويصرخون يجرون أذيال الخيبة والهزيمة .. واتجه الفارون منهم، ومعهم «توالا» إلى مدينة «لوو» .. وكان من المحتم علينا أن نتتبعهم إلى هناك.

وزحف جيشنا إلى مدينة «لوو» وفي مقدمته «أجنوسي» .. وعندما وصلنا إلى أول بوابة من بوابات المدينة، رأينا بعض جنودنا وقد سبقونا إلى احتلالها .. ووقف هؤلاء الجنود يؤدون التحية الملكية «لأجنوسي» .. وأخبرنا قائد هؤلاء الجنود أن «توالا» قد لجأ إلى كوخه الملكي، وأنه مستعد للتسليم والاعتراف بالهزيمة.

وأعلن «أجنوسي» وعدًا ملكيًا بأنه سيعفو عن كل من يلقي سلاحه .. وأرسل رسله لإعلان هذا العفو في كافة أرجاء المدينة .. ودخلنا من البوابة الرئيسية .. وتقدمت طوابيرنا المنتصرة وسط طابورين من جنود «توالا»

المهزومين .. كانوا منكّسي الرءوس .. وألقوا برماحهم وحرابهم ودروعهم تحت أقدامهم .. وتوجهنا فورًا إلى الكوخ الملكي .

وأمام بوابة الكوخ ، جلس شخصان ينتظران مصيرهما المحتوم .. أحدهما كان الملك «توالا» .. وثانيهما الساحرة العجوز «جاجول» .. كان «توالا» يجلس حزينًا منكّس الرأس ، وقد ألقى درعه وبلطته الحربية على الأرض تحت قدميه .. ولم يكن هناك جندي واحد من حرّاسه أو من جلاديه .. بل ولم تكن هناك زوجة واحدة من زوجاته العديدات تشاركه همومه ومصيره التعس .. إنه يتعلم الآن الدرس الذي يعلّمه القَدَرُ للناس .. فعندما يعلو قَدْرُ الإنسان ولو ظلمًا ، فإن العديد من الناس يحيطون به ويلتفون حوله .. أما عندما يسقط الإنسان فإن الجميع ينفضُّون من حوله ، ويبتعدون عنه تاركين إياه ليواجه مصيره وحده .

قال «توالا» في صوت لا يخلو من الحقد والغضب : تحية لك أيها الملك « أجنوسي » .. إني أطالبك بحقي باعتباري من البيت الملكي .. وهو أن أموت وأنا أحارب .. فأنت تعلم أن تقاليدنا الملكية في «كوكوانا» تمنع الحكم على الملك بعقوبة الإعدام .. وأن أي شخص من البيت الملكي له حق اختيار أي شخص يحاربه وينازله في قتال مشهود .. فإذا قَتَلَ هذا الشخص يحل محله شخص آخر .. وهكذا .. إلى أن يتمكن أحد هؤلاء الأشخاص في النهاية من قتل الأمير أو الملك ..وأنا من حقي أن أختار هذا الرجل الأبيض الذي قتل ابني «سكراجا» .. [وأشار إلى سير هنري] .

ولكن «أجنوسي» رفض هذا الاختيار .. وطلب منه أن يختار أي رجل آخر من شعب «كوكوانا» .. إلا أن «السير هنري» تقدم بشجاعة وقال : إذا كان «توالا» يريد أن يقتلني .. فأنا أيضًا أريد أن أقتله !

وبدأت مبارزة وحشية استعملت فيها البلط والسكاكين .. أصيب فيها «السير هنري» ببعض الجراح .. ولكنها انتهت بمصرع «توالا» .

* * *

كان «الكابتن جود» قد أُصيب في قدمه أثناء المعركة الحربية إصابة بالغة .. وقد حملناه هو و «سير هنري» إلى داخل الكوخ الملكي الذي كان مخصصًا من قبل للملك «توالا» .. وخلال أيام قليلة اندملت جراح «السير هنري » بينما ازدادت وطأة المرض على «الكابتن جود» .. بالرغم من العناية الفائقة التي بذلتها الفتاة الجميلة «فولاتا» في تمريضه .. وفي كل يوم يمر كانت حالة الكابتن تزداد سوءًا حتى أصبحنا نعتقد بأنه سيموت خلال ساعات قليلة .. ولكن «فولاتا» وحدها كانت متفائلة .. وتقول دائمًا وبإصرار وثقة : سيشفى .. وسيعيش ..!

وبالفعل بدأت صحته تتحسن ببطء إلى أن تم له الشفاء ، وكانت فرحة «فولاتا» بشفائه عارمة لا توصف .

وبعد ذلك قام «أجنوسي» بزيارتنا .. وكان قد علَّق على جبهته الماسة الملكية الضخمة التي كانت تزين من قبل جبهة «توالا» .. وقد استقبلناه استقبال الملوك .. ولكنه قال لنا بصدق : نعم .. لقد أصبحك ملكًا .. ولكن ذلك كان بفضل عونكم ومساعدتكم أيها الرجال الشجعان البواسل .. وأنا أعرف أنكم تريدون الذهاب إلى حيث يوجد كنز الأحجار الثمينة .. ولذلك فقد أبقيت الساحرة «جاجول» حية ولم أقتلها ؛ لأنها وحدها التي تعرف سر الوصول إلى هذا الكنز .. وقد عرفت من بعض الأهالي كبار السن أن هناك في الجبل قاعة تسمى «قاعة الموتى» وفيها غرفة سرية تحتوي على هذا الكنز من الأحجار الثمينة .. وقد سمعت قصة تقول إنه منذ سنين وسنين .. استطاع رجل أبيض أن يعبر الصحراء ويجتاز الجبال .. وأرشدته

إحدى الساحرات وكان اسمها «جاجول» إلى تلك الغرفة السرية .. ورأى الرجل الأبيض جميع الكنوز والثروات المخبوءة في تلك الحجرة .. وقد اعترفت لي الساحرة العجوز «جاجول» بأنها تعرف سر ذلك الرجل الأبيض ، ودليلها على ذلك أن هناك حقيبة مملوءة بالأحجار الثمينة تركها الرجل الأبيض حين اضطر إلى الفرار من تلك الغرفة لينجو بحياته .. وأنا أعتقد بأن هذا الرجل الأبيض هو نفسه الذي شاهدنا جثته مجمَّدة في الكهف البارد حين كنا في طريقنا إلى هذه البلاد .. ولذلك فسوف أرسل معكم الساحرة «جاجول» لترشدكم إلى تلك الحجرة السرية .. وأرجو أن تأخذوا حذركم منها بصفة دائمة .. فهي امرأة شريرة كما تعرفون .. وسوف أرسل معكم أيضًا عمي «إنفادوس» ليكون في حراستكم ..

وفي صباح اليوم التالي بدأنا رحلتنا الغامضة .. وكانت مجموعتنا تتكون منا نحن الثلاثة .. والفتاة «فولاتا» .. و «إنفادوس» .. و«جاجول» التي كانت محمولة في هودج يحمله بعض الخدم .. وتحت غطاء هذا الهودج كنا نسمع صوتها الحاد الكريه وهي تتمتم ببعض الشتائم .

وسار موكبنا في طريق سليمان حتى وصلنا إلى سفح الجبل الأوسط .. وبدأنا نتسلق بصعوبة على سطح الجبل المائل الذي كان مليئًا بأعشاب وشجيرات كثيفة .. ووصلنا إلى حائط صخري مرتفع .. وهناك نزلت «جاجول» من هودجها وتقدمتنا وهي تتعكز على عصا في يدها ، وتمسك في يدها الأخرى مصباحًا صغيرًا .. وكانت توجه لنا بين حين وآخر نظرات حادة ملؤها الحقد والشر .. وبخطى وئيدة وصلت إلى باب ضيق وقالت لنا : ادخلوا ورائي .. هل ستحضر معنا يا «إنفادوس» ؟.. فأجاب بأنه لن يدخل ، وإنما سيبقى في هذا المكان في انتظار عودتنا ، وحذَّرها من ألاعيبها الشريرة وإلا سيكون مصيرها القتل فورًا .

وأراد «كابتن جود» أن يجنِّب الفتاة «فولاتا» متاعب ومخاوف المغامرة فطلب منها أن تبقى .. ولكنها حملت السلة التي نحتفظ فيها ببعض الطعام والماء وقالت له برقة : لا ياسيدي .. سأحمل هذه السلة وأذهب معك إلى حيث تذهب .

ودخلت «جاجول» من الباب الضيق، ودخلنا خلفها.. سارت بنا في ممرات ضيقة تبدو محفورة في بطن الجبل .. ثم دخلت بنا إلى قاعة واسعة عالية السقف يتسلل إليها خيط من ضوء الشمس ينفذ من ثقب صغير في أعلاها .. وبواسطة هذا الشعاع الضئيل من الضوء الخافت ، شاهدنا في جوانب تلك القاعة ما يشبه الأعمدة والأبراج العملاقة ، وكانت كلها تبدو كما لو كانت مصنوعة من الثلج .. ولكنها في حقيقة الأمر عبارة عن تكوينات طبيعية نتجت من تساقط قطرات المياه من أعلى السقف .. وكل قطرة منها تحتوي على أملاح معينة تتحول بمرور الزمن إلى مادة شفافة تشبه الثلج .. وبمرور مئات وآلاف السنين تكونت هذه الأشكال التي تشبه الأعمدة والأبراج الضخمة .. وهي أشكال في غاية الجمال والروعة .

ثم سرنا عبر ممرات ضيقة ومظلمة .. إلى أن وصلنا إلى مدخل قاعة واسعة أخرى .. ولكنها كانت مرعبة ومخيفة .. ولا أنكر هنا أن ما شاهدته في تلك القاعة قد خلع قلبي رعبًا .. ورأيت «السير هنري» وقد أخرج منديله ليجفف حبات العرق الباردة التي تدفقت فجأة من جبهته .. ورأيت « الكابتن جـود » وهـو يتمتم بشـتائمه ولعناته .. أما « فولاتا » فقد تعلَّقت برقبة الكابتن وأخذت تبكي من شدة خوفها .. «جاجول» وحدها هي التي أخذت تضحك ضحكات هستيرية كما لو كان قد أصابها مسٌّ من جنون مفاجئ .

كانت هناك مائدة حجرية ضخمة .. وعلى رأسها كان يجلس «الموت» نفسه !.. كان هناك هيكل بشع على شكل الهيكل العظمي للإنسان ، يزيد ارتفاعه على خمسة أمتار ، ويمسك بعظام أصابع يده اليمني رمحًا طويلاً ضخمًا أبيض اللون .. وكانت طريقة إمساكه بهذا الرمح ، تجعله يبدو وكأنه يصوِّبه نحو صدر كل من يدخل الغرفة !

وحول جانبي المائدة الحجرية ، رأينا مجموعة من الهياكل البيضاء الجالسة في سكون الموت .. وكانت تلك الهياكل عبارة عن جثث الملوك القدامى .. ورأينا من بينها جثة الملك «توالا» تجلس عارية تمامًا .. وكانت تلك هي الطريقة التي ابتدعها قدماء أهالي «كوكوانا» لحفظ جثث الملوك الذين اعتلوا عرش بلادهم !

* * *

وقفت الساحرة العجوز «جاجول» أمام تمثال الموت ، وأخذت تهذي بكلمات غامضة .. ثم التفتت إلينا وقالت : ما دمتم لم تخافوا من قاعة الموتى، فسوف أقودكم إلى غرفة الكنوز .. ستدخلون إليها من هنا .. ونظرنا إلى حيث أشارت فلم نجد سوى حائط صخري أملس .. وفجأة .. رأينا صخرة ضخمة من صخور هذا الحائط وهي ترتفع وحدها إلى أعلى .. وظلت ترتفع ببطء عجيب حتى اختفت تمامًا داخل الصخرة الضخمة التي كانت فوقها .. ورأينا في مكان الصخرة المختفية ثقبًا كبيرًا وراءه ظلام حالك ..

ها هو إذن المدخل إلى كنوز سليمان .. ووقفنا أمام هذا المدخل مشدوهين ومنفعلين غاية الانفعال ، لدرجة أني أحسست وكأن أطرافي ترتعش بشدة .. ماذا يا ترى سنجد داخل تلك الغرفة ؟.. ربما تكون خالية وتنتهي كل تلك المغامرات والجهود التي عانيناها إلى لا شيء .. وربما يكون

«جوزيه دي سيلفستر» على حق في كل ما قاله في وثيقته المكتوبة بدمه .. إذا كان الأمر كذلك ، فسوف نحصل على ثروات طائلة تجعلنا أغنى أغنياء العالم .. دقيقة واحدة وسيتضح كل شيء .

وسمعنا صوت «جاجول» وهي تقول : والآن .. ادخلوا أيها الرجال البيض الذين جاءوا من النجوم .. ولكن عليكم أولاً أن تسمعوا كلمات «جاجول» العجوز .. إن أحدًا لا يعرف من هم الذين أحضروا تلك الأحجار البراقة وحفظوها في تلك الغرفة .. ومنذ أن قام هؤلاء بإغلاق الغرفة ورحلوا ، لم تفتح هذه الغرفة إلا مرة واحدة فقط .. حين جاء أحد الرجال البيض من وراء الجبال منذ سنين طويلة .. وكانت هناك امرأة عجوز أرشدته إلى سر الباب الخفي .. وقد دخل ذلك الرجل الأبيض إلى غرفة الكنوز .. ووجد أحجارًا لامعة براقة ، فملأ حقيبة مصنوعة من جلد الماعز بتلك الأحجار اللامعة .. ولكن لسبب ما أصيب الرجل الأبيض بالرعب ، فألقى بالحقيبة المملوءة بالأحجار اللامعة على الأرض ، واحتفظ بقطعة الحجر الوحيدة التي كان يمسكها في يده وفرَّ هاربًا !.. وعندما خرج أخذها منه الملك الذي كان يحكم «كوكوانا» في ذلك الزمن .. ومنذ ذلك الحين ، كان يأخذها كل ملوك «كوكوانا» واحدًا بعد الآخر .. إنها نفس قطعة الحجر اللامع التي كانت تزين جبهة الملك «توالا» .. والتي تزين الآن جبهة الملك «أجنوسي» .. وتقول لكم «جاجول» العجوز .. إن من يجرؤ على الدخول إلى هذه الغرفة فإنه سيموت خلال شهر قمري واحد ..

كانت «فولاتا» تسمع تلك الكلمات وهي ترتعد ، وكل جزء من جسمها كان يرتعش ويرتجف من شدة ما كانت تعانيه من خوف وهلع .. كانت حالتها مؤسية تثير الشفقة .. وطلبت منا أن نتركها لكي تستريح بجوار الجدار وأن ندخل نحن إلى غرفة الكنوز .. وبالفعل تركناها ،

ووضعنا بجوارها سلة الطعام التي كانت تحملها .. ودخلنا .. تتقدمنا «جاجول» وهي تحمل المصباح .

وجدنا خلف مدخل الغرفة مباشرة حقيبة مصنوعة من جلد الماعز وملقاة على الأرض .. وكانت مملوءة عن آخرها بأحجار الماس .. ووجدنا نحو اثني عشر صندوقًا خشبيًّا مدهونة كلها باللون الأحمر .. وكانت هذه الصناديق تحتوي على قطع من العملات الذهبية نقشت عليها حروف غريبة .. كما وجدنا ثلاث خزائن مصنوعة من الحجر .. وعندما قرّبنا المصباح لنرى ما فيها ، لم نستطع في البداية أن نرى شيئًا .. فقد كاد بريق الماس يخطف أبصارنا .. كانت الخزائن مملوءة كلها بأحجار من الماس الخام .. ومعظم هذه الأحجار كانت كبيرة الحجم ..

وعندئذٍ قالت «جاجول» بصوتها الكريه : ها هي الأحجار اللامعة البراقة التي تحبونها .. ارفعوها بين أصابعكم لتتمتعوا بمرآها .. كلوها .. اشربوها .. ها .. ها ..!

وقفنا صامتين .. وبريق الماس يتلألأ حولنا كلما سقط عليه نور المصباح .. ولم يعد أمامنا الآن سوى أن نحملها ونرحل ..

وجلسنا على الأرض لنفكر في كيفية نقل كل تلك الكنوز إلى الخارج .. ونحلم بما سوف نعمله بتلك الثروات الطائلة التي ستجعلنا من أغنى أغنياء العالم .. ولكن أحدًا منا لم يتنبه إلى تلك النظرات المخيفة المملوءة بالحقد والشر ، التي وجهتها إلينا الساحرة «جاجول» وهي تتسلل زاحفة في صمت ، وخرجت من الغرفة ، واتجهت صوب الباب الصخري الكبير الذي دخلنا منه .

وفجأة .. سمعنا «فولاتا» تصرخ بأعلى صوتها : النجدة .. النجدة .. احذروا .. إن الباب الحجري سيغلق .. الحقوني .. الحقوني .. لقد قتلتني..!

تركنا كل شيء وجرينا صوب الصراخ .. ورأينا الباب الحجري وهو يهبط ببطء ليسد فتحة الجدار التي دخلنا منها .. ورأينا الفتاة المسكينة «فولاتا» غارقة في دمائها وهي تتصارع مع الساحرة العجوز وتحاول الإمساك بها .. ولكن العجوز الشريرة أفلتت وواصلت زحفها نحو فتحة الصخرة الهابطة .. ولكن الصخرة أطبقت عليها ، وبالرغم من صراخها اليائس من شدة الألم ، سمعنا طقطقة عظامها وهي تسحق تحت الصخرة الثقيلة .

حدث كل هذا في لحظات قصيرة .. واستدرنا إلى «فولاتا» .. فوجدنا سكينًا كبيرة مغروسة في صدرها .. وكانت الدماء تتدفق من جرحها بشكل أحسست معه بأن الفتاة لن تعيش سوى لحظات معدودة .. وتقدم إليها «الكابتن جود» وأمسك بذراعيها وحاول أن يضمها إلى صدره ، وهو يبكي حزنًا وألـمًـا .. وطلبت مني «فولاتا» أن أترجم كلماتها الأخيرة التي تريد أن تقولها لـ «كابتن جود» قبل أن ترحل .. وقالت بصوت ضعيف واهن : إن الكابتن لا يعرف لغتي .. فقل له يا سيدي إني أحبه .. قل له إني مسرورة وسعيدة بموتي .. لأني أعرف أن الحياة لا يمكن أن تجمعني معه في هذا العالم .. قل له إني منذ رأيته للمرة الأولى وأنا أحس كأن قلبي طير يرفرف بجناحيه في صدري .. ويغني أغنيات كلها عذوبة وحلاوة .. قل له إني إذا عدت إلى الحياة بعد موتي .. فسوف ألقاه في العالم الآخر .. في نجوم السماء العالية .. وسوف أفتش عنه كل تلك النجوم نجمًا نجمًا .

وكانت هذه آخر كلمة استطاعت أن تنطقها قبل أن يميل رأسها على صدر الكابتن وترحل .. وانفجر الكابتن في بكاء حزين .. وعلّق «سير

هنري» على هـذا الحـزن بقـوله : إن الأمر لا يحتاج لكل هـذا الحـزن الآن يا صديقي .. فبعد قليل ستلحق بها .. ألا ترى أن الباب الحجري قد أغلق علينا .. وأننا الآن نعيش في قبرنا ..؟!

وأخذ ضوء المصباح يخفت رويدًا بعد أن أوشك زيته على النفاد .. وتوهجت آخر شعلة قبل أن تذوي .. وعلى ضوئها رأينا آخر مشهد : صناديق مملوءة بالذهب وجثة الفتاة الجميلة «فولاتا» .. والحقيبة الجلدية المملوءة بقطع الماس .. وبريق الماس الآخر الذي كان موضوعًا في الخزائن الحجرية .. ووجوهنا نحن الثلاثة الجالسين على الأرض في انتظار الموت كمصير محتوم .. وانطفأت شعلة المصباح .. وحل ظلام دامس !

* * *

عزَّ علينا النوم ، ولم يغمض لنا جفن بسبب الصمت المطبق الذي كان يلفنا ويلف كل شيء حولنا .. كنّا مسجونين في قلب جبل عالٍ تغطي قمته الثلوج .. وكانت معنا في هذا القبر كنوز تغني أمة بأكملها .. وكنا مستعدين لإعطاء هذه الكنوز كلها لأي شخص يعطينا ولو مجرد أمل ضعيف في النجاة والخلاص .. بل وكنا مستعدين للتنازل عنها في سبيل قليل من الطعام وكوب من الماء .. بل وحتى في سبيل أن يأتينا الموت بسرعة بدلاً من هذا الموت البطيء الذي بدأنا نحس خطاه لحظة بعد أخرى .

ومرت الدقائق كأنها ساعات .. ومرت الساعات كأنها أيام .. ومرت الأيام كأنها سنوات طوال .. وكان «سير هنري» يحاول دائمًا أن يشد من أزرنا ويشجعنا على التفـاؤل بالقـول إننـا ما دمنا على قيـد الحياة ، فلابـد أن يكون هناك أمل .

وفجأة .. سنحت في ذهني فكرة طارئة فقلت فرحًا : ألا تلاحظون أنه بالرغم من مرور كل هذا الوقت ، فإن الهواء لم يفسد ولم نختنق .. معنى ذلك أن الهواء يتجدد ، ولابد أن هناك منفسًا يدخل منه الهواء ويخرج ..!

وعاد إلينا الأمل .. وأخذنا نزحف على أيدينا وركبنا ، ونتحسس كل جزء في المكان لعلنا نعثر على ثقب صغير يتخلله تيار الهواء مهما كان ضعيفًا.. وأخيرًا .. عثرنا على شرخ في الأرضية الصخرية .. وعلى حلقة صخرية تكاد تكون ملتصقة تمامًا بأرضية الغرفة .

ولم نضيِّع الوقت وبذلنا كل ما كان في جهدنا لكي نحرك الصخرة التي كانت ملتصقة بالحلقة .. وأحسسنا كأن هناك درجات سلم .. فنزلنا واحدًا بعد الآخر .. ولكني طلبت من الرفاق قبل أن نغادر غرفة الكنوز أن نأخذ معنا ما نستطيع حمله .. فلم يوافقني «السير هنري» وقال : اللعنة على كل الماس في الدنيا !.. أما «الكابتن جود» فقد كان منهمكًا في اللحظات الأخيرة في وداع مناسب لتلك الفتاة المسكينة التي أحبته بكل صدق .. أما أنا فقد ملأت جيوبي بقطع من الماس من الصندوق الأول ، وأخذت أيضًا بعض القطع ذات الحجم الكبير من الصندوق الثالث ..

ونزلنا درجات السلم بحذر .. وكنا نتحسس الجدران بأيدينا قبل أن نخطو كل خطوة .. وأدت بنا الدرجات إلى ممر .. وأدى بنا الممر إلى ممر آخر .. وقضينا ساعات طويلة في ممرات كانت تبدو لا أول لها ولا آخر .. وأخيرًا رأينا بقعة من الضوء الخافت تبدو وكأنها في مكان بعيدٍ جدًّا ، ولكنها كانت كافية لبعث الأمل .. فنسينا تعبنا ويأسنا ، وبدأنا نتلمس طريقنا تجاه الضوء بأسرع ما نستطيع .

وفي نهاية الطريق وجدنا صخرة كبيرة تسد المنفذ الذي يتسلل منه الضوء فأزحناها .. وخرجنا واحدًا تلو الآخر .

كانت الشمس قد غربت وبدأت السماء تمتلىء بالنجوم المتلألئة .. وموجات النسيم تتدفق بالهواء النقي .. وقضينا الليل سعداء بنجاتنا .. وعندما هلَّ نور الصباح ، رأينا دخانًا يتصاعد من نار موقدة أمام بعض الأكواخ .. كما رأينا بعض الرجال الذين لم ينتبهوا إلينا في البداية .. فاتجهنا إليهم .. ورآنا أحدهم فارتمى على الأرض وأخذ يصيح من شدة الخوف ، فعرفناه وناديناه : إنفادوس .. لا تخف .. نحن أصدقاؤك .. ألا تعرفنا ..؟!

فنهض «إنفادوس» وتقدم إلينا وهو لا يصدق عينيه ، وقال لنا بكل دهشة : كيف عدتم من الموت ..؟!

* * *

وذهبنا لتوديع الملك «أجنوسي» وكان وداعًا مؤثرًا .. تخللته دموع الفراق .. وأرسل معنا عمه «إنفادوس» ليرشدنا إلى طريق جديد عبر الجبال .. وهو طريق مختصر وأكثر راحة من الطريق الطويل الشاق الذي جئنا منه .. وودَّعنا «إنفادوس» عندما وصلنا إلى منطقة واسعة تغطيها الخضرة وتملؤها الأشجار الغنية بالثمار .

وبعد مسيرة ثلاثة أيام .. حدثت أغرب مفاجأة منذ أن بدأت مغامرتنا المثيرة .. فقد رأينا كوخًا صغيرًا جميل الشكل وسط الأشجار .. وفجأة ، فتح باب الكوخ وخرج منه رجل أبيض يرتدي ثيابًا من جلود الحيوان .. كان يعرج في سيره .. وتبدو رجله اليمنى وكأنها مكسورة .. وكانت لحيته السوداء كثيفة جدًا ..

وما إن اقترب منا هذا الرجل الغريب ، حتى فوجئت «بالسير هنري» يصيح بأعلى صوته : أخي جورج .. أخي جورج !!

وتعانق الأخوان عناقًا حارًا ..

ثم فوجئنا بظهور رجل آخر من خلف الكوخ وكان يحمل بندقية .. وعندما رآني اندفع نحوي وأخذ يصيح : ألا تذكرني يا سيدي ؟.. أنا «جيم» الصياد الذي صاحبت «مستر نيفيل» في رحلته .. لقد عشنا هنا سنتين متتاليتين ..

وشرح لنا «مستر نيفيل» كيف حاول عبور جبال سليمـان منذ نحو سنتين .. ولكن صخرة سقطت على رجله اليمنى فكسرتها .. وبسبب ذلك لم يستطع أن يواصل رحلته إلى كنوز سليمان .. ولم يستطع أيضًا أن يعود إلى مدينة «دربان» .

* * *

لقد مضت الآن ستة أشهر على هذه الأحداث .. وأنا أجلس الآن في بيتي الصغير في مدينة «دربان» وأكتب لكم آخر أحداث تلك الرحلة المثيرة .. وقد وصلني اليوم خطاب من «السير هنري كيرتيس» .. هاكم نصه بالكامل :

برايلي هول ، يوركشير .

الأول من أكتوبر 1884 .

عزيزي «كوترمين» .

لقد أرسلت إليك خطابًا منذ ثلاثة أسابيع أخبرك فيه بأننا وصلنا ، وأنا وأخي «جورج» و «الكابتن جود» بسلام إلى إنجلترا .. وذهبنا إلى لندن معًا..

وأرجو أن تعلم أننا ذهبنا إلى بعض الجواهرجية لنعرف القيمة الحقيقية للماس الخاص بك .. وأخشى أن أخبرك بالمبلغ الذي قدروه ، فهو مبلغ

كبير جدًّا جدًّا .. ونصحونا أن نبيع قليلاً من الماس على فترات متباعدة ، ولا نبيع كل الماس في صفقة واحدة ، وذلك حتى نحصل على أعلى سعر ممكن في كل مرة .. وعرضوا دفع مائة وثمانين ألفًا من الجنيهات مقابل كمية صغيرة من هذا الماس .

وأريد منك يا صديقي العزيز أن تفكر جيدًا في العودة إلى انجلترا .. وأن تشتري بيتًا مناسبًا في موقع قريب منا .. لقد اشتغلت كثيرًا وبما فيه الكفاية ، وأصبحت الآن رجلاً غنيًّا تملك أموالاً طائلة .. وهناك منزل جميل بالقرب منا سيروقك تمامًا ، وهو معروض للبيع ويمكنك أن تشتريه.

وأنا على يقين بأنك ستحضر فورًا ؛ لأن ذلك سيسر صديقك المخلص.

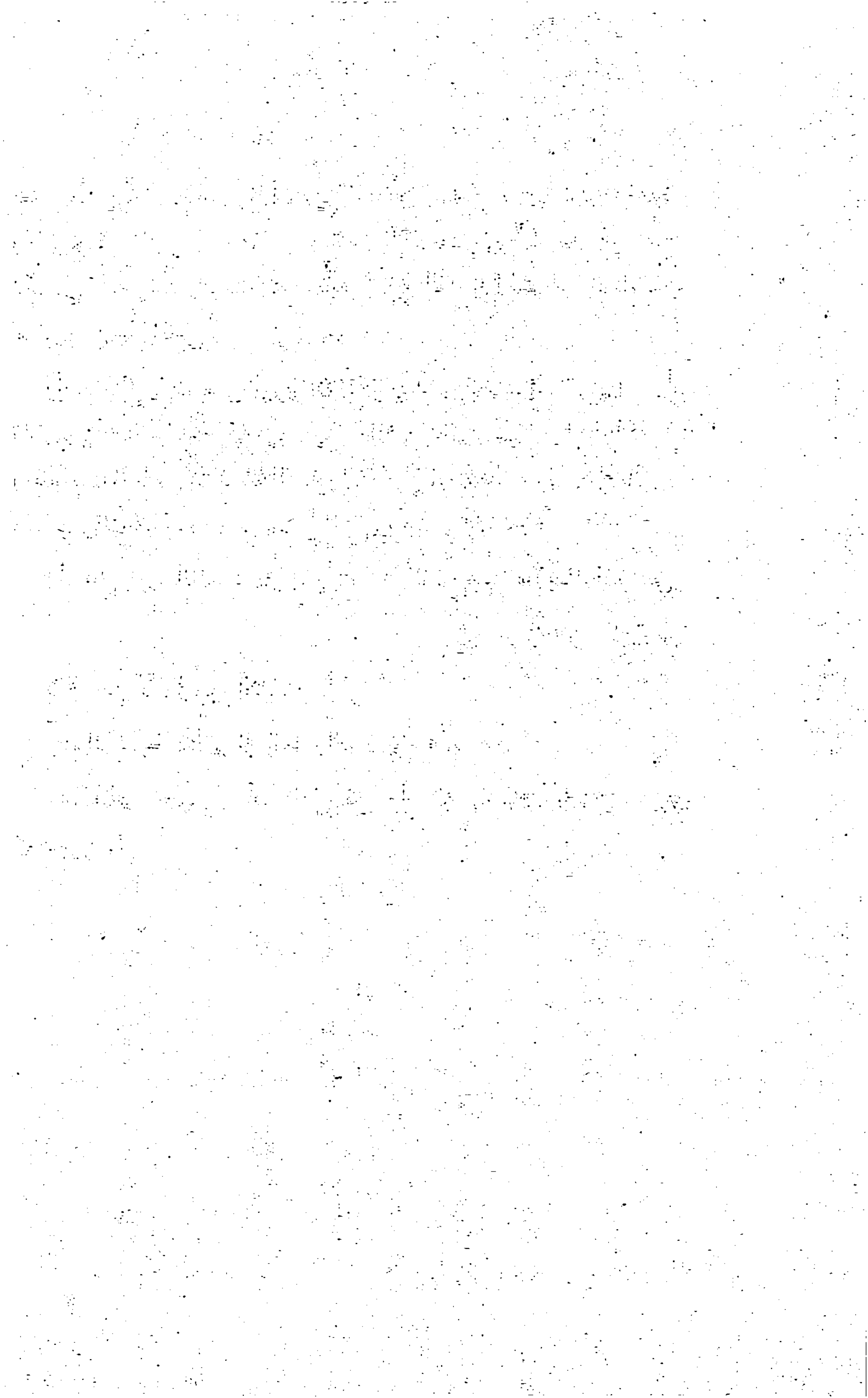
«هنري كيرتيس»

* ونحن الآن في يوم الثلاثاء ..

وهناك سفينة ستبحر إلى إنجلترا يوم الجمعة ..

وأنا أفكر جديًّا في أن أفعل كل ما قاله صديقي العزيز «هنري كيرتيس»..!

* * *



وليـم بـــلاي

ثورة على السفينة بونْتي

MUTINY ON THE BOUNTY.
BY: WILLIAM BLIGH.

اسمي «وليم بلاي» .. ونشأت في ميناء «بلايموث» بانجلترا .. ومنذ صباي وأنا أحلم بأن أصبح قبطانًا على سفينة .. وعندما بلغت سن السادسة عشرة بدأت حياتي العملية فعلاً كرجل من رجال البحر .

في عام 1771م ، كانت إنجلترا تعتبر «ملكة البحار» وسيطر أسطولها على البحار والمحيطات في منطقة تمتد من أمريكا الشمالية حتى الهند .

لم تكن الحياة سهلة ميسورة على سفن الأسطول البريطاني .. كان العمل شاقًا والنظام صارمًا لا يرحم .. وكانت أطقم السفن تتكون غالبًا من مجموعة من المجرمين الهاربين من وجه العدالة ، أو من الرعاع الذين يتم تسخيرهم في الخدمة البحرية .

وكان قباطنة السفن يعاملون هؤلاء الرجال معاملة قاسية وحازمة ، حتى يضمنوا إقرار النظام والطاعة خلال الرحلات البحرية .

وبسبب الطعام الفاسد ونقص الفواكه والخضراوات ، كان مرض الإسقربوط ينتشر غالبًا بين البحارة .. وهو مرض خطير يؤدي إلى الضعف العام وانهيار الصحة وتهرؤ اللثة ، حتى تصبح الأسنان مثل حبوب «البليلة» ، كما يؤدي إلى نزيف من الدم يخرج من الأنف والفم .

وبالرغم من كل ذلك فقد كنت مستمتعًا بتلك الحياة الجافة وتعوَّدت عليها ، وتعلمت بسرعة كيفية رصد الشمس والنجوم لتحديد مسار السفن وقيادتها والإبحار بها في أمان .

وعندما بلغت الثانية والعشرين ، اختارني «الكابتن جيمس كوك» كضابط مسئول عن الإبحار في رحلته الثالثة والأخيرة إلى جزر البحار الجنوبية .. على السفينة «رزوليوشن» التي كان يقودها «الكابتن جيمس كوك» بنفسه .. وكانت تصاحبنا في تلك الرحلة سفينة أخرى اسمها «ديسكوفري» بقيادة «الكابتن تشارلز كلارك» .

وكان من واجبي أن ألاحظ تيارات المد والجزر وحركة الرياح ، حتى أوجه السفينة للإبحار في الخط المحدد لها .. وأصدر الأوامر لتوجيه كل أشرعة السفينة وتشغيل معدات الصواري .. كما كنت أساعد «الكابتن كوك» في دراسة الخرائط والتدوين في دفاتر التسجيل اليومي لأحداث السفينة وأحداث الرحلة .. وتسجيل طبيعة التيارات المائية .

كنا نواصل الإبحار قاصدين «جزر ساندوتش» [هاواي] للراحة وللحصول على التموين ولإجراء بعض الإصلاحات في السفينتين .. وفي الطريق عبرنا على جزيرة صغيرة لا تشير إليها الخرائط ، وهي عبارة عن كتلة صخرية كروية الشكل تبرز عالية فوق سطح البحر .. وقد أطلق «كابتن كوك» على هذه الجزيرة اسم «رأس بلاي» تكريمًا لاسمي .

ووصلنا إلى خليج «كيلاكيكوا» .. حيث لقي «الكابتن كوك» مصرعه على أيدي الأهالي المحليين بعد أن نشبت بيننا وبينهم معركة حامية ..

وقد استغرقت تلك الرحلة نحو أربع سنوات منذ بدايتها إلى أن عدنا أخيرًا إلى إنجلترا التي كانت منهمكة في حروب كثيرة في مستعمراتها ، ومشتبكة في معارك حربية وبحرية مع فرنسا وأسبانيا وهولندا ..

وفور عودتنا عينت قائدًا لسفينة حربية واشتركت في المعارك البحرية التي كانت دائرة في بحر الشمال .. وبعد انتهاء الحرب اختارني عالم الطبيعة

البريطاني الشهير «سير جوزيف بانكس» لكي أقود السفينة « بونتي» التي ينوي الذهاب بها إلى جزيرة «تاهيتي» في البحار الجنوبية للحصول على شتلات «أشجار الخبز» .. بهدف نقلها إلى جزر الهند الغربية وزراعتها هناك لتوفير نوع من المحاصيل الزراعية الرخيصة لتستخدم كغذاء للعبيد السود الذين يعملون هناك .

ولكي نعرف ما هي «أشجار الخبز» و «ثمار الخبز». التي تنتجها هذه الأشجار ، فإني أنقل هنا ما دوَّنه «الكابتن كوك» بنفسه في وصف تلك الثمار عندما شاهدها للمرة الأولى خلال رحلته البحرية الأولى :

«تنبت ثمار الخبز من أشجار ضخمة ذات أوراق كبيرة .. وهي ثمار بيضاوية الشكل ، خضراء اللون ، حجمها مثل حجم رأس الطفل .. ويقوم الأهالي المحليون بجمعها .. ثم يقومون بشيِّها في النار حتى تتفحم قشرتها الخارجية .. وعندما تُنزع القشرة يظهر لُب الثمرة كقطعة واحدة بيضاء ناعمة سهلة المضغ ، شكلها يشبه لباب الخبز » .

وهكذا بدأت رحلتي على السفينة «بونتي» .

* * *

وبطبيعة الحال فقد كان من الضروري أن تتم عملية تجهيز السفينة قبل القيام برحلتها البحرية .. وكانت السفينة «بونتي» صغيرة الحجم ولا يزيد طولها على 90 قدمًا [27.43 متر] .. وكان من الضروري تخصيص أكبر قدر من الفراغات داخل السفينة لاستيعاب ما سوف تشحنه من «أشجار الخبز» .. ولذلك فقد تم تخفيض المساحة المخصصة لإقامة الضباط والبحارة إلى أقصى حد .. كما تم تجهيز العنبر الرئيسي بوسط السفينة ليصبح صالحًا لتشوين «أشجار الخبز» عند نقلها .. كما قمنا بتموين السفينة بما

يلزمنا من طعام ، وبما يلزمها من المعدات مثل المبارد والمناشير والفؤوس .. كما أخذنا معنا بعض الحلي الملونة الصغيرة الضئيلة القيمة ، وذلك بغرض تبادلها تجاريًّا مع الأهالي المحليين في جزر البحار الجنوبية .

كذلك فقد حددت خطة الرحلة البحرية بالإبحار جنوبًا بالمحيط الأطلنطي حتى نصل إلى أقصى الطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية.. ثم نتجه بعد ذلك إلى المحيط الهادي حتى نصل إلى الجزر الواقعة جنوبه .. ثم نحصل على شحنتنا من «أشجار الخبز» .. ثم نشرع بعد ذلك في رحلة العودة بالإبحار غربًا حتى نصل إلى رأس الرجاء الصالح بأقصى الطرف الجنوبي لقارة أفريقيا .. ثم نتجه شمالاً حتى نصل إلى جزر الهند الغربية لنقوم بتسليم الشحنة سليمة وبحالة جيدة . وبعد ذلك نقوم برحلة العودة إلى وطننا في إنجلترا .

* * *

في كل سفينة دفتر خاص يسمى «دفتر تسجيل الأحوال اليومية للسفينة» .. ويقوم القبطان بتدوين تقارير يومية تتضمن تسجيل خطوط الطول والعرض التي تحدد موقع السفينة ، وذكر حركة الرياح والتيارات المائية وجميع الملاحظات والمشاهدات والعوارض والأحداث التي تقع خلال الرحلة البحرية .. وتعتبر هذه التقارير في غاية الأهمية للقباطنة الآخرين الذين يقومون مستقبلاً برحلات بحرية في تلك المناطق النائية التي لا تتوافر عنها معلومات كافية .

وفي اليوم التالي لرحلتنا ، بدأت المتاعب والصعاب فور أن غادرنا القنال الإنجليزي بإنجلترا .. فقد هبَّت علينا عاصفة هوجاء عاتية .. وكاد أحد البحارة يلقى حتفه حين كان يقوم بلف أحد الأشرعة العليا بالسفينة

.. كما أن مياه البحر التي تسربت إلى أحد مخازن السفينة قد أفسدت معظم ما كنا نحمله من الخبز ..

وبعد نحو أسبوعين من المعاناة والتعب ، وصلنا إلى جزيرة «تناريف» وهي أكبر جزيرة من جزر «الكناري» الواقعة في شمال غرب أفريقيا .

ومن أهم الرجال الذين كانوا معي في تلك الرحلة عالمان من علماء النبات هما «دافيد نلسون» ومساعده «وليم براون» .. ومساعدي الضابط البحري «الملازم فلتشر كريستيان» .. الذي كان قد صاحبني في رحلتين سابقتين ، وعلّمته أصول الملاحة وقواعد الضبط والربط الخاصة بإدارة السفن والرحلات البحرية .

بقينا في جزيرة «تناريف» خمسة أيام ، أجرينا فيها بعض الإصلاحات الضرورية للسفينة ، وحصلنا على احتياجاتنا من الفواكه واللحوم والخضراوات .. ثم عاودنا الإبحار من جديد في المحيط الأطلنطي ..

كانت رحلة طويلة مضنية كثرت فيها العواصف العاتية والأمطار الغزيرة .. وبذل الرجال كثيرًا من الجهد لمواجهة هذه العواصف وآثارها على بدن السفينة ، ونزح المياه المتجمعة فوق سطحها أو في غرفها ومخازنها .. ومع ذلك ففي بعض أوقات صفاء الجو ، كان الرجال يصطادون السمك والطيور وننعم بوجبات شهية .

وأثناء الرحلة أصدرت أمري بعقاب البحار «ماثيو كوينتال» بجلده أربعًا وعشرين جلدة بسبب عجرفته وسلوكه المتمرد .. وهي عقوبة أعترف بأنها قاسية جدًّا .. ولكني أعرف أن بمثل هذه العقوبة يستقر النظام والقانون في البحار ..وتم تنفيذ العقوبة أمام كل رجال الطاقم حتى يعرفوا عقوبة عدم الطاعة والإخلال بنظام السفينة ..

وبسبب هبوب العواصف وشدتها لمدة ثلاثين يومًا متواصلة في هذا المحيط الصاخب .. قررت أن أغير خط سير الرحلة .. وبدلاً من الالتفاف حول أقصى جنوب أمريكا الجنوبية ، قررت الانحراف بالسفينة والاتجاه نحـو رأس الرجـاء الصالح بأقصـى الطرف الجنوبي لقارة أفريقيا ، على أن نتوجه بعد ذلك إلى أستراليا ، فندور حولها حتى نصل إلى جنوب المحيط الهادي .

وتوقفنا عند الساحل الأفريقي في منطقة قرب مدينة الكاب .. وبقينا هناك لمدة ثمانية وثلاثين يومًا حيث أجرينا بعض الإصلاحات ، وحصلنا على المؤن والاحتياجات اللازمة لمواصلة الرحلة الطويلة الشاقة التي تنتظرنا .

ووسط عواصف عنيفة وأمطار غزيرة ومياه هائجة ، استمرت رحلتنا حتى وصلنا شواطئ تسمانيا ، فقررت البقاء فيها فترة أخرى للحصول على المياه والأخشاب اللازمة لإصلاحات السفينة ، ثم غادرنا تلك الشواطئ متجهين إلى بغيتنا النهائية في جزيرة «تاهيتي» .

وفي الطريق اكتشفت مجموعة كبيرة من الجزر الصخرية الصغيرة لم تكن مذكورة في الخرائط .. لذلك فقد رسمت لها خريطة خاصة وأطلقت عليها اسم «جزر بونتي» تيمنا باسم السفينة التي أقودها .

وواصلنا الإبحار ليلاً ونهارًا .. ويومًا وراء يوم .. حتى لاحت لنا في الأفق شواطئ جزيرة «تاهيتي» التي زارها من قبل «كابتن كوك» .. وهكذا وصلنا إلى مبتغانا بعد أن قطعنا 27086 ميلاً [أي أكثر من 50 ألف كيلومتر] منذ أن غادرنا سواحل إنجلترا .. وكان معدل سرعتنا نحو 108 أميال [نحو 200 كيلومتر] كل 24 ساعة .. ومرت علينا 8 شهور في تلك الرحلة البحرية الشاقة الحافلة بكل أنواع المتاعب والصعاب .

وأخذ رجال السفينة يهللون فرحًا بسلامة الوصول إلى تلك الجزيرة الجميلة .. وكلما كنا نقترب من الشاطئ .. يكثر عدد القوارب التي كانت تقبل علينا وفيها مجموعة من الأهالي المحليين الذين قدموا للترحيب بنا .. وسألونا أولاً : هل أنتم «تيوس» ومعناها هل أنتم أصدقاء .. كما سألونا : هل جئتم من «بريتاني» وهي الطريقة التي كانوا ينطقون بها اسم بريطانيا .. وما إن أجبناهم بنعم عن كل من هذين السؤالين حتى اندفعت أعداد كبيرة من الأهالي نحو السفينة وأخذوا يتسلقون جوانبها ..

* * *

كان الأهالي يبدون لنا كل مظاهر الصداقة .. وسألونا عن أحوال «الكابتن كوك» أو «الكابتن توت» كما كانوا ينطقون اسمه .. ونبَّهت على جميع رجال السفينة بألا يقولوا إن الكابتن «كوك» قد مات مقتولاً .. ولاحظت أن الأهالي قد استفادوا من زيارة الكابتن كوك لجزيرتهم منذ سنوات ، حيث تعلموا غرس واستنبات أشجار فواكه لم تكن معروفة لهم من قبل .

وفي صباح اليوم التالي وصلتني رسالة شفهية من «أوتو» رئيس الجزيرة بأنه يرغب في زيارة السفينة ، فأرسلت الملازم «كريستيان» ليقوم بمصاحبته وإحضاره .

وعندما وصل رئيس الجزيرة تبادلنا التحية والترحيب بحك أنف كل منا بأنف الآخر كعادة الأهالي المحليين .. وقد أصابتني الدهشة حين علمت أن اسمه أصبح «تيناه» بدلاً من «أوتو» ، وعرفت أن رؤساء تلك الجزيرة يغيرون أسماءهم بين حين وآخر أكثر من اثنتي عشرة مرة خلال فترة حكمهم التي قد تمتد نحو ثلاثين عامًا .

كان «تيناه» ذا جسم ضخم يبلغ طوله أكثر من 190 سم، وقد اصطحب معه زوجته «إيديه» التي كانت ضخمة وطويلة مثله ، وقد أهديت الحاكم بعض البلط والفؤوس الصغيرة والمبارد الحديدية والمناشير ونظارة مقربة وبعض القمصان ، كما أهديت زوجته بعض العقود والخرز المختلف الألوان .. ومع ذلك فقد كان الحاكم يتطلع إلى الحصول على المزيد من الهدايا .. كما طلب مني أن أطلق مدفع السفينة ليرى كيف يعمل.

ودعوت الحاكم وزوجته والأتباع الذين صحبوهما في تلك الزيارة إلى مأدبة غداء .. وكم كانت دهشتي حين رأيت أحد الأتباع يجلس إلى جوار الحاكم ويتولى إطعامه وإدخال الطعام إلى فمه .. ثم ينتظر حتى يبلعه ، فيزق في فمه كمية أخرى من الطعام في شكل قطع متوسطة .. كل ذلك و«تيناه» جالس لا يبذل أي مجهود سوى المضغ .

وبعد انتهاء وليمة الرجال، بدأنا إعداد وليمة أخرى للنساء.. فقد جرت العادة في تلك الجزيرة وغيرها من الجزر المجاورة بتحريم تناول النساء لطعامهن إلا بعد انتهاء الرجال من ملء بطونهم .

وفي صباح اليوم التالي أرسلت العالم «دافيد نيلسون» ومعه مساعده ليبحثا لنا عن أماكن وجود «أشجار الخبز» والكيفية التي سنتبعها عند نقل ما نحتاجه من شتلات تلك الأشجار إلى السفينة ، وأبلغني عالم النباتات ومساعده أنهما شاهدا أعدادًا لا حصر لها من تلك الأشجار ، وأننا نستطيع الحصول على ما يكفينا من شتلاتها .

وبمرور الأيام ازدادت أواصر الألفة والصداقة بين رجال السفينة والأهالي الذين اعتادوا المجيء إلى السفينة والصعود إليها .. كما اعتاد رجال السفينة التجول مع الأهالي في أرجاء الجزيرة .. وقد اكتشفت سرقة

بعض السنانير في غفلة من الرجل المعين للحراسة .. فأمرت على الفور بطرد جميع الأهالي من ظهر السفينة ، كما أصدرت أمري بتوقيع عقوبة قاسية على هذا الحارس وقررت ضربه اثنتي عشرة جلدة .. وأن يتم تنفيذ العقوبة أمام الحاكم «تيناه» وبقية الأهالي .

وفي كل يوم كانت تقوم حفلات الرقص والموسيقى .. كما كانت تقام مباريات المصارعة بين مصارعين من الأهالي ، وكانت «إيديه» زوجة الحاكم تقوم بدور الحكم .. وفي كثير من الأحيان كانت تجري مباريات السباق بين قواربنا وقوارب الأهالي .

وفي أحد الأيام ذهبت مع الحاكم «تيناه» في نزهة إلى الجانب الآخر من الجزيرة ، حيث رأيت أعدادًا لا حصر لها من «أشجار الخبز» .. وقال لي الحاكم إن «الكابتن كوك» أخبره في زيارته السابقة للجزيرة بأن «الملك جورج» ملك إنجلترا قد كلفه بتقديم تحياته وأرسل معه بعض الهدايا التي مازال يحتفظ بها .. فقلت له على الفور إن «الملك جورج» قد كلفني أيضًا بتقديم تحيته ، وقد أرسل معي الهدايا التي قدمتها من الفؤوس والبلط والمناشير وغير ذلك مما قدمته إليه هو وزوجته .

وأبلغني «تيناه» بأنه يدعو «الملك جورج» لزيارة الجزيرة .. أو يذهب هو بنفسه لزيارة الملك في بريطانيا .. وأبلغني أيضًا بأنه على استعداد أن يرسل للملك «جورج» بعض الهدايا من منتجات الجزيرة مثل الفواكه و«أشجار الخبز» .. فقلت له على الفور إن الملك يرغب بالفعل في الحصول على بعض شتلات « أشجار الخبز » فوافق الحاكم على أن نأخذ معنا كل ما نريد من هذه الأشجار .. وذلك على أمل أن يرسل إليه الملك «جورج» في رحلتي القادمة مزيدًا من الفؤوس الحديدية والمبارد والمناشير والأقمشة المختلفة الألوان والقبعات والكراسي والأَسِرَّة والأسلحة والمفرقعات ..

وهكذا أصدرت أوامري للرجال بجمع شحنة «أشجار الخبز» التي سنحملها معنا .. وقد أبدى الأهالي رغبتهم في مساعدتنا ، وقبلنا مساعدتهم بعد أن أفهمناهم كيفية الحَفْرِ حول جذور تلك الأشجار وطريقة خلعها من تربتها وتشذيبها وتهذيبها .

وفي النهاية حصلنا على حمولة كاملة من «أشجار الخبز» التي جئنا من أجلها إلى تلك الجزيرة بعد تلك الرحلة البحرية الشاقة والطويلة .

* * *

كانت الحمولة تتكون من 1015 شجرة موضوعة لحماية جذورها في الصناديق والأوعية والأحواض المناسبة .. بالإضافة إلى ما أخذناه معنا من الفواكه والخضراوات وثمار جوز الهند .. ولم يعد باقيًا أمامنا سوى انتظار الظروف الجوية التي تسمح بإبحار السفينة بسلام .

ولكني اكتشفت فجأة أن ثلاثة من رجال السفينة قد هربوا بأحد القوارب وأخذوا معهم بعض الأسلحة والذخائر والمعدات .. فأصدرت أوامري بضرورة البحث عنهم والقبض عليهم .. وطلبت من الحاكم «تيناه» أن يساعدني في تلك العملية .

وتم بالفعل القبض على الهاربين ، وأمرت على الفور بتطبيق أقصى عقوبة على هؤلاء المجرمين جزاءً لما ارتكبوه من جرائم في حق النظام وقانون الخدمة البحرية على السفن .. وقد تم تنفيذ العقوبة بقسوة بالغة .

ثم اكتشفت بعد ذلك أن الحبل الضخم الغليظ الذي يربط السفينة بالهِلْبِ الذي يثبتها بقاع البحر قد قُطِعَ بعمد قرب الجزء الظاهر فوق سطح الماء .. وقد تم قطع الحبل بعناية ، حيث قطعت معظم جدائله ولم يترك إلا جديلة واحدة .. وخطر ببالي أن قطع الحبل على هذا النحو قد تم بمعرفة بعض رجال السفينة .. ربما لأن رغبتهم في البقاء بالجزيرة قد جعلتهم

يرتكبون تلك الجريمة التي كان من الممكن أن تؤدي إلى انجراف السفينة نحو الشاطئ والاصطدام به بعنف فيدمرها أو يفقدها القدرة على الإبحار مرة أخرى .. وبهذه الطريقة يتمكن الرجال من البقاء نهائيًا بالجزيرة دون أن يتعرضوا لعقوبة الجلد المقررة لجريمة هجر السفينة أو الهروب من الخدمة.

وأخيرًا حلَّ موعد الرحيل .. وحددته في وقت مبكر من صباح اليوم التالي .. وجاء معظم أهالي الجزيرة لتوديعنا ، وكل منهم يحمل هدية مناسبة .. وقد أمرت بجمع كل تلك الهدايا وإضافتها إلى مخازن السفينة التي أصبحت ممتلئة عن آخرها بالمؤن والطعام .

وفي الساعة السادسة والنصف من صباح يوم السبت ، أمرت برفع مخطاف السفينة من قاع البحر ، وملأ النسيم أشرعة السفينة ، وخرجنا من الخليج إلى البحر المفتوح .. وألقينا تحية الوداع لجزيرة «تاهيتي» ..تلك الجزيرة الجميلة التي عشنا فيها ثلاثة وعشرين أسبوعًا كانت حافلة بأواصر الصداقة والحب التي نشأت بين الأهالي ورجال السفينة .

وإني على يقين بأن السعادة التي عشناها في تلك الجزيرة ، قد دفعت بعض رجال السفينة إلى الرغبة في البقاء في الجزيرة والعيش فيها بقية حياتهم والتخلي تمامًا عن فكرة العودة إلى الوطن .. وقد عرفت فيما بعد أن هذه الفكرة كانت السبب الكامن وراء ذلك الحادث الذي أدى إلى فشل وانهيار المهمة الأساسية التي كانت السفينة «بونتي» مكلفة بأدائها .. والتي كنت آمل في تحقيقها بنجاح ..

* * *

وأبحرنا تجاه الجنوب ، ثم انحرفنا إلى الغرب .. وكنا نلقي مراسينا على شواطئ بعض الجزر الصغيرة ، حيث كنت أرسل بعض الرجال للحصول

على بعض الأخشاب وعلى رصيد من الماء النقي الصالح للشرب ولري «أشجار الخبز» يكفينا حتى نصل إلى رأس الرجاء الصالح .

ولقد تعذر الحصول على الماء بكميات كافية . ونظرًا لحرصي الشديد على ألا تموت الأشجار التي نحملها إذا لم تحصل على كفايتها من الماء ، فقد أصدرت أوامري بتحديد وتقليل القدر الذي يحصل عليه الرجال من ماء الشرب .

ولذلك فقد أمرت بتعليق وعاء الماء المخصص للشرب في أعلى الصاري الرئيسي بالسفينة .. وكان على كل رجل يرغب في الشرب أن يصعد إلى أعلى الصاري ، ليحضر الوعاء لأعطيه حصته ، ثم يتسلق الصاري مرة أخرى ليعيد الوعاء إلى مكانه .. وكانت هذه الخطة المتعبة كفيلة بأن تجبر الرجال على تحمل العطش .

وقد لاحظت أن كثيرين من الضباط والبحارة قد اعتادوا على حياة الكسل والتراخي والدعة التي عاشوها في الجزيرة ، وكان عليَّ أن أنهرهم وأذكِّرهم باستمرار أن يدعوا الخمول جانبًا ، وأن يقوموا بأداء واجباتهم التي تتطلبها منهم سفينة مبحرة .

ثم لاحظت اختفاء بعض ثمار جوز الهند التي كانت مخصصة للاستهلاك العام لجميع رجال السفينة .. فجمعت كل ضباط السفينة لأحقق معهم في كيفية اختفاء تلك الثمار ، ولتأنيبهم على كسلهم وعدم تقديرهم للمسئولية ، حتى أصبح سلوك جميع الرجال يتسم بالفوضى وعدم التمسك بالنظم المقررة .. وكان آخر من سألتهم من الضباط هو الملازم «فلتشر كريستيان» الذي أجابني في عجرفة وغطرسة بأنه لا يعرف شيئًا عن سرقة تلك الثمار .. فاضطررت عندئذ أن أسبه أمام الجميع وأن أصفه بأنه كلب ملعون .

وهكذا ظهرت بوادر التآمر والعصيان التي ستدمر الرحلة تدميرًا يدعو إلى اليأس والبؤس .. ولم يعد لديَّ أدنى شك في أن المصيبة ستقع حتمًا .

كان العصيان حركة عفوية طائشة غير مدبرة من قبل ، ومع ذلك فقد تورط فيها بعض الرجال غير عابئين بالعقوبة المقررة على تلك الجريمة وهي الإعدام شنقًا ؛ لأنها أسوأ جريمة يمكن لرجل البحر أن يرتكبها .

وكنت أظن في البداية أن «فلتشر كريستيان» ينوي أن يهجر السفينة هاربًا من خدمتها ؛ لأننا كنا نمر بالقرب من شاطئ جزيرة «توفو» ، وكان يكفيه مجرد الاستيلاء على قارب صغير من قوارب السفينة لكي ينفذ عملية هروبه .. ولكن هذا الظن كان مختلفًا تمامًا عما وقع فعلاً .

كان «فلتشر كريستيان» قد قرر أن يستولي على السفينة «بونتي» نفسها .. ولكي يستولي على السفينة كان لابد أن يتخلص مني قبل كل شيء ..

وقبل مطلع الفجر ، وبينما كان يمارس عمله في نوبة المراقبة ، انتهز هذه الفرصة وأخذ يوقظ الرجال النائمين ويغريهم بالعصيان ضدي ، وكانت أغلبية الرجال الذين اختارهم ممن سبق أن وقَّعت عليهم العقوبات الصارمة ، لذلك فقد انضموا إليه بسهولة ؛ لأن ذلك العصيان يتيح لهم فرصة الانتقام مني .

وقبل مشرق الشمس ، وبينما كنت نائمًا في كبينتي ، اقتحم «فلتشر كريستيان» باب الكبينة .. وكان معه بعض المتمردين .. واندفعوا جميعًا نحوي ، وجذبوني من فوق سريري ، وكتفوا يديَّ خلف ظهري .. وهددوني بالقتل إذا فتحت فمي بأية كلمة .. ومع ذلك فقد صحت بأعلى صوتي لطلب المساعدة والنجدة من ضباط ورجال السفينة .. ولكن المتمردين كانوا قد أغلقوا من الخارج أبواب كبائن الضباط الذين لم يشتركوا معهم في حركة العصيان .



كان المتمردون مسلحين بالسيوف والحراب والبنادق .. وأجبروني على الصعود إلى سطح السفينة وأنا مكتوف اليدين ، وليس عليَّ من الملابس سوى قميصي .. وكان الضابط المكلف بالإشراف على البحارة الذين يعملون على سطح السفينة ومراقبة الأشرعة ، واقفًا في موقعه حين أمره المتمردون بأن يقوم فورًا بإنزال أحد القوارب الكبيرة إلى البحر .. وهددوه بالقتل إذا عصى هذا الأمر .. ومع ذلك فقد احتج هذا الضابط وقال للمتمردين إنهم سيرتكبون جريمة قتل لو أنزلوني في مثل هذا القارب.. ولذلك فقد قام المتمردون بإنزال القارب بأنفسهم .. بينما كان بعض المتمردين الآخرين يصوِّبون أسلحتهم نحوي ويوجهون إليَّ بعض الشتائم.

ونادى المتمردون على بعض رجالي وطلبوا منهم أن يتجمعوا جانبًا .. وكان هؤلاء الرجال : اثنين من البحارة ، وكاتب السفينة ، ونلسون ، ومساعد المدفعجي ، والطباخ ، وخياط الأشرعة .. ثم أحضروا أيضًا جميع الضباط الذين لم يشتركوا معهم في حركة العصيان ، وطلبوا من الجميع أن ينزلوا إلى القارب ، باعتبارهم مطرودين من السفينة .

وقد أعلن بعض البحارة أنهم يريدون مغادرة السفينة معي ومع المطرودين الآخرين ، إلا أن المتمردين أسكتوهم وأجبروهم على البقاء على ظهر السفينة ..وقد صاح بي هؤلاء البحارة لكي أذكر أنهم أبرياء من هذا العصيان ولم يشتركوا فيه إلا جبرًا .

وسمح المتمردون للرجال الذين تقرر طردهم معي بأن يحصلوا على بعض الخيوط والتيل المشمع والحبال والأشرعة و 28 جالونًا من مياه الشرب و150 رطلاً من الخبز وبوصلة .. ورفضوا بأن يزودوهم بأية خريطة أو أية آلة من آلات «السُّدْس» التي تستعمل لرصد الشمس والنجوم لمعرفة اتجاه السير الصحيح .

وأخيرًا فك المتمردون قيودي وأنزلوني إلى القارب مع المطرودين الآخرين .. وكان القارب يترنح بثقله على سطح الماء .. ممتلئًا عن آخره بالركاب ، بل إن حمولته كانت أكبر كثيرًا من القدر المفروض لمثل هذا النوع من القوارب .. وبسبب هذا الثقل غاص القارب في الماء ، حتى أصبح الفارق بين أعلى جوانبه وبين سطح البحر لا يعدو بضع بوصات .. وكان ما فيه من الطعام لا يكاد يكفي إلا لبضعة أيام .. وليس فيه أي مكان يصلح للنوم .

ثم مالت السفينة وانحرفت عائدةً في الطريق العكسي .. وتيقنت عندئذٍ أنها عائدة إلى جزيرة «تاهيتي» .. كما تأكدت أن السبب الوحيد لهذا التمرد ، أن المتمردين كانوا يعتقدون بأنهم سيتمتعون بحياة رغدة سعيدة بين أهالي تلك الجزيرة .. حياة أفضل بكثير من حياتهم في إنجلترا .. كانوا يحلمون بالراحة المستديمة في تلك الجزيرة التي تعتبر من أجمل جزر العالم .. دون الاضطرار إلى بذل أي جهد في أي عمل من الأعمال .

وقبل أن تبتعد السفينة « بونتي » وتختفي تمامًا وراء خط الأفق ، لاحظت أن هؤلاء المتمردين الأوغاد ، أخذوا يلقون « أشجار الخبز » التي كنا قد جمعناها بصعوبة ، في مياه البحر .. شجرة وراء شجرة !

* * *

كنا على مبعدة نحو ثلاثين ميلاً من جزيرة «توفو» .. فقررت التوجه إليها لنحصل على بعض الماء وبعض «ثمار الخبز» .. على أن نتوجه بعد ذلك إلى جزيرة «تونجاتابو» لنقابل ملكها لنحصل منه على تموين وافر من الماء والطعام يكفينا للوصول إلى أقرب مستوطنة أوروبية في تلك المنطقة النائية من العالم .. وهي مستوطنة هولندية تبعد عنا بنحو 6600 كيلو متر تجاه الغرب .

وصلنا في ظلام الليل إلى شاطئ جزيرة «توفو» .. وكان الشاطئ عبارة عن كتلة صخرية عالية ومنحدرًا انحدارًا شديدًا بطريقة يصعب معها تسلقه .. واضطررنا إلى الانتظار حتى الصباح .. وأرسلت بعض الرجال لتسلق هذا الشاطئ الصخري للبحث عن الماء والطعام ، ولكنهم عادوا وقت الظهر ومعهم كمية ضئيلة جدًا من الماء قالوا إنهم غرفوها من الثقوب والحفر الصغيرة ومن شقوق الصخور .. ولهذا فقد قررت اختصار حصص الرجال من الماء ومن الطعام .

وفي اليوم التالي جدفنا جوار الشاطئ باحثين عن مكان آخر في تلك الجزيرة القاحلة لعلنا نجد فيها شيئًا يؤكل أو يشرب .. وشاهدنا عن بُعد مجموعة صغيرة من أشجار جوز الهند ولكنها كانت فوق هضبة عالية منحدرة .. ومع ذلك فقد استطعنا الحصول على نحو عشرين ثمرة من ثمار جوز الهند ..

وبسبب ارتفاع الموج وهياج البحر قررت البقاء لفترة أخرى حتى تهدأ الأمواج قليلاً .. ونزلت بنفسي إلى الشاطئ وكان في صحبتي «نلسون» والكاتب وبعض الرجال الآخرين .. وتسلقنا الهضبة الصخرية المرتفعة مستعينين بحبال مصنوعة من فروع طويلة مجدولة من النباتات المتسلقة أعدها الأهالي لهذا الغرض .. لذلك قلت للرجال الذين كانوا معي إن هذه الجزيرة لابد أن تكون مأهولة .. وأن الأهالي يعيشون في مكان ما ..

وتحقق ظني حين شاهدنا عن بُعد بعض الزراعات .. وقابلنا رجلين وامرأة وطفلاً .. وسرعان ما بدأ أهالي الجزيرة في الحضور إلينا حتى بلغ عددهم نحو ثلاثين شخصًا .. فاشترينا منهم بعض الماء وثمار الخبز مقابل بضعة أزرار وبعض الخرز الملون .

ثم جاء رئيس الجزيرة ومعه أتباعه ، فقدمت إليه قميصًا قديمًا وسكينًا كهدية صداقة .. وتفاهمنا معه بصعوبة ..وشرحت له بالإشارات وببعض الكلمات أن سفينتنا قد غرقت ، وإننا وحدنا الذين نجونا من الغرق .. ثم لاحظت أن عدد الأهالي المحيطين بنا قد ازداد بدرجة كبيرة .. وأنهم يتبادلون همسًا ببعض الكلمات التي لا نعرفها ، ولكن فهمت منها أنهم يدبرون لنا مكيدة ، خصوصًا عندما لاحظت أن بعضهم قد حاول سحب قاربنا إلى الشاطئ .. وعلى الفور أخرجت سيفي من غمده ، ولوحت به في الهواء مهددًا ، فتفرق الأهالي وعاد الهدوء .. ولكنه كان هدوءًا مشحونًا بالتوتر ..

وأمرت رجالي بأن ينقلوا جميع ما حصلنا عليه من المؤن والمياه إلى القارب ، بهدوء وحذر وبشكل لا يثير ريبة الأهالي .. وأفهمت رجالي أيضًا بأن نستعد للإبحار فورًا .. وأن علينا أن نستعد لمعركة متوقعة .

وامتلأ الشاطئ بصفوف من الأهالي .. وكان كل واحد منهم يحمل بيديه حجرين يدقهما في بعضهما بدقات التحفز لهجوم غادر .. وخلال تلك اللحظات تسلل رجالي إلى القارب واحدًا بعد الآخر ، ولم يبق على الشاطئ سواي .. فرفعت سيفي .. وظللت أتراجع إلى أن وصلت إلى القارب .. وأصدرت أمري بالإبحار فورًا .

وبمنتهى السرعة نزل أحد البحارة إلى الشاطئ ليفك الحبل الذي يربط القارب بالشاطئ .. وفي لمح البصر بدأ هجوم نحو مائتين من الأهالي المسلحين بالأحجار ، وأمسكوا بالبحار المسكين وطرحوه أرضًا ، وأخذوا يرجمونه بالأحجار حتى مات .. وفي الوقت نفسه أخذوا يلقون علينا وابلاً من الحجارة التي أخذت تنهال علينا مثل مقذوفات المدافع .. كما أن بعض الأهالي أمسكوا بالحبل الذي يربط القارب بأرض الشاطئ ، وأخذوا

يسحبونه نحو الشاطئ ، ولكني استطعت في النهاية أن أقطع الحبل بسكين كنت أحمله في جيبي .

وحاولنا بمنتهى الصعوبة أن نفك المرساة التي تثبت القارب بقاع البحر .. واستغرق ذلك وقتًا طويلاً .. وظل الأهالي يقذفون أحجارهم علينا حتى أصيب كل رجل على ظهر القارب.. كما لاحظت أيضًا أن الأهالي قد أخذوا يملأون قواربهم بالحجارة لكي يتعقبونا في البحر ، ويستمروا في قذفنا بالحجارة حتى النهاية .

وبعد محاولات مستميتة استطعنا رفع المرساة ، وبدأنا في التجديف بكل ما نملكه من قوة وكل ما نستطيعه من سرعة .. ولكن قوارب الأهالي أصبحت قريبة من قاربنا ، وأصبحوا يصوِّبون أحجارهم نحونا بإحكام تام .. وحاولنا من جانبنا قذفهم بالأحجار التي سقطت علينا وتجمعت لدينا ، ولكني خشيت من أن الحركات العنيفة لعملية قذف الحجارة على الأهالي تؤدي إلى اهتزاز القارب بعنف ، وربما تؤدي إلى انقلابه .

لذلك فقد قررت على الفور أن نقذف في البحر بعض قطع من ملابسنا .. وكانت فكرة صائبة .. فقد خفض الأهالي من سرعة قواربهم ، وتزاحموا على قطع الملابس الطافية فوق سطح الماء لجمعها والتقاطها .. وهنا كانت فرصتنا العظيمة للإسراع في التجديف والابتعاد عن هؤلاء الأهالي الأشرار .. وكان الظلام قد أوشك أن يحل ويغطي كل شيء ، وبالتالي فقد استدارت قوارب الأهالي عائدة إلى الشاطئ .

وفي ظلمة الليل امتلأ شراع القارب بالريح .. وحاولت أن أتذكر الاتجاه الصحيح الذي يجب أن نسير فيه .. وارتفعت أيادي الرجال بالدعاء لكي نعود سالمين إلى إنجلترا .. ولكني قلت لهم إننا سنتوجه إلى «هولندا

الجديدة» [التي سميت فيما بعد بقارة أستراليا] لكي نحصل على زادنا من الطعـام والماء .. ثم يبقى علينا بعد ذلك أن نتجه إلى أقرب مستوطنة أوروبية، وهي المستوطنة الهولندية التي تقع على بُعد نحو ستة آلاف وستمائة كيلومتر، وهي رحلة طويلة مضنية .

وهكذا بدأت رحلتنا في هذا البحر المجهول ، بقارب صغير ، يعيش فيه ثمانية عشر رجلاً .. وبعد أن فقدنا الكثير من المؤن التي جمعناها من جزيرة «توفو» بسبب الاضطراب الذي حدث أثناء المعركة .. كما أن «ثمار الخبز» التي حصلنا عليها من تلك الجزيرة ، قد ديست بالأقدام وتفتت إلى قطع صغيرة .

* * *

كانت الرحلة طويلة ومضنية فعلاً .. فقد ازداد هبوب الرياح العنيفة طوال الوقت ، وكان الجو مشبعًا بالرطوبة الباردة ، وانهمر المطر مدرارًا .. وكان سقوط المطر بهذه الكثافة بادرة خير لنا .. فقد قسمت الرجال إلى قسمين .. قسم ينزح مياه البحر التي كانت تقذفها الأمواج إلى القارب .. وقسم ثان يفرد المشمع لتجميع مياه المطر الصالحة للشرب .

ووسط جو عاصف بصفة مستمرة ، وأمواج عالية تضرب قاربنا بكل قوة ، مررنا على كثير من الجزر المنعزلة .. وأهمها تلك الجزر التي يسميها الأهالي المحليون «جزر فيدجي» .. ولكننا أصبحنا نخشى النزول إلى شواطئ أية جزيرة خوفًا من أن يحدث لنا ما حدث في جزيرة «توفو» ..

لقد عانينا الأهوال من استمرار الرطوبة والبلل ، وأصبحت الليالي باردة بدرجة يصعب احتمالها .. وأصبحنا كالمخدرين نتحرك بصعوبة بالغة .. ولا يحصل كل منا إلا على أقل قدر من الطعام .. ومعظمه من قطع الخبز

التي أفسدتها مياه البحر ، والتي لا يستطيع أي إنسان أن يأكلها إلا إذا كان في حالة بائسة يائسة مثل حالتنا .

وتوالت علينا الأيام والليالي ونحن نعاني كل هذا البؤس والشقاء .. وفي كل يوم كنا نزداد شقاءً وبؤسًا .. وأوشكنا جميعًا على الهلاك ..

وفي صباح أحد الأيام ، شاهدنا حاجزًا ضخمًا من الصخور ، تتلاطم عليه أمواج البحر العالية .. وكان من المؤكد أن وراء هذا الحاجز توجد مياه هادئة خالية من الأمواج .. وصممت على عبور هذا الحاجز مهما كانت المشقة ومهما كانت المخاطر .

ودخلنا من أول فتحة عثرنا عليها في هذا الحاجز الصخري .. ووصلنا أخيرًا إلى المياه الهادئة .. وفي هذه المياه تتناثر مجموعة من الجزر الصغيرة التابعة للقارة الرئيسية .. قارة «هولندا الجديدة» [استراليا] .. ووعدت الرجال بأننا سنلقي مرسانا عند أول شاطئ مناسب نصادفه .. وعلى الفور تبددت متاعبنا وكأنها لم تكن ..

* * *

وعثرنا على خليج صغير ذي شاطئ رملي بإحدى تلك الجزر الصغيرة .. فألقينا مرساة القارب ، ونزلنا إلى البر .. وأخذنا نبحث بحذر عن أية علامة تدل على وجود الأهالي .

وانتشر الرجال منهمكين في البحث عن أي شيء يؤكل .. وسرعان ما اكتشفنا بعض المحارات ملتصقة ببعض الصخور فأكلناها .. وقررت أن ننتظر حتى صباح اليوم التالي ، وقسمت الرجال إلى فريقين ينام أحدهما بالقارب ، وينام الفريق الثاني على أرض الشاطئ . وحاولنا أن نشعل نارًا فكانت تشتعل ببطء ولكنها سرعان ما تخمد .. وأصدرت أوامري بربط

القارب إلى الشاطئ بطريقة تجعل انطلاقه بنا إلى البحر يتم بسهولة وسرعة إذا حدث ما يدفعنا إلى الهرب السريع ..

وفي الصباح حذرت الرجال من أن يُعرضوا أنفسهم لضربة الشمس .. واستطعنا أن نجمع كثيرًا من المحار والقواقع البحرية ، وكمية لا بأس بها من مياه الشرب .. كما نجحت أخيرًا في إشعال النار باستعمال إحدى العدسات المكبرة .. واستطعنا بالتالي أن نطبخ بعض قطع اللحم المملح التي كنا نحتفظ بها ..

وكنت قد حذرت الرجال أيضًا من تناول أي نوع من ثمار «التوت» التي تنتشر أشجاره البرية في المكان ؛ لأن بعض أنواع التوت سامة تقتل على الفور مَنْ يتناولها .. ولكن الرجال لم يأخذوا بهذا التحذير ، وأخذوا يأكلون جميع أنواع التوت التي يعثرون عليها .. وكانت من حسن الحظ من الأنواع غير السامة ، ولها طعم جيد ..

وبعد أن أخذ الرجال راحتهم واستعادوا قواهم ، أصدرت أوامري بالاستعداد للرحيل .. وما إن تجمعنا على ظهر القارب ، حتى ظهرت مجموعة تتكون من نحو عشرين رجلاً من الأهالي المحليين .. وكانوا جميعًا عراة وذوي شعور قصيرة منكوشة ، وأخذوا يصيحون ويصرخون وهم يتجهون نحونا ، ومع كل واحد منهم حربة طويلة يمسكها بيده اليمنى ، بينما يمسك بيده اليسرى سلاحًا قصيرًا .

واستطعنا أن نفلت من هذا الهجوم بأن شرعنا في الإبحار فورًا بعيدًا عن الشاطئ .. وإنْ كنت قد خشيت أن يقوم الأهالي بمطاردتنا بقواربهم ، ولكن ذلك لم يحدث .

وواصلنا الإبحار أيامًا طويلة .. وكنا نرسو على شواطئ بعض الجزر الصغيرة المنعزلة لعلنا نجد ما نأكله أو ماءً نشربه .. وكثيرًا ما كنا لا نجد

شيئًا من هذا أو ذاك .. وساءت صحة الرجال ، وأصبحنا جميعًا جلدًا على عظم من شدة ما أصابنا من هزال وضعف .

وأخيرًا لاحت لنا في الأفق شواطئ «تيمور» .. وغمر السرور العارم كل الرجال الذين كانوا على ظهر القارب .. وقد يكون من المستحيل وصف حالة السرور التي انتابتنا جميعًا .. ومن ذا الذي يمكنه أن يصدق أننا قد وصلنا إلى هذا المكان الآمن .. على ظهر قارب مفتوح .. وبأقل قدر من الطعام والماء .. بعد واحد وأربعين يومًا فقط منذ أن طُرِدنا من السفينة «بونتي» ..؟!

لقد قمنا برحلة شاقة قطعنا فيها نحو ستة آلاف وستمائة كيلومتر .. تعرضنا فيها لهجوم الأهالي المحليين ، وضربتنا الأمواج العالية ، وانهالت علينا سيول المطر ، ولفحتنا حرارة الشمس ، وعانينا من الرطوبة والبرد في الليالي الطويلة المظلمة .. وبالرغم من كل هذه المخاطر والصعاب ، لم نفقد سوى رجل واحد هو البحار المسكين «جون نورتون» الذي قتله أهالي الجزيرة «توفو» وهو يؤدي واجبه ..

* * *

كان منظر شواطئ الجزيرة يبدو من البحر في غاية الروعة .. وسعدنا كثيرًا برؤية العديد من المناطق المزروعة .. وازدادت سعادتنا حين سمعنا صوت قذيفتين من قذائف المدفعية كعلامة للترحيب بنا ، الأمر الذي أعاد الحياة إلينا وأنعش الأمل في نفوسنا ، بعد أن أدركنا أننا وصلنا بالفعل إلى المستوطنة الهولندية .. وشاهدنا على الجانب الشرقي للخليج سفينتين كبيرتين من السفن الشراعية الهولندية .

كان الميناء عبارة عن مدينة صغيرة اسمها «كوبانج» .. وأخذنا نجدّف حتى وصلنا إلى رصيف الميناء .. وتقدم إلينا أحد الجنود الهولنديين وأخذ

يساعدنا في النزول من القارب .. واستقبلنا الآخرون بترحيب شديد .. وأمر قبطان إحدى السفينتين بأن ننزل جميعًا ضيوفًا عليه في بيته .. ثم قام هذا القبطان بنفسه بمصاحبتي لمقابلة الحاكم .

كان رجالي يسيرون على الشاطئ مترنحين .. بل وكانوا عاجزين تمامًا عن تحريك أرجلهم .. ومع ذلك فقد كانت الدموع تتساقط من عيونهم بسبب ما يلقونه من عطف ورعاية .. وفي بيت القبطان قدموا إليهم الشاي والخبز والزبد .. وأحضروا لهم طبيبًا ضمَّد جراحهم .. وزودوهم بملابس جديدة ..

ووعدني الحاكم بأنه سيوفر لنا الحماية والمأوى والطعام وسنظل في ضيافته حتى نسترد قوانا تمامًا .. وذكرت للحاكم وصفًا رسميًا دقيقًا لكل فرد من المتمردين الذين استولوا على سفينتي ، ووصفًا للسفينة «بونتي» نفسها حتى يتم القبض عليها وعلى المتمردين جميعًا .

واشتريت سفينة شراعية صغيرة على أن أدفع ثمنها عند وصولنا إلى إنجلترا .. وجهزت تلك السفينة بكل الاحتياجات البحرية ، وأطلقت عليها اسمًا جديدًا هو «ريسورس» [ومعناه السَّلْوَى] .. ووضعت خطة الإبحار بأن نتوجه إلى «بتافيا» عاصمة «جاوه» .. ومنها نتوجه ضمن أسطول السفن المتوجهة إلى أوروبا .

وقبيل أن نغادر مدينة «كوبانج» بوقت قليل ، مات «دافيد نلسون» بالحمى .. وقمنا بدفنه في جبانة أوروبية عند طرف المدينة .. وقد حزنت كثيرًا لفقد هذا الرجل .

وعندما وصلنا إلى ميناء «بتافيا» زودنا السفينة بالماء والطعام والمؤن ، وانضممنا إلى أسطول يتكون من عشرين سفينة تجارية هولندية من السفن التي تعمل في خط هولندا – شرق الهند .

وأبحرنا ضمن هذا الأسطول .. وكانت رحلتنا حول رأس الرجاء الصالح هادئة وناجحة .. وبعد نحو خمسة أشهر من الإبحار المتواصل، وصلنا إلى شواطئ انجلترا في 13 مارس سنة 1790 .

ومن الرجال التسعة عشر الذين طردهم المتمردون من السفينة «بونتي»: قتل واحد منهم على أيدي المتوحشين .. ومات آخر ودفن في «كوبانج» .. ومات أربعة آخرون بسبب الجو غير الصحي في «جاوه» .. وأخيرًا مات رجل سابع أثناء رحلة العودة ..

وعاد اثنا عشر رجلاً أحياء إلى الوطن ، بعد أن ساعدهم الله على اجتياز كل المتاعب والمصاعب والمخاطر التي اكتنفت رحلتهم .. حتى وصلوا سالمين آمنين إلى أرض الوطن .

* * *

تشارلز ديكنز

أوليڤر تويست

OLIVER TWIST.
BY: CHARLES DICKENS.

في إصلاحية الأحداث التابعة لإحدى الأبرشيات بانجلترا .. ولد طفل صغير ، وماتت أمه بعد الولادة مباشرة .. ولم يعرف أحد شخصية تلك الأم المسكينة ولا من أين جاءت . وكان من الواضح أنها غير متزوجة ؛ لأنها لم تكن تلبس دبلة الزواج في إصبعها .

وفي تلك الإصلاحية أطلقوا على هذا الطفل الوليد اسم «أوليڤر تويست» .. وقبل أن يبلغ العام الأول من عمره ، أرسلوه إلى إصلاحية أحداث أخرى قضى فيها نحو (8) سنوات بائسة .. وكانت «مسز مان» مديرة الإصلاحية تحصل على نقود من الأبراشية لشراء الملابس والطعام للأطفال ، ولكنها كانت تحتفظ بمعظم هذه النقود لنفسها .. وكانت لا تدع الأطفال يستحمون أو يحصلون على كفايتهم من الطعام .

وعندما بلغ «أوليڤر» سن التاسعة ، حضر إلى الإصلاحية أحد موظفي الأبراشية ، وكان اسمه «مستر بامبل» وهو رجل بدين متوسط العمر حاد الطباع ، وأخذ الغلام لإعادته إلى الإصلاحية التي ولد فيها حيث يتقرر أمره . وهناك قررت لجنة مكونة من عشرة رجال أن على «أوليڤر» أن يتعلم حرفة . وتم بالفعل الإعلان عن ذلك بتعليق ورقة خارج الإصلاحية ، كتبوا فيها أن الإصلاحية على استعداد لدفع مبلغ خمسة جنيهات لمن يأخذ الطفل «أوليڤر تويست» ليعلمه إحدى الحرف ..

وتقدم «مستر ساوربري» الحانوتي وأخذ «أوليفر» إلى بيته ، ليعمل صبيًا له . واستقبلته زوجة الحانوتي استقبالاً سيئًا ، وطلبت من الخادمة «شارلوت» أن تعطي له كسرة من الخبز وقطعة من اللحم البارد المخصص للكلب .. ثم تركوه لينام في الحجرة المخصصة لتخزين التوابيت الفارغة التي تنتظر ما سوف يوضع فيها من جثث الموتى .. وكانت الحجرة شديدة الظلام .. وقضى «أوليفر» ليلة مخيفة مليئة بأسباب الفزع .

وفي صباح اليوم التالي تعرف «أوليفر» على «نوح كلايبول» صبي الحانوتي .. وهو ولد سيىء الخلق وقليل الأدب .. وعانى «أوليفر» كثيرًا من سوء معاملة هذا الولد له .. وفي يوم ما تشاجر «نوح» مع «أوليفر» وقام بسب أمه ونعتها بأوصاف سيئة .. وبالرغم من أن «أوليفر» كان أصغر منه سنًا ، إلا أنه انقض عليه وألقاه على الأرض وأخذ يلكمه بقوة .. واستغاث «نوح» بسيدته زوجة الحانوتي وبالخادمة «شارلوت» .. وبذلت الاثنتان جهدًا كبيرًا في تخليص «نوح» من الركلات واللكمات التي كان يوجهها إليه «أوليفر» .

وأرسلوا الخادمة «شارلوت» لاستدعاء «مستر بامبل» الذي حضر على التو ، وأخذ يضرب «أوليفر» ضربًا مبرحًا ، وقرر أن يحبسه في حجرة مظلمة .. وعندما اختلى «أوليفر» بنفسه في تلك الحجرة ، سالت الدموع من عينيه حزنًا وأسى .. ولكن في منتصف الليل ، تسلل «أوليفر» هاربًا من بيت الحانوتي .. إلى الأبد .

* * *

ظل «أوليفر» يسير في طريق طويل شاق لمدة سبعة أيام متوالية .. يتسول الطعام من أكواخ الفقراء .. ويقضي الليل نائمًا على أكوام القش والأعشاب .. إلى أن وصل قرب مدينة «لندن» حيث قرر أن يختفي هناك .

وتقابل «أوليڤر» مع صبي يبدو في مثل سنه ، ويرتدي ملابس قذرة ، ولكنه كان يتصرف مثل الرجال الكبار .. وكان اسم هذا الصبي «جاك دواكينز » ولكنه كان مشهورًا بلقب «المكّار» ..

وعندما عرف «المكّار» تفاصيل الحياة البائسة التي عاشها «أوليڤر» طمأنه ، ووعده بأنه سيقدمه إلى رجل يعرفه اسمه «فاجين» سيضمن له الغذاء والمأوى والعمل .

ووصل الصبيان إلى أحد الشوارع الجانبية القذرة ، ودخلا إلى بيت شبه مهدم حيث يعيش اليهودي «فاجين» وعصابته من الرجال الكبار والصبيان الصغار .. وبعد أن تناول الجميع طعامهم الذي كان مكونًا من قطع السجق . سأل «فاجين» صبيانه عما أحضروه معهم من جولاتهم في المدينة . فقام صبي اسمه «بيتس» قال إنه أحضر أربعة مناديل من الحرير .. فأثنى عليه «فاجين» وهنأه على نشاطه ..

والتفت «فاجين» إلى «أوليڤر» وسأله عما إذا كان يريد أن يتعلم بعض الألعاب الجميلة وكيفية إحضار مثل هذه المناديل الحريرية وغيرها من الأشياء الأخرى الثمينة .. فأجاب «أوليڤر» بأنه على استعداد للقيام بتلك الألعاب لو تعلم الطريقة .

وعندئذٍ قام «فاجين» وبعض صبيانه بتعليم «أوليڤر» الطرق الاحتيالية التي يقومون بها لسرقة المناديل وعلب النشوق والأشياء الثمينة من جيوب الناس الذين يمرون في الشوارع أو يقفون أمام «فتارين» المحلات .. وبعد فترة من التدريب المتواصل تعلم «أوليڤر» كيف يفعل ذلك بسهولة .. وسمح له «فاجين» بأن يخرج للعمل مع «المكار» والصبي «بيتس» .

* * *

وقف «أوليڤر» يراقب زميليه اللذين تقدما إلى «جنتلمان» عجوز كان يفحص بعض الكتب في إحدى المكتبات .. وبسرعة شديدة قاما بسرقة المنديل الحريري من جيبه ، وانطلقا يعدوان بأقصى سرعة . وعندئذ انطلق «أوليڤر» هو الآخر جاريًا في الطريق . وكان الرجل العجوز «مستر براونلو» قد تنبه إلى السرقة التي حدثت له . فصاح طالبًا النجدة والمساعدة في الإمساك بهؤلاء اللصوص .. وعلى الفور تجمع الناس وأخذوا يعدون خلف الصبية الهاربين .. وتمكن شاب له شفتان أرجوانيتان وأصابع ذات جروح حمراء متقرحة ، من إلقاء القبض على «أوليڤر» بعد أن ألقاه أرضًا .

وكان «أوليڤر» يرتجف من شدة الخوف .. يغطي الطين والتراب جسمه وملابسه ، وتنزف الدماء من جرح بشفتيه .. وعندما أخذوا «أوليڤر» وقدموه إلى القاضي .. تقدم صاحب المكتبة وأقسم اليمين بأن «أوليڤر» ليس هو اللص الذي سرق المنديل من جيب «مستر براونلو» فحكم القاضي ببراءة «أوليڤر» وإطلاق سراحه .. ولكن «أوليڤر» سقط في تلك اللحظة مغشيًا عليه من شدة ما كان يعانيه من مرض وانفعال .

وهنا قرر «مستر براونلو» أن يصحب ذلك الصبي المظلوم إلى منزله ليوفر له الرعاية والعلاج .. وهناك أرقدوه على سرير نظيف للمرة الأولى في حياته .. وقامت «مسز بدوين» مديرة المنزل بتمريض «أوليڤر» حتى استعاد صحته بعد بضعة أيام .

وقد لاحظ «مستر براونلو» وكذلك «مسز بدوين» أن هناك شبهًا غريبًا وواضحًا جدًا بين ملامح «أوليڤر» وملامح صورة لامرأة شابة على قدر كبير من الجمال ، كانت معلقة على حائط حجرة الجلوس بالمنزل .. ولذلك فقد قرر «مستر براونلو» أن يعرف كل شيء عن مولد «أوليڤر» وكيف عاش حياته الماضية .. ومن هم أهله وأسرته ..



وبعد عدة أيام كان «مستر براونلو» جالسًا مع صديقه «مستر جريمويج» يتحدثان في أمر الصبي «أوليڤر» والشبه الغريب بين ملامحه وملامح الشابة الجميلة صاحبة الصورة .. ثم قام «مستر براونلو» باستدعاء «أوليڤر» وأعطاه خمسة جنيهات وبعض الكتب .. وطلب منـه أن يسلم هذه الجنيهات إلى صاحب المكتبة ثمنًا للكتب التي اختارها .. وأن يُعيد إليه هذه الكتب الأخرى التي لا يريدها ..

وعلق «مستر جريمويج» على ذلك بأنه يشك في هذا الصبي الذي يتوقع منه أن يبيع تلك الكتب ويحصل على الجنيهات لنفسه ، ولن يعود إلى البيت مرة أخرى .. ولكن «مستر براونلو» قال إن هذا الكلام فارغ .. وإن «أوليڤر» ولد طيب .

* * *

ولكن «أوليڤر» لم يعد إلى المنزل فعلاً .. فقد اختطفه «بيل سايكس» والفتاة «نانسي» التي كانت تعيش معه .. وهما عضوان بالعصابة الإجرامية التي يرأسها «فاجين» .. وكانا مكلفين بتتبع خطوات «أوليڤر» والقبض عليه وإعادته إلى العصابة ، حتى لا يشي بأمر هذه العصابة إلى الشرطة بعد أن عرف الكثير من أفرادها وأسرارها .

وقام «فاجين» بضرب «أوليڤر» بعصا غليظة ، واستولى على الملابس النظيفة التي كان يرتديها ، وعلى الكتب ، وعلى الجنيهات الخمسة التي كانت معه .. وظل يضربه بقسوة إلى أن تدخلت الفتاة «نانسي» وأنقذت الصبي المسكين من هذا الضرب المتواصل ..

* * *

وكان «مستر براونلو» قد علَّق بعض الإعلانات على نواصي الشوارع بمنح جائزة قدرها خمسة جنيهات لكل من يستطيع أن يُدلي بأية معلومات

عن الصبي «أوليڤر تويست» .. وتصادف أن «مستر بامبل» كان في مأمورية بلندن وقرأ أحد هذه الإعلانات ، فتوجه على الفور إلى العنوان المذكور في الإعلان .. وقابل «مستر براونلو» وأبلغه أنه يعرف «أوليڤر تويست» هذا.. وهو طفل مجهول الأبوين .. ماتت أمه بعد أن ولدته بإصلاحية الأحداث .. وإنه كان طفلاً سيئًا .. وإنه هرب من بيت الحانوتي بعد أن ضرب صبيه .. وانصرف «مستر بامبل» بعد أن حصل على الجنيهات الخمسة .

* * *

كان «بيل سايكس» و «توبي كراكيت» وهما من رجال عصابة «فاجين» قد وضعا خطة لسرقة أحد البيوت .. وكانت هذه الخطة تتطلب استخدام طفل صغير الجسم ضئيل الحجم للتسلل خلال نافذة صغيرة للبيت الذي ينويان سرقته .. وأرسل «سايكس» الفتاة «نانسي» التي تعيش معه لإحضار «أوليڤر» من بيت «فاجين» لكي يستخدمه في تنفيذ تلك الجريمة.

وهكذا اصطحب «بيل سايكس» و «توبي كراكيت» معهما الصبي المسكين عند تنفيذ جريمة السطو على المنزل .. ولكن الجريمة فشلت ؛ لأن أهل البيت استيقظوا وتبادلوا إطلاق النار مع اللصين .. وأصيب «أوليڤر» في تلك المعركة بجرح جعله ينزف دمًا .. وحمله معهما اللصان عندما هربا.. ولم يعد «أوليڤر» يحس بشيء سوى أنه راقد على أرض ناعمة رطبة .. بينما برودة الموت تزحف ببطء إلى قلبه .. وأخذت الأصوات تخبو رويدًا .. ثم أصبح لا يسمع ولا يرى .

* * *

نعود الآن قليلاً إلى إصلاحية الأحداث التي ولد «أوليڤر» في إحدى حجراتها .. وكانت تدير الإصلاحية الآن امرأة بدينة اسمها «مسز كورني»

وهي أرملة منذ خمس وعشرين سنة .. وكانت معجبة «بمستر بامبل» ؛ لأنه أعزب وتتمنى الزواج منه .. وكان الاثنان يتناولان أكواب الشاي ويتبادلان عبارات الغزل حين دخلت عليهما امرأة عجوز من النساء اللاتي يعشن بالأبرشية ، وأخبرت «مسز كورني» بأن «سالي العجوز» على وشك الموت ، وأنها تطلبها لأمر مهم جدًا .. وذهبت «مسز كورني» إلى حجرة السطح التي تحتضر فيها «سالي العجوز» .

وقبل أن تلفظ المرأة المحتضرة آخر أنفاسها ، باحت بسر خطير همست به في أذن «مسز كورني» .. قالت العجوز بصوت واهن .. إنها سرقت قطعة من الحلي الذهبية كانت الشيء الوحيد الذي كانت تملكه الشابة الجميلة التي وضعت طفلها في تلك الإصلاحية منذ سنوات ، ثم ماتت فور ولادة الطفل الذي أطلق عليه اسم «أوليفر» .. وإنها ظلت محتفظة بتلك القطعة الذهبية .. ولكنها اضطرت إلى رهنها لدى أحد محلات الرهونات نظير هذا الإيصال ..

وما إن مدت «سالي العجوز» يدها لتقديم هذا الإيصال إلى «مسز كورني» .. حتى أصابتها رعشة ضعيفة وأسلمت الروح ..

* * *

كاد «فاجين» يجن حين علم بفشل عملية السطو على البيت وإصابة «أوليفر» .. وهدد الجميع بالويل والثبور .. ثم ذهب «فاجين» إلى إحدى الحانات الوضيعة ، وتقابل مع شاب ذي شفتين أرجوانيتين وأصابع مقروحة ، وهو نفس الشاب الذي جرى خلف «أوليفر» وقبض عليه وسلمه إلى الشرطة عندما فشلت عملية سرقة «المستر براونلو» من قبل .. وكان اسم هذا الشاب «مونكس» .

ي ف «مونكس» هذا لـ «فاجين» إنه غير مسئول عن مقتل «أوليڤر» لو مات .. وإنه اتفق مع «فاجين» فقط أن يعلمه السرقة والنشل ويدفعه لكي يرتكب جريمة تودي به إلى السجن المؤبد .. وتوقف «مونكس» عند هذا الحد من الحديث بعد أن لاحظ خيال امرأة يبدو أنها كانت تتنصّت إلى ما دار من كلام بين الرجلين .

* * *

وعندما أفاق «أوليڤر» من غشيته .. تحامل على نفسه وأخذ يسير بضعف شديد نحو أقرب بيت إليه .. وكان نفس البيت الذي اشترك «أوليڤر» في اقتحامه مع اللصين . وتعرف خادما البيت على «أوليڤر» وأعلنا أنه نفس الطفل الذي أصيب عندما أطلقا الرصاص على اللصوص.

ولكن صاحبة البيت «مسز مايلي» وكانت معها فتاة جميلة في نحو السابعة عشرة من عمرها [وهي ابنة أخ لمسز مايلي] وكان اسمها « روز مايلي» .. عطفت السيدتان على الطفل الصغير الجريح .. وانجذبتا إلى ملامحه الجميلة الهادئة .. وطلبتا من أحد الخدم أن يتوجه لإحضار الطبيب ليتولى معالجة «أوليڤر» حتى يشفى .

وبعد أن استعاد «أوليڤر» صحته وشفي تمامًا من جرحه .. حكى لكل من «مسز مايلي» و «روز مايلي» كل الأحداث التي مرت بحياته منذ يوم مولده .. فعطفت عليه السيدتان أكثر وأكثر .. بل وقررت « مسز مايلي » أن تستبقي «أوليڤر» ليعيش معهم في البيت كفرد من أفراد الأسر .

غير أن الفتاة الجميلة «روز مايلي» سقطت مريضة بالحمي .. ووصل إلى البيت شاب وجيه هو «هاري مايلي» وهو ابن «مسز مايلي» وكان يحب «روز» ويتمنى الزواج بها .. ولكن أمه – بالرغم من حبها لروز – كانت

تتحفظ على هذا الزواج خوفًا من أن يؤثر ذلك على مستقبل ابنها وحياته في المجتمع .. لأن «روز» كانت غير معروفة الأصل .

ورويدًا رويدًا بدأت «روز» مرحلة الشفاء من مرضها واجتازت مرحلة الخطر الذي كان يهددها بالموت .. وقد شاع الفرح في جميع أنحاء البيت .. وقدم «أوليفر» باقة من الزهور والورود لإعلان فرحته بشفاء «روز» وعودتها إلى الحياة الطبيعية .

وفي عصر أحد الأيام ، بينما كان «أوليفر» جالسًا في حديقة البيت .. لاح أمامه فجأة وجه «فاجين» ، وكان معه ذلك الشاب صاحب الشفتين الأرجوانيتين والأصابع المقروحة الذي كان يسمى «مونكس» .. فصاح «أوليفر» طالبًا النجدة .. فأسرع إليه كل من بالبيت وأخذوا يفتشون في كل مكان ، ولكنهم لم يعثروا على أي أثر للرجلين .

* * *

كان «مستر بامبل» قد تزوج «مسز كورني» بعد أن أصبح مديرًا للإصلاحية . وفي يوم ما جاءه الشاب «مونكس» وأعطاه بعض النقود لكي يخبره بجميع معلوماته عن «أوليفر تويست» منذ وُلد في هذه الإصلاحية إلى آخر مرة رآه فيها .. وقال «مستر بامبل» كل ما يعرفه ، ولكنه ذكر لـ «مونكس» أن زوجته تعرف أسرارًا أخرى عن الشابة الجميلة أم «أوليفر» والتي ماتت بعد ولادته مباشرة .. فطلب «مونكس» من «مستر بامبل» أن يحضر معه زوجته ليزوراه في بيته .

وطلبت زوجة «مستر بامبل» من «مونكس» أن يدفع لها خمسة وعشرين جنيهًا مقابل المعلومات المهمة التي ستقولها ، فدفع «مونكس» هذا المبلغ وجلس يستمع .. وقالت المرأة بثبات إنها علمت من إحدى النساء العجائز

وكان اسمها «سالي» أن الشابة الجميلة أم «أوليڤر» كانت تحتفظ بعلبة صغيرة داخلها خاتم زواج من الذهب ودلاية من دلايات الصدر مصنوعة من الذهب على شكل علبة دقيقة داخلها خصلتان من الشعر .. وقد ماتت «سالي العجوز» وهي تقول إنها سرقت هذه الأشياء بعد موت الأم .. ثم قامت برهنها لدى أحد محلات الرهونات وأعطتها ورقة الإيصال الدال على ذلك .. وذهبت هي إلى هذا المحل ودفعت الدين وفوائده ، وحصلت على تلك الأشياء الذهبية .. وقدمت هذه الأشياء إلى «مونكس» للتدليل على صدق قولها .

واستراح «مونكس» لدى سماعه تلك المعلومات ، وأحضر صرة وضع فيها هذه «الأدلة الذهبية» وربطها بحجر ثقيل وألقاها في النهر .. واستدار إلى «مستر بامبل» وزوجته وهددهما بالموت لو باح أحدهما بهذا السر .

* * *

وفي يوم ما أرسل «سايكس» الفتاة «نانسي» إلى بيت «فاجين» لتحضر له بعض النقود .. وهناك تصادف أنها سمعت حديثًا آخر كان يدور بين «فاجين» و «مونكس» .

ولكن الحديث هذه المرة كان حافلاً بالأسرار المذهلة تتعلق بحقيقة شخصية أم «أوليڤر» وشخصية أبيه .. وعلمت أن «مونكس» هو أخ غير شقيق «لأوليڤر» ، وأن والد «مونكس» - وهو أيضًا والد أوليڤر - قد أوصى لابنه «أوليڤر» بنصيب من ثروته إذا كان لم يزل على قيد الحياة وبشرط ألا يكون قد ارتكب أية جريمة تلوث شرف العائلة .

وعلمت الفتاة « نانسي » أيضًا أن « مونكس » قد ارتاح الآن بعد أن تخلص من الدليل الوحيد الذي تركته أم «أوليڤر» قبل أن تموت ..

ووعد «مونكس» أن يدفع مكافأة كبيرة لـ «فاجين» إن هو استطاع أن يقتل «أوليفر تويست» ، أو يجعله يرتكب جريمة تودي به إلى السجن المؤبد أو الإعدام .. كما قام «مونكس» بإبلاغ «فاجين» أن العائلة التي يقيم معها «أوليفر» الآن موجودة في أحد الفنادق الراقية في لندن .

وعندما عرفت «نانسي» كل هذه الحقائق عن عائلة «أوليفر» وكل هذه المؤامرات التي تُحاك ضده ، قررت أن تذهب إلى الفندق الذي تقيم به هذه العائلة لتطلب مقابلة «روز مايلي» لتحكي لها كل ما عرفته من هذه الأسرار.

وبطبيعة الحال فقد فرحت «روز مايلي» بسماع تلك الأسرار وعرضت مساعدتها «لنانسي» حتى تتخلص من حياتها مع هؤلاء المجرمين من أفراد العصابة .. واتفقت معها على اللقاء في مساء يوم الأحد فيما بين الساعة الحادية عشرة ومنتصف الليل عند كوبري لندن إذا جدَّ جديد من الأحداث أو الأسرار الأخرى .

* * *

في ذلك الوقت كان «مستر براونلو» قد عاد من الخارج واستأجر بيتًا في أحد شوارع المدينة . وعندما علم «أوليفر» بعودة «مستر براونلو» أصر على الذهاب إليه ، ليشرح له ما حدث منذ لحظة اختفائه مع الكتب والجنيهات الخمسة .. وهنا لاحت في ذهن «روز مايلي»فكرة الذهاب مع «أوليفر» إلى بيت «مستر براونلو» ، لتخبره بما عرفته من أسرار وتطلب منه المساعدة في إنقاذ «أوليفر» نفسه وإنقاذ نصيبه في التركة التي تركها له والده ..

وقد اندهش «مستر براونلو» كثيرًا عند سماع تلك الأسرار .. وفي الوقت نفسه فقد فرح بظهور «أوليفر» من جديد .. وفرحت كذلك «مسز بدوين» مديرة البيت ، واستقبلت «أوليفر» بالأحضان والدموع .

وهكذا فكر «مستر براونلو» ومعه صديقه «مستر جريمويج» في وضع خطة لإنقاذ «أوليفر» من جميع تلك المؤامرات التي تُحاك حوله .. ومعرفة حقيقة أمه وأبيه .. وكانت هذه الخطة تتطلب ضرورة معرفة الشخصية الحقيقية للشاب «مونكس» وإحضاره إلى البيت بأية طريقة ممكنة ، وتهديده بفضح أمره إذا لم يعترف بحق «أوليفر» في تركة أبيه .. وعلى هذا فقد قرر «مستر براونلو» الذهاب مع «روز مايلي» لمقابلة الفتاة «نانسي» عند كوبري لندن ليعرفا منها كل شيء عن «مونكس» .

وعندما تم هذا اللقاء السري في موعده .. أبلغتهما «نانسي» بجميع الأوصاف المميزة لهذا الشاب «مونكس» .. فهو رجل طويل وقوي وله شعر أسود وعيون سوداء .. عمره نحو (28) سنة .. وتنتابه بين حين وآخر نوبات عصبية ، ولذلك فشفتاه أرجوانيتان متورمتان من كثرة العض عليهما بأسنانه .. وفي بعض هذه النوبات يقوم أيضًا بِعَضّ يديه وأصابعه ، ولذلك فهي مليئة بالجروح الحمراء المتقرحة .

ولكن الفتاة «نانسي» كانت موضوعة تحت مراقبة العصابة .. وعلم «فاجين» بأمر تلك المقابلة التي تمت بينها وبين «مستر براونلو» و «روز مايلي» فأبلغ «سايكس» بذلك .. فثار «سايكس» ثورة غاضبة وعارمة على خيانة «نانسي» فقتلها دون رحمة .. ولاذ بالفرار ..

* * *

وفي النهاية تمكن «مستر براونلو» من اختطاف «مونكس» وإحضاره إلى منزله . وهدده بفضح أمره إلا إذا اعترف بحق أخيه «أوليفر» في ثروة أبيه .. وفوجئ الجميع بأن «مستر براونلو» كان صديقًا حميمًا لوالد كل من «مونكس» و «أوليفر» وأنه يعرف كل أسراره .. فبعد أن انفصل والد «مونكس» عن زوجته أم «مونكس» وقع في حب فتاة من عائلة نبيلة اسمها

«آجنس» كان قد رسم لها صورة بنفسه .. وقد لاحظ «مستر براونلي» الشبه الغريب بين ملامح تلك الصورة وملامح «أوليفر» حين جاء إلى بيته للمرة الأولى بعد حادث سرقة المنديل ..

وبعد إعلان موت الوالد المفاجئ .. اكتشفت حبيبته المسكينة «آجنس» أنها حامل ، وقالت هذا السر لوالدها الذي اصطحبها إلى مكان بعيد هي وأختها الطفلة الصغيرة ، وذلك ليتقي عار الفضيحة .. وفي هذا المكان البعيد غيَّر اسمه وانتظر حتى تضع ابنته مولودها .. غير أن الابنة المسكينة «آجنس» هربت من والدها حتى لا تسبب له كل هذا الإحساس بالعار .. ووضعت مولودها في إصلاحية الأحداث وماتت المسكينة فور الولادة .

وظل الأب المسكين يبحث عن ابنته حتى ظن أنها انتحرت فمات من شدة الحزن والألم .. أما ابنته الصغيرة الأخرى فقد أصبحت بلا عائل ولا يعرف أحد اسم عائلتها .. فأخذتها إحدى السيدات النبيلات وقامت بتنشئتها ورعايتها .

وكانت فرحة عارمة حين علم الجميع أن هذه الطفلة الصغيرة هي نفسها «روز مايلي» التي تعتبر بذلك «خالة» لأوليفر !

واكتملت الفرحة حين تساقط أفراد عصابة «فاجين» واحدًا بعد الآخر .. فقد مات «سايكس» وهو يحاول الهرب من جريمة القتل التي ارتكبها .. وتم القبض على «المكَّار» وحكم عليه بالسجن ، كما تم القبض أيضًا على بقية الأعضاء .. أما «فاجين» نفسه فقد صدر ضده حكم بالإعدام شنقًا ..

وتنتهي القصة بزواج «روز» من حبيبها «هاري مايلي» .. وقيام «مستر براونلو» بتقسيم تركة صديقه بين كل من «مونكس» و «أوليفر» .. وهكذا حصل «أوليفر» على نصيبه القانوني من ثروة أبيه في نهاية الأمر .

هـ . ج . ويلز

الرجل الخفي

THE INVISIBLE MAN.
BY: H. G. WELLS.

كان يومًا شديد البرودة .. يتساقط فيه الثلج بكثرة وتهب الرياح بعنف .. حين وصل ذلك الرجل الغريب إلى قرية «إبنج» .

كانت ملابســه تغطي جسمه كله .. وكان يلبس قفـازًا يغطي يديه ، كما كانت حافة قبعته العريضة تخفي جزءًا كبيرًا من وجهه ، ولا يظهر من ملامحه شيء سوى طرف من أنفه ..

اتجه الرجل الغريب فورًا إلى فندق «العربة والحصان» وهو فندق صغير ووحيد في تلك القرية ..

استقبلته «مسز هول» صاحبة الفندق بترحاب .. وطلب منها أن تعد له بعض الطعام ، وأن تشعل نار المدفأة ، وأن تؤجر له إحدى حجرات الفندق .

ولاحظت «مسز هول» أن وجه الغريب كان مغطى بالأربطة والضمادات .. فقالت لنفسها إن هذا الرجل قد تعرض لحادث ما .. وطلبت منه أن يعطيها معطفه وقبعته لتجففهما قرب النار .. ولكنه رفض هذا الطلب بطريقة جافة .. وكان يحرص في الوقت نفسه على إخفاء الجزء الأسفل من وجهه بفوطة بيضاء ..

وبعد أن تناول الرجل الغريب طعامه وشعر بالدفء الذي أشاعته نار المدفأة ، هدأت أعصابه وبدأ يدخن غليونه .. وعندما عادت «مسز هول»

لترفع أدوات المائدة وأطباق الطعام الفارغة ، حاولت أن تتجاذب أطراف الحديث مع الرجل الغريب .. فذكرت له أن أخاها كان قد أصيب وهو يعمل في الحقل إصابة شديدة أقعدته عن العمل لنحو ثلاثة شهور .. وأنها كانت تقوم بنفسها بالتغيير على جرحه .. فكانت تفك الضمادات والأربطة القديمة ، لتضع بدلاً منها ضمادات وأربطة جديدة .. فأصبحت بذلك ذات خبرة في فك وربط الضمادات ، ويمكنها مساعدته في ذلك إذا اقتضى الأمر..

ولكن الرجل الغريب لم يهتم بكلامها ، وطلب منها أن تحضر له بعض أعواد الثقاب .. وأن تقوم بإرسال أحد الأشخاص لإحضار الصناديق والأمتعة التي تركها بمحطة سكك حديد القرية ..

* * *

وبعد العصر ، كان الرجل الغريب مازال جالسًا أمام المدفأة في حجرة الاستقبال بالفندق .. وطلب من «مسز هول» أن تعد له الشاي.. وفي هذه المرة ، اندهشت بشدة حين لاحظت أن فم هذا الرجل ضخم جدًّا ومفتوح ويبدو كفتحة كهف عميق .. كما لاحظت أنه ما زال متدثرًا بالثياب التي تغطي كل جسمه .. وأنه يخفي عينيه بنظارة زرقاء داكنة .

وفي تلك اللحظة دخل إلى الفندق «تيدي هنفري» .. وهو رجل متواضع يعمل في إصلاح الساعات .. فطلبت منه «مسز هول» أن يقوم بإصلاح الساعة القديمة الموجودة قرب المدفأة بحجرة الاستقبال ..

واقترب «تيدي هنفري» من الرجل الغريب .. فاعترته دهشة مفاجئة بسبب الأردية والضمادات والمنظر العام لهذا الرجل .. وألقي «تيدي هنفري» السلام ، فرد عليه الرجل الغريب باقتضاب .. بل وطلب منه بجفاء أن يسرع في إصلاح الساعة دون أن يحاول الكلام معه .

وعندما أحضرت «مسز هول» الشاي ووضعته على مائدة أمامه .. قال قال لها الرجل الغريب باختصار ودون أن ينظر إليها ، إنه «عالم» يحب السكون والتفكير ويفضل أن يكون وحده باستمرار ، ودون مقاطعة من أحد .. وأنه مهتم جدًّا بصناديقه وأمتعته الموجودة في محطة السكك الحديد ؛ لأنها تتضمن أجهزته ومعداته .

وانصرف «تيدي هنفري» من الفندق بعد أن انتهى من إصلاح الساعة .. وكان غاضبًا من طريقة الرجل الغريب في الكلام معه .. وكان مندهشًا من غموض هذا الرجل الذي يبدو وكأنه بلا ملامح .. وقال «تيدى» لنفسه : إن منظره قبيح .. ومن المؤكد أنه ليس «عالمًا» كما يقول .. وأغلب الظن أنه مجرم هارب يتخفى وراء النظارة والضمادات والقفازات والقبعة وكل تلك الأردية التي تغطي كل جزء من جسمه ..

وفي الطريق تقابل «تيدي هنفري» مع «مستر هول» الذي كان قد تزوج من «مسز هول» صاحبة الفندق منذ وقت قريب .. فقال له إنه سيرى مفاجأة حين يصل إلى الفندق .. فهناك رجل غريب غامض .. وبالرغم من أن «مسز هول» قد أجّرت له حجرة بالفندق إلا أنها لا تعرف عنه شيئًا.. بل ولا تعرف اسمه.. وكل ما تعرفه عنه هو أنه ترك بعض الصناديق والحقائب بالمحطة، وعليها أن تقوم بإحضارها من هناك إلى غرفته بالفندق.

وقال «مستر هول» لزوجته حين وصل إلى الفندق : إن علينا أن نفحص الصناديق والحقائب قبل أن نقوم بتسليمها إلى الرجل الغريب !.. إلا أن زوجته رفضت هذا الاقتراح بشدة وانصرفت إلى حجرة النوم .

* * *

وفي اليوم التالي وصلت إلى باب الفندق عربة الحمّال «فيرنسيد» وعليها الصناديق والأمتعة الخاصة بالرجل الغريب .. كما كان يقف فوقها الكلب الخاص بالحمّال .

وقام «مستر هول» بمعاونة الحمال في إنزال الصناديق وإدخالها إلى الفندق .. ووقفت «مسز هول» تراقب العملية .. وما إن ظهر الرجل الغريب ليتمم على حاجياته ، حتى قفز عليه الكلب الذي حاول أن يعض يده .. ولكن الرجل الغريب ركل الكلب ركلة قوية فنبح نباحًا عاليًا وازداد غضبه ، فهجم عليه ومزّق سرواله وعقره في ساقه ..

حدث ذلك كله في أقل من نصف دقيقة .. واندفع الرجل الغريب صاعدًا إلى غرفته ليستبدل سرواله الممزق .. واندفع وراءه «مستر هول» ليطمئن عليه .. ولكن ما إنْ فتح «مستر هول» باب الحجرة حتى فوجئ بمنظر غريب .. خيِّل إليه أنه رأى شيئًا كالذراع ولكن بلا كف .. وشيئًا آخر كالوجه تغطيه الضمادات فيما عدا ثلاث بقع داكنة تبدو كالفراغ .. ثم فوجئ بضربة شديدة أصابته في صدره ألقت به إلى خارج الحجرة .. وهكذا عاد «مستر هول» إلى رفاقه وهو يشعر بالدهشة وكأنه لم يعد يصدق ما تراه عيناه ..

وصعد «فيرنسيد» إلى حجرة الرجل الغريب ليسلمه صناديقه وحاجياته وليطمئن أيضًا على مدى إصابته من عضَّة الكلب .. وأخبره الرجل الغريب بأنه لم يصب بشيء .. وطلب منه الانصراف .. وعلى الفور قام الرجل الغريب بفتح الصناديق صندوقًا بعد صندوق .. وأخذ يخرج عشرات الزجاجات الكبيرة والصغيرة ومن كل لون .. ثم أخذ يرص هذه الزجاجات فوق المائدة الموضوعة بجوار النافذة .. ويرص بعضها الآخر على جميع الرفوف الموجودة بالحجرة .. ويرص الباقي على الأرض .

وبعد انقضاء بعض الوقت سمعت «مسز هول» صوتًا يشبه صوت تحطم بعض الزجاجات .. وسمعت صوت الرجل الغريب وهو يحدِّث نفسه في حجرته المغلقة ويقول : لا يمكن أن أستمر هكذا .. إن هذا الأمر قد يستغرق كل حياتي .. الصبر .. الصبر .. لابد أن أصبر .. كم أنا أحمق !

وخارج الفندق تقابل الحمال « فيرنسيد » مع الساعاتي «تيدي هنفري» .. وقال الحمال مندهشًا : إن هذا الرجل الغريب الذي عضه كلبي رجل غريب فعلاً .. إن ساقه سوداء مع أن أنفه أبيض .. لقد رأيت ساقه السوداء من خلال سرواله الذي مزقه الكلب .. يبدو أن هذا الرجل ملون .. بعضه أبيض وبعضه أسود ..!

* * *

امتلأت قرية «إنبج» بالشائعات عن أوصاف الرجل الغريب وغرائبه .. وكان الجميع يخشونه ويتحاشونه حين كان يتجول في طرقات القرية في بعض الأمسيات .. كانوا يخافون من منظره .. ومن ضماداته ومن نظارته الداكنة التي تغطي عينيه .. واختلفت الأقاويل في تحديد هويته .. فبعضهم كان يقول إنه تعرض لحادث فَتَشَوَّه وجهه .. وبعضهم كان يقول إنه مجرم يتخفى وراء هذا المظهر الغريب ..

أما الدكتور «كاس» طبيب القرية ، فقد استثارته كل هذه الأقاويل ، وقرر أن يتحرى أمر هذا الرجل الغريب بنفسه .. ولذلك توجه إلى الفندق، وصعد على الفور إلى حجرة الرجل الغريب .. ودخل إلى الحجرة دون استئذان .. وفوجئ الرجل الغريب بدخوله فأخذ يسب ويلعن هذا الذي اقتحم عليه خلوته ..

وسمعت «مسز هول» نقاشًا عاليًا استمر لبضع دقائق .. ثم سمعت جلبة وصوت وقوع أحد الكراسى على الأرض .. وفجأة خرج الدكتور

«كاس» من الحجرة وهو مندهش ومصفر الوجه .. واندفع بخطوات سريعة خارجًا من الفندق ..

وتوجه الطبيب على الفور إلى صديقه القس «بنتنج» وأخذ يقص عليه أشياء غريبة لا يصدقها عقل .. قال إن الرجل الغريب قد فوجئ بدخوله .. وعندما نهض ولوّح بذراعه رأى كم القميص هو الذي يلوح له .. وكان الكم خاليًا فارغًا ليس فيه ذراع ولا يد ..

وقال الطبيب إنه قال للرجل الغريب كيف يكون كم قميصك دون ذراع ولا يد .. فضحك الرجل الغريب ووجه كمه نحو وجه الطبيب الذي أحس بإصبعين يمسكان أنفه دون أن يرى منهما إصبعًا واحدًا .. وقال أيضًا إنه تجرأ ووجه ضربة نحو الكم .. فاندهش حين أحس أنه وجه ضربته نحو ذراع ملموس .. ولكنه مع ذلك على يقين بأن كم القميص كان خاليًا من أي ذراع .. كان قماشًا فقط ..

وعندئذٍ نظر إليه صديقه القس نظرة شك .. وقال معلقًا على تلك الحكاية التي رواها الطبيب .. إنها حقًّا حكاية غريبة !

* * *

في الساعة الرابعة صباحًا تنبهت «مسز بنتنج» زوجة القس من نومها على صوت باب غرفة النوم وهو يفتح ويغلق .. انتابها الرعب وأيقظت زوجها وأخبرته بما سمعت .. وأخذ الزوجان ينصتان ويترقبان .. فسمعا وقع خطوات لأقدام حافية .. بل وسمعا عطسة مفاجئة .. وعندئذ أمسك القس بالقضيب الحديدي الذي يستعمل لتقليب نار المدفأة وبدأ يخطو متمهلاً نحو مصدر الصوت .. ولكنه لم ير شيئًا .. واندهش الزوجان حين رأيا شمعة مضاءة في غرفة المكتب .. ثم سمعا صوت درج المكتب وهو

يفتح .. بل وسمعا أيضًا صوت جَمْعِ العملات المعدنية التي كانت موجودة بالدرج للإنفاق منها على مصاريف البيت .. وبالرغم من أن ضوء الشمعة كان يغمر الغرفة كلها كما يظهر الأثاث وكل شيء بالغرفة بوضوح تام ، إلا أنهما مع ذلك لم يريا أحدًا ..

واستمرت الأصوات الخفيضة لحركة الأقدام الحافية لمدة دقيقة مرت على الزوجين كالدهر .. ثم حلَّ سكون تام شمل البيت كله ..

وعندئذٍ تشجع الزوجان وأخذا يفتشان في كل ركن من أركان البيت فلم يعثرا على أثر لأي شيء .. سوى تلك الشمعة المضاءة .. والنقود التي سرقت .. وكان القس يردد بين حين وآخر : هذا شيء غريب .. غريب جدًّا!

* * *

في ذلك الوقت المبكر كان الزوجان «مستر ومسز هول» قد استيقظا من النوم .. ولاحظ «مستر هول» أن باب حجرة الرجل الغريب كان مفتوحًا .. واندهش الزوجان لهذا الأمر .. لأن الرجل الغريب كان يحرص دائمًا على إغلاق باب حجرته من الداخل ..

وتطلع الزوجان إلى داخل الحجرة فلم يريا أحدًا .. كانت الحجرة خالية تمامًا .. ولكنهما لاحظا أن جميع ملابس الرجل الغريب كانت مبعثرة وملقاة على السرير وعلى المقاعد .. جميع ملابسه الداخلية والخارجية .. وكل الضمادات .. والقبعة .. والنظارة .. والقفاز .. وكل ما كان يتدثر به الرجل الغريب منذ جاء إلى الفندق ..

قال مستر هول : أين ذهب ؟.. وكيف خرج ..؟ .. إن جميع هذه القطع من الملابس هي كل ما يمتلكه وليس عنده سواها .. فهل خرج عاريًا كما ولدته أمه.. هذا أمر غريب .. كيف حصل ..؟!

وبينما كان الزوجان يناقشان هذا الأمر الغريب .. سمعا صوت الباب الخارجي للفندق وهو يفتح ويغلق .. ثم سمعا وقع خطوات سريعة متلاحقة تتجه صوب الحجرة .. وشعرا كأن شخصًا قد دخل ولكنهما لم يريا له أثرًا .. ثم حدثت سلسلة من الأشياء الغريبة المخيفة .. فقد رأيا ملاءة السرير وهي تتجمع في شكل بقجة ترتفع وتنخفض .. وحدث نفس الشيء للمخدات .. ثم بدأت الزجاجات المرصوصة على المائدة تتخابط في بعضها وتُحدث جلبة .. ثم ارتفع المقعد في الهواء وبدأ يتحرك نحوهما .. وعندئذٍ لاذ الزوجان بالفرار ، والخوف والذعر يملآن قلبيهما ..!

وكادت «مسز هول» تخر مغشيًا عليها .. ولكنها تماسكت بصعوبة ، وطلبت من زوجها أن يستغيث بالجيران .. وعندما جاء بعض الجيران أخذت «مسز هول» تصيح وهي ترتعش : الأرواح .. هي التي فعلت كل ذلك .. لقد أصبح الفندق مليئًا بالأرواح منذ أن جاء إلينا هذا الرجل الغريب .. لا تدعوه يدخل إلى فندقي مرة أخرى ..!

وبينما كان الزوجان يحكيان تلك الأحداث المرعبة التي شاهداها بنفسيهما .. ظهر الرجل الغريب على باب الحجرة وهو بكامل هيئته التي يعرفها الجميع .. نفس الملابس والأردية التي يتدثر بها .. والضمادات الملفوفة حول وجهه .. وقبعته التي تغطي رأسه .. ونظارته الداكنة التي تخفي عينيه .. وعندئذٍ لزم الجميع الصمت المطبق وحبسوا أنفاسهم ..

ظل الرجل الغريب واقفًا عند باب حجرته نحو دقيقة واحدة .. ثم دخل مرة ثانية إلى حجرته وأغلق الباب وراءه ..

وقال بعض الجيران إن من الواجب على «مستر هول» أن يذهب فورًا إلى الرجل الغريب ليتحرى الأمر ..

وما إن طرق «مستر هول» باب الحجرة ليستأذن في الدخول .. حتى صاح الغريب بأعلى صوته : فلتذهب إلى الجحيم .. إياك أن تدخل !

* * *

كل أهالي قرية «إبنج» أصبحوا يتكلمون ويتناقشون في تلك الأحداث الغريبة .. وتحادثوا أيضًا في جريمة سرقة النقود من بيت القس .. وأخذ الجميع يضربون أخماسًا في أسداس .. وشاع الخوف والذعر والغموض في كل أرجاء القرية .

وقررت «مسز هول» أن تتخلص من هذا الرجل الغريب وتطرده من فندقها .. ولذلك فلم تعد له طعام إفطاره ..

وقرع الرجل الغريب الجرس ثلاث مرات ليستدعيها ، ولكنها لم تجبه ولم تذهب إليه .. فاضطر إلى الخروج من حجرته ليطلب منها طعام الإفطار، فرفضت أن تجيب طلبه إلا إذا دفع ما عليه من نقود كأجر للإقامة .. فأخرج بعض النقود ووضعها أمامها ، فاندهشت وسألته قائلة :

– من أين حصلت على هذه النقود .. لقد قلت لي إنك لا تملك نقودًا .. وإنك تنتظر نقودًا ستصلك بعد أيام .. أريد أن أعرف من أين جئت بهذه النقود ؟ .. وأريد أن أعرف أيضًا كيف تتحرك الأشياء في حجرتك .. ولماذا أنت غامض هكذا ؟ .. من أنت بحق الشيطان ..؟!

أجاب الر جل الغريب بغضب :

– حقًا .. هل تريدين أن تعرفي من أنا .. سأريك ..!

وفجأة خلع الرجل الغريب أنفه وألقاه على الأرض .. وخلع قبعته ونزع الضمادات والقفاز والنظارة .. وفوجئت «مسز هول» ومن كان معها من الجيران بأن الرجل الغريب بلا رأس وبلا يدين ..!



ملأ الرعب قلوب الجميع .. وارتفع الصراخ .. وسقطت «مسز هول» مغشيًّا عليها .. واتجه كثيرون إلى الفندق ليعرفوا ما سبب كل هذا الرعب المفاجئ .. وجاء شرطي القرية ومعه بعض الشباب وفوجئ الجميع برجل بلا رأس ولا يدين يتحرك أمامهم ويوجه إليهم اللعنات والشتائم ..

وحاول البعض أن يتغلبوا على خوفهم ، فتقدموا نحو الرجل الغريب يريدون الإمساك به والقبض عليه .. ولكنه قاومهم بشدة .. وأخذ يخلع ملابسه قطعة وراء قطعة .. وكلما خلع قطعة كان مكانها يبدو خاليًا وفارغًا .. إلى أن خلع جميع ملابسه ولم يعد أحد من كل الموجودين يستطيع أن يرى أي جزء من جسمه .. لقد اختفى تمامًا .. وهرب !

* * *

كان «مستر توماس مارفل» رجلاً فقيرًا رثَّ الثياب .. وبينما كان يسير في طريق خارج القرية ، انتحى جانبًا وجلس على الأرض ، ثم خلع حذاءه القديم الذي كان يؤلمه ، وأخذ يحدِّث نفسه قائلاً : يا له من حذاء قبيح سيىء !

وسمع «مستر مارفل» صوتًا يقول : ولكنه حذاء متين!

فأجاب دون أن يلتفت إلى مصدر الصوت : إنه واسع ومؤلم وليس على مقاسي .. لقد استجديته لأني لا أملك ثمن حذاء جديد .. ولا حتى حذاء قديم !

والتفت «مستر مارفل» إلى محدثه .. ولكنه لم ير أحدًا .. أخذته الدهشة واعتراه الخوف .. وقال لنفسه : يبدو أنني جننت .. لقد أصابني الجنون .. إني أسمع أصواتًا ولا أرى مصدرها ..!

ولكن الصوت عاد ليقول : لا تخف .. أنا رجل خفي .. وأنت لا تستطيع أن تراني .. وأريد منك أن تساعدني !

ويبدو أن «مستر مارفل» كان لا يصدق ما يسمعه .. وأراد أن ينصرف ، ولكنه أحس كأن يدًا قوية تمسك بتلابيبه ، فأصابه الرعب وقال مستسلمًا: دعني أرجوك .. وقل لي كيف أساعدك ؟

فقال الصوت أريد الحصول على ملابس .. وعلى مأوى .. وعلى أشياء أخرى سأطلبها فيما بعد !

* * *

بعد أن عاد الهدوء قليلاً في فندق «العربة والحصان» .. في أعقاب الأحداث الغريبة التي وقعت صباح اليوم .. كان الدكتور «كاس» والقس «بنتنج» يفتشان في صناديق وحقائب الرجل الغريب لعلهما يصلان إلى شيء يفسر لهما ما حدث .. وكانت «مسز هول» قد جمعت كل ملابس الرجل الغريب واحتفظت بها .

وأثناء التفتيش عثر الدكتور «كاس» على مفكرة صغيرة وثلاثة كتب .. فعرض هذه الأشياء على القس .. وقام الاثنان بفتح تلك الكتب فلم يفهما شيئًا .. كانت مكتوبة باللغة اليونانية واللغة الروسية ولغات أخرى .

وفي تلك اللحظة فتح باب الحجرة ، وظهر «مستر مارفل» .. ولكن الدكتور «كاس» صرفه بسرعة ، وطلب منه أن يغلق الباب .. ولكن الباب ظل مفتوحًا لفترة .

وفجأة شعر كلٌ من الدكتور «كاس» والقس «بنتنج» كأن يدًا قوية أطبقت على عنق كلٍّ منهما .. وسمعا صوتًا يقول : لماذا تعبثان في أمتعتي

وحاجياتي ؟.. إن في استطاعتي الآن أن أقتلكما وأهرب .. ولكني سأترككما هذه المرة .. إني أريد أن آخذ ملابسي .. وآخذ هذه الكتب !

وقعت بعد ذلك أحداث سريعة متلاحقة ، فقد خطف الرجل الخفي الكتب الثلاثة وسلَّمها إلى «مارفل» الذي انطلق هاربًا بها .. واستولى أيضًا على سروال الدكتور «كاس» وعلى بعض ملابس القس بعد أن هددهما بالقتل ، ثم خرج من الحجرة بسرعة .

وصاح الاثنان خلفه : امسكوا اللص .. امسكوا اللص..!

وعلى الفور انطلق كل الذين كانوا موجودين داخل الفندق من الجيران في كل اتجاه .. يحاولون أن يطاردوا الرجل الخفي ، ولكنهم كانوا يطاردون شخصًا لا يستطيعون رؤيته ، فبدأوا يتصادمون فيما بينهم ويقع بعضهم على الأرض .. وكان بعضهم يتلقى ضربات موجعة كان يوجهها إليهم الرجل الخفي .. وسادت الفوضى والاضطراب .. وتوقف الجميع عن ملاحقة الرجل الخفي وأصبحوا حائرين لا يعرفون ماذا يصنعون .

كان «مستر مارفل» قد وصل إلى مكان بعيد ومعه الكتب الثلاثة ملفوفة في قطعة من القماش زرقاء اللون .. وكان يلهث من شدة التعب ، فجلس يستريح .. ولكنه شعر بيد غير مرئية تمسك عنقه .. وسمع صوتًا يهدده قائلا: لو حاولت الهرب مرة ثانية فسوف أقتلك على الفور !

قال «مارفل» وقد ازداد رعبه : أنا لم أهرب .. وإنني هنا في انتظار أوامرك ..

* * *

في صباح اليوم التالي ، كان «مارفل» جالسًا خارج إحدى الحانات الصغيرة بمنطقة «بورت ستو» ، وبجانبه الكتب الثلاثة مربوطة بقطعة من

الدوبارة .. وبعد نحو ساعة من جلوسه هكذا حزينًا مهمومًا ، خرج بحار من الحانة يحمل في يده إحدى الجرائد .. وألقى البحار تحية مقتضبة على «مارفل» ثم جلس إلى جواره .

قال البحار : هل سمعت شيئًا عن الرجل الخفي ؟.. إن الجريدة تقول إن رجلاً خفيًا موجود الآن في هذه المنطقة .. وأنه يضرب ويؤذي الآخرين دون أن يستطيع أحد أن يراه أو يقبض عليه ..

وهنا شعر «مارفل» بزغدة في ذراعه ، وسمع صوت الرجل الخفي وهو يقول له : عليك أن تكذِّبه .. فقال «مارفل» على الفور : هذا كذب .. ولا يوجد رجل خفي في المنطقة ..

ولكن البحار قال إن ذلك مكتوب في الجريدة .. وقال أيضًا إن بحارًا آخرشاهد بنفسه قبضة من النقود تسير وحدها قرب الحائط ، وعندما مدَّ يده ليلتقطها ، فوجيء بضربة شديدة على يده ، فانفلت البحار هاربًا وهو يرتعش من شدة الخوف .. واختتم البحار كلامه وهو يقول : هناك فعلاً رجل خفي في المنطقة .. إن الجريدة لا تكذب !

* * *

قبيل مغيب الشمس ، كان الدكتور «كمب» جالسًا في حجرة مكتبه بمنزله الكائن فوق تل «بيردوك» .. كان يكتب شيئًا حين رأى قرص الشمس على خط الأفق الغربي ، فقام ليطل على هذا المنظر الجميل من نافذة الحجرة .. ولكنه رأى رجلاً ضئيل الجسم يجري بسرعة تجاه البيت ..

كان الرجل مذعورًا ويجري بسرعة شديدة لفتت أنظار كل المارة في الشارع .. وعندما اقترب الرجل من هؤلاء الناس أخذ يصيح فيهم : الرجل الخفي قادم .. الرجل الخفي قادم ورائي ..!

وواصل الجري حتى وصل إلى فندق «كريكيترز» الذي يقع أسفل التل .. وما إن دخل من باب الفندق حتى أخذ يصيح في كل الموجودين في الصالة : أغلقوا الأبواب .. أريد أن أختبئ .. الرجل الخفي يتتبعني ويريد أن يقتلني .. النجدة .. أنقذوني بحق الله !

وفي صالة الفندق كانت هناك مجموعة من الرجال منهم الساقي وأحد رجال الشرطة ورجل ذو لحية سوداء .. أما الرجل الذي كان يجري ويطلب النجدة فهو «مستر مارفل» بعينه .

وحاول جميع الموجودين أن يهدِّئوا من روع «مارفل» ، والذي أخذ يبكي بحرقة وهو يقول : سيقتلني .. سيقتلني !

وقام رجل الشرطة بإغلاق جميع أبواب الفندق .. ولكنهم سمعوا صوت زجاج إحدى النوفذ وهو يتحطم .. وعندئذٍ أدركوا أن الرجل الخفي أصبح موجودًا بينهم .

وانكمش «مارفل» وهو ينتفض رعبًا .. وامتدت يد خفية وأمسكت بعنقه فأخذ يصيح ويصرخ .. وتقدم الشرطي ليحاول الإمساك بتلك اليد الخفية إلا أنه تلقى ضربة شديدة في وجهه .. وعندئذٍ استطاع « مارفل» أن يفلت من قبضة اليد الخفية .. وهنا أخرج الرجل ذو اللحية السوداء مسدسه وأعده للإطلاق .. وأطلق النار .. خمس رصاصات في الجهة التي كان يظن أن الرجل الخفي موجود فيها .. وتوقع الجميع أنهم سيعثرون على جثة الرجل الخفي .. ولكنهم لم يجدوا شيئًا ..!

* * *

كان الدكتور «كمب» يواصل الكتابة عندما سمع صوت إطلاق الرصاص .. فقام ليرى ما حدث ، ولكنه لم يستطع أن يتبين شيئًا ، فقال لنفسه : يبدو أن حادثًا وقع في الفندق ..

وبعد نحو ساعة من الزمن سمع الدكتور «كمب» جرس الباب .. فذهبت الخادمة لتفتح الباب لترى مَنْ الطارق .. ولكنها لم تجد أحدًا .. وسألها الدكتور عمن يكون الزائر الذي دق الجرس .. فقالت الخادمة إنها لم تر أحدًا حين فتحت الباب .

وعاد الدكتور إلى مكتبه ليواصل الكتابة .. وظل يعمل حتى الثانية صباحًا ، وترك حجرة المكتب متوجهًا إلى حجرة النوم .. ولكنه لاحظ وجود بقعة من الدم على أرض الطرقة .. وبقعة أخرى على مقبض الباب.. وبقعة ثالثة على السرير .. بل ورأى ملاءة السرير ممزقة وأُخِذَ منها شريط مستطيل .. ثم رأى ضمادة ملوثة بالدم مربوطة حول لا شيء وتتحرك في الحجرة !

تراجع الدكتور «كمب» قليلاً وبدأ يحس برعب حقيقي .. وازداد رعبه حينما سمع صوتًا يناديه باسمه : «كمب» .. دكتور «كمب» .. لا تخف .. أنا زميلك «جريفن» .. ألا تذكرني .. لقد أصبحت خفيًّا !

قال الدكتور والدهشة تعقد لسانه : هذا جنون .. أشبه بشغل العفاريت!

وسمع الصوت من جديد : اهدأ يا «كمب» أرجوك .. إني جريح وأتألم .. إني جوعان وأرجوك أن تحضر لي بعض الطعام .. واسمح لي أن أتناول كأسًا من الشراب ..

وفوجئ الدكتور عندما رأى زجاجة الشراب تميل نحو أحد الكؤوس .. ورأى الكأس يرتفع قليلاً في الهواء .. ويميل إلى أن فرغ ما كان فيه من شراب !

واستسلم الدكتور «كمب» إلى هذه الحقيقة الغريبة .. وأحضر لضيفه الخفي بعض الطعام .. وشاهد بنفسه قطع الطعام وهي ترتفع من الطبق قطعة وراء قطعة .. وتختفي في الفراغ ..!

وبعد أن انتهي الضيف الخفي من التهام طعامه .. تجاسر الدكتور «كمب» وسأله : والآن قل لي كيف حدث ذلك ؟!

ولكن الرجل الخفي قال له بهدوء : أرجوك أن تؤجل هذا السؤال إلى وقت آخر .. فأنا تعبان جدًا ومنهك القوى .. وأريد أن أنام ..!

* * *

وفي الصباح أحضر الدكتور «كمب» لضيفه الخفي بعض الملابس التي طلبها .. وقد اندهش «كمب» حين رأى الملابس وقد أصبحت ملبوسة فوق جسم لا يرى .. ثم جلست أمامه على المائدة لتناول طعام الإفطار .. وبدأ «جريفن» أو الضيف الخفي يحكي قصته وكيف أصبح خفيًا ..وقال :

« أنت تعلم يا «كمب» أني متخصص في علم الضوء .. ونتيجة لبعض التجارب اكتشفت طريقة علمية لتغيير خصائص الجسم البشري أو أي جسم مادي آخر .. فلو أحضرنا قطعة من الزجاج مثلاً وكسرناها وطحناها على شكل حبيبات البودرة الناعمة ، فسوف تصبح عديمة الشفافية بسبب الانكسارات الضوئية التي تمنع الضوء من النفاذ خلالها .. أما إذا أعدنا تصنيع هذه البودرة إلى زجاج ، فإن الضوء يستطيع أن ينفذ خلال هذا الزجاج الشفاف دون أن ينكسر ..

إذن فمن الناحية النظرية نجد أن أي جسم من الأجسام يتكون من ذرات وحبيبات ينكسر عليها الضوء فنستطيع أن نراه بالعين .. وإذا حاولنا أن نمنع الضوء من الانكسار على تلك الذرات أو الحبيبات فإن هذا الجسم يصبح شفافًا لا يرى بالعين .. تمامًا مثل جسمي الآن الذي أصبح خفيًا لا تراه العين .

كنت أريد أن أواصل تجاربي لأصل إلى تلك النتيجة العلمية ، ولكني كنت في حاجة إلى النقود ، فلجأت إلى السرقة .. وسرقت أموالاً كان يحتفظ بها أبي .. ولكن هذه الأموال لم تكن ملكًا له .. وإنما كانت مملوكة لشخص آخر من أصدقاء أبي .. فانتحر أبي ليتخلص من تلك المشكلة ..!

وواصلت تجاربي مستعينًا ببعض الكتب .. وأخيرًا استطعت أن أخفي قطعة من القماش وأجعلها غير مرئية .. ثم أجريت التجربة على قطة فاختفت القطة وأصبحت غير مرئية .. وأخيرًا اضطررت أن أجري التجربة على نفسي ، وأصبحت أول رجل خفي في هذا العالم .. وبهذه الطريقة تهربت من دفع ديوني ، لأن أحدا لا يستطيع أن يراني .. ولكني أصبحت أواجه مشاكل صعبة ومن نوع جديد .. إلى أن جئت أخيرًا إلى قرية «إبنج» وحدث فيها ما حدث .. وهناك بعض الأسرار العلمية التي يمكنني أن أستعين بها في تصحيح هذا الوضع الغريب .. وهذه الأسرار موجودة بالكتب الثلاثة التي تركتها لدى الرجل المتشرد المدعو «مارفل» .. ولا بد أن أعثر على هذا الرجل ! » .

* * *

وأكمل الرجل الخفي حديثه :

« لقد وضعت خطة لمغادرة البلاد .. ولهذا فقد جئت إلى هنا لأستقل أي سفينة مبحرة إلى فرنسا .. ومن هناك سأستقل أي قطار إلى أسبانيا .. أو ربما سأبحر إلى الجزائر .. فهناك يمكنني أن أعيش خفيًا طوال الوقت ويمكنني أن أدبر أموري بأي شكل .. هكذا كانت خطتي قبل أن أحضر إلى هنا وأراك .. كما أنني كنت أستخدم ذلك المتشرد «مارفل» كمجرد حمّال لكتبي وكخزانة للنقود التي كنت أسرقها .. ولكن هذا الكلب سرق النقود

وأخفى كتبي وكنت أريد أن أقتله انتقامًا .. ولكنه لاذ بالشرطة وطلب منهم أن يحبسوه في زنزانة حصينة لكيلا يصبح في متناول يدي ..».

وبينما كان الرجل الخفي يحكي خططه ويشرح أفكاره ، لاحظ الدكتور «كمب» أن هناك بعض الأشخاص يقتربون من باب بيته .. فقال لنفسه : لابد أنهم جاءوا للقبض على الرجل الخفي بعد أن علموا بطريقة أو بأخرى أنه موجود في بيتي ..

وتأكد ظن الدكتور «كمب» حين لاحظ أن قائد الشرطة «الكولونيل إيدى» كان من بين القادمين .. ولهذا فقد قرر أن يصرف نظر الرجل الخفي عما يحدث .. فسأل الرجل الخفي ليلهيه في الحديث والآن .. هل غيَّرت خطتك .. أم ما زلت مصرًّا على مغادرة البلاد إلى الخارج ؟!

قال الرجل الخفي :

« لا يا «كمب» لقد غيَّرت خططي منذ أن رأيتك وجئت إلى بيتك .. فأنت زميل لي وتستطيع أن تتفهمني وتقدِّر موقفي .. كما أن بيتك يعتبر أكثر الأماكن أمنًا بالنسبة لي .. وفي استطاعتنا أنا وأنت أن نصبح من الأثرياء .. فسوف أقوم أنا بسرقة الأموال من الأفراد والبنوك والمحلات .. حتى لو اقتضى الأمر أن أقتل من يقاومني .. وسوف أشبع هوايتي في إرهاب الناس .. إنها هواية لذيذة .. أتعرف ذلك ؟» .

كان ذهن الدكتور « كمب » في تلك اللحظة منصرفًا إلى التفكير في كيفية المعاونة في القبض على هذا الرجل الخفي الشرير .. ولكنه قال لكي يكسب مزيدًا من الوقت : أنا لا أوافقك على ذلك .. فلماذا تقتل الناس وترهبهم؟!

وفي تلك اللحظة كان الرجال القادمون قد دخلوا إلى البيت وأحدثوا جلبة سمعها الرجل الخفي فقال مذعورًا : من ذا الذي دخل البيت ؟ وكيف عرفوا أني هنا ؟

وفي لمح البصر قفز الدكتور «كمب» خارجًا من الحجرة وأغلق الباب ليظل الرجل الخفي محبوسًا داخلها .. ونادى الدكتور على «الكولونيل إيدي» ومن معه من الرجال ليقبضوا على الحبيس الخفي .. وفي لمح البصر أيضًا كان الرجل الخفي قد تخلص من الملابس التي كان يرتديها والتي كانت تحدد موقعه ، وأصبح خفيًّا تمامًا .. وأخذ يجذب باب الحجرة بمنتهى القوة إلى أن انفرج الباب بفتحة سمحت بخروجه .. وأخذ يكيل الركل والضرب إلى جميع الموجودين .. ثم انفلت هاربًا دون أن يراه أحد ..!

* * *

شرح الدكتور «كمب» لقائد الشرطة «الكولونيل إيدي» كل ما عرفه عن الرجل الخفي ونياته الشريرة التي يضمرها للبشر .. وقال إن الرجل أصبح مجنونًا ومتوحشًا ولن يتورع عن قتل كل من يعترض طريقه .. وأن من الواجب أن يتم القبض عليه بأية طريقة وبأقصى سرعة ممكنة .. وطلب من قائد الشرطة أن ينبه على أهالي المنطقة بأن يغلقوا أبواب بيوتهم جيدًا حتى لا يتسلل إلى بيت أحدهم .. وأن يخبئوا أطعمتهم ويخفوا كل شيء يمكن أن يؤكل .. لابد أن نمنع عنه الطعام كله .. ولابد أن نستعين بالكلاب للبحث عنه .. نعم إن الكلاب لن تستطيع أن تراه .. ولكنها تستطيع أن تشم رائحته وتحدد مكانه .. لابد أن نطارده في كل مكان .. الآن وفورًا حتى نضع حدًّا لشروره ..!

وهكذا بدأ جميع رجال المنطقة في مطاردة الرجل الخفي في كل مكان .. واستعانوا بمجموعة من كلاب الصيد لتتشمم رائحته .. واستعانوا أيضًا

بكل ما كان لديهم من أسلحة وهراوات غليظة .. وراقبوا محطة السكك الحديدية ، وانتشروا في الغابة وفي جميع الطرقات والنواصي ..

وكان من الواضح أن الرجل الخفي مازال موجودًا في المنطقة.. فقد كسر ساق طفل صغير كان يلعب في الشارع .. كما قتل «مستر ويكستيد» بأن شجّ رأسه بقضيب حديدي .. وكان ذلك الرجل المسكين عائدًا إلى بيته..

* * *

وعندما عاد الدكتور «كمب» إلى بيته وجد مفاجأة في انتظاره .. كانت هناك رسالة مكتوبة بالقلم الرصاص تتضمن تهديدًا له بالقتل .. وسيتم قتله اليوم وليس غدًا .. كما أعلن الرجل الخفي الذي كتب هذه الرسالة أنه سيبدأ عملياته الإرهابية اعتبارًا من اليوم .. وإنه سيقتل كل من يعترض طريقه .

وقام الدكتور «كمب» على الفور بإغلاق جميع نوافذ البيت .. وأغلق الباب بالمزلاج.. وأحضر مسدسًا وأعده للإطلاق.. وجلس ينتظر ما سوف تأتي به الأحداث .

وبعد فترة سمع جرس الباب ، فلم يفتح الباب إلا بعد أن تأكد أن الطارق هو «الكولونيل إيدي» .. وبمجرد أن دخل الكولونيل من الباب أغلق الدكتور الباب على الفور ، خوفًا من دخول الرجل الخفي وراءه .. وعرض الدكتور رسالة التهديد بالقتل التي وجدها .. وأدرك الكولونيل خطورة الموقف وقال إن من الواجب في هذه الحالة تشديد الحراسة على البيت .

وفجأة سمع الرجلان زجاج نافذة يتحطم .. ثم سمعا زجاج النافذة الثانية وهو يتحطم أيضًا .. وشاهدا حجرًا كبيرًا مقذوفًا بقوة تجاه النافذة

الثالثة .. وأدرك الرجلان أن الرجل الخفي مُصِرٌّ على دخول البيت بأي طريقة .

قال الكولونيل : لابد أن أخرج لمواجهته .. أعطني مسدسك هذا .. لابد أن أقبض عليه أو أقتله !

وخرج الكولونيل « إيدي » شاهرًا مسدسه .. وأخذ يمشي الهوينى خطوةً خطوةً وهو يصوب المسدس في كل اتجاه .. وفجأة تلقى لكمة قوية في وجهه ، أعقبتها ضربة شديدة فطار المسدس من يده وسقط على الأرض .. وفي لمح البصر ارتفع المسدس في الهواء وفوهته مصوبة تمامًا نحو رأس الكولونيل ..

وطلب الرجل الخفي من الكولونيل «إيدي» أن يعود فورًا إلى بيت الدكتور «كمب» وإلا تعرض للقتل برصاصة واحدة ستطلق على رأسه .. وهكذا سار الكولونيل تجاه البيت عاقدًا يديه خلف ظهره والمسدس المشرع في الهواء يتعقب خطواته خطوة فخطوة .

كان الدكتور يشاهد هذا المنظر البائس .. فأدرك أن النهاية أصبحت قريبة .. ولكن على حين فجأة استدار الكولونيل نحو المسدس محاولاً أن يطيح به من يد الرجل الخفي ، ولكن حركته باءت بالفشل ، وانطلقت من المسدس رصاصة جعلت الكولونيل يتكوَّم على الأرض منكفئًا على وجهه.

وازداد فزع الدكتور «كمب» حين سمع دقًّا عنيفًا على باب البيت ، وسمع في الوقت نفسه صوت باب المطبخ وهو يتحطم بضربات قوية تشبه ضربات البلطة .. وأدرك الدكتور أن الرجل الخفي هو الذي يحطم باب المطبخ ، لذلك فقد جمع كل بقايا شجاعته وفتح باب البيت ، فإذا به يجد ثلاثة من رجال الشرطة كانوا قد جاءوا لحراسته .

وأفهمهم الدكتور بسرعة أن الرجل الخفي قد قتل «الكولونيل إيدي» منذ لحظات ، وأنه حطم باب المطبخ ببلطة وأصبح الآن داخل البيت .. وعلى الفور تسلح الرجال بقضيب من الحديد وبسيخ المدفأة .. وسمعوا صوت الرجل الخفي وهو يأمرهم بالابتعاد لأنه لا يريد أن يؤذيهم .. وإنما يريد فقط أن يقتل الدكتور «كمب» .

وعندما ارتفعت البلطة في الهواء لتنقض على رأس الدكتور ، أسرع رجل الشرطة الذي كان يمسك بالقضيب الحديدي وهوى به على البلطة ، واصطدم القضيب الحديدي بشيء أملس وسقطت البلطة على الأرض وسمعوا صرخة مدوية أطلقها الرجل الخفي من شدة الألم !.. ثم سمعوا وقع خطوات خفية تبتعد ..

وعندئذ صاح رجل الشرطة قائلاً : لقد أصبته .. : لقد أصبته .. أين أنت يا دكتور «كمب» .

ولكن الدكتور «كمب» كان قد انتهز فرصة المعركة التي حدثت بين رجل الشرطة والرجل الخفي .. وأسرع بالفرار من البيت لينجو بحياته ..!

* * *

ظل الدكتور «كمب» يجري في الشوارع وهو يحذر الناس بأعلى صوته بأن الرجل الخفي يتعقبه .. ويطلب من الناس أن يتجمعوا ويتسلحوا بأي شيء ..

وخرج كثيرون وتجمعوا حول الدكتور الذي توقف عن الجري وأخذ يلهث بأنفاس متلاحقة .. ومع ذلك ، وأمام الناس كلهم ، فوجئ الدكتور بضربة تحت أذنه أسقطته على الأرض ، وأحس كأن ركبة تنغرس في بطنه ، وامتدت يدان خفيتان تُطْبقان على عنقه ..

ولكن أحد الرجال رفع فأسه ، وهوى به نحو الرجل الخفي الذي كان جاثمًا بجسمه غير المرئي فوق الدكتور .. وسمع الجميع صرخة ألم ، وتناثرت قطرات من الدم فوق وجه الدكتور الذي أسرع بالإمساك بالجسم غير المرئي وأخذ يصيح : لقد أمسكت به .. أمسكوه من قدميه .. لا تدعوه يهرب .. لا تدعوه يهرب ..!

كانت إصابة الرجل الخفي شديدة .. ولم يطلق صرخة أخرى غير صرخة الألم التي أطلقها حين تلقى ضربة الفأس ..

وفجأة صاحت امرأة : انظروا !

ونظر الجميع إلى حيث أشارت المرأة .. فرأوا منظرًا غريبًا ومخيفًا في الوقت نفسه .. رأوا جسم الرجل الخفي وكأنه ضباب أو دخان .. ثم أخذ يتكاثف ويصبح مادة مرئية .. وبدأ يتجسد ببطء .. إلى أن ظهرت أعضاؤه وبانت ملامح وجهه ..

وأحضر أحد الرجال ملاءة غطوه بها ..

وهكذا انتهت حياة «جريفن» .. أول إنسان من البشر أخفى جسمه بطريقة علمية ، ولكنه استخدم هذا الخفاء في الأفعال الشريرة !

* * *

مـارك تـويـن

مغامرات توم سوير

THE ADVENTURES OF TOM SAWYER
BY: MARK TWAIN

في بلدة صغيرة تقع على شاطئ نهر المسيسيبي ، كان «توم سوير» وأخوه «سيدنى» يعيشان في بيت خالتهما «مسز بوللي» بعد وفاة أمهما ..

وكان «سيدني» ولدًا هادئًا لطيفًا يستذكر دروسه ويؤدي واجباته ولا يحب المغامرات .. أما «توم» فقد كان على العكس لا يحب الذهاب إلى المدرسة ، ويفضل معاكسة الأولاد الآخرين ويتذرع بأوهى الأسباب للتشاجر معهم ، ويعود كل يوم إلى البيت في وقت متأخر وقد اتسخت ملابسه أو تمزقت من كثرة الشقاوة .. وكان يحرص دائمًا على ممارسة السباحة في النهر ، بالرغم من التنبيهات والتحذيرات التي كانت تلقيها الخالة « بوللي» لمنعه من السباحة والتشاجر مع الآخرين ..

وكثيرًا ما كانت الخالة تغضب على «توم» وتفرض عليه بعض العقوبات، أو تقوم بضربه بين حين وآخر ، عندما تعلم أنه لم يذهب إلى المدرسة ، وقضى وقته في السباحة واصطياد السمك . ومع ذلك فقد كانت الخالة «بوللي» طيبة القلب ، وتحب «توم» وتتمنى له الهداية .

وفي يوم ما ، شاهد «توم» ولدًا غريبًا يمشي مختالاً بنفسه وبحذائه النظيف وملابسه الأنيقة.. ولذلك فلم يسترح «توم» إلى منظر هذا الغلام ، فتقدم إليه ليحتكَّ ويتشاجر معه .. وقال له إنه يستطيع أن يلقيه إلى الأرض

بضربة واحدة .. فقال الغلام بتحدٍ واضح : إنك لن تستطيع ذلك .. ويبدو أنك تتكلم عن ذلك فقط ولا تستطيع أن تفعل شيئًا .

عندئذٍ قام «توم» برسم خط على التراب وقال مهددًا : إنك لن تجسر على التقدم بعد هذا الخط ، وإذا فعلت فيا ويلك !

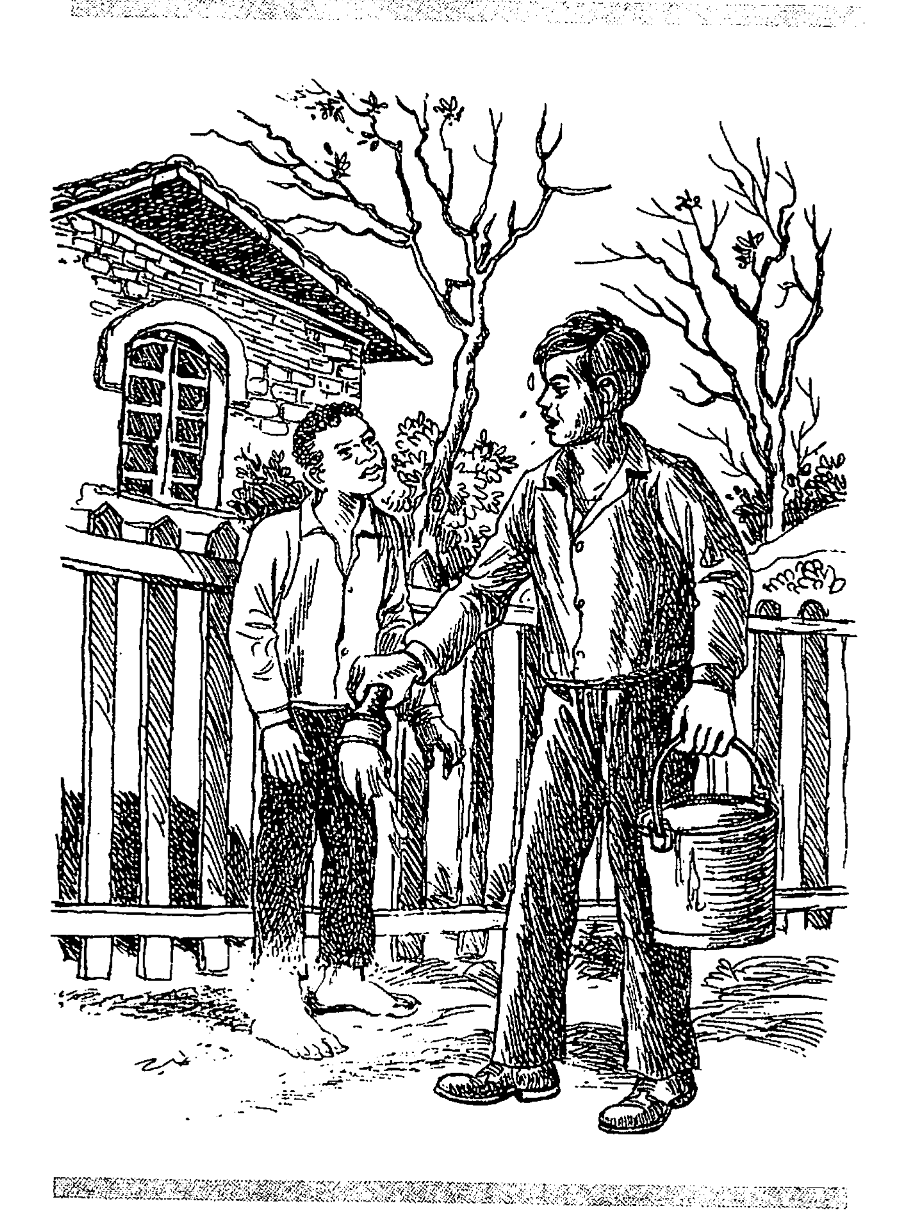
وفي لمح البصر قفز الغلام الغريب فوق الخط وتجاوزه .. وعلى الفور بدأت معركة حامية بين الغلامين .. وكانت ساحة المعركة فوق أرض متربة قذرة ، واشتد العراك بينهما فأخذا يتمرغان مشتبكين في التراب ، وأصبحت ملابسهما في حالة بائسة ، وانتصر «توم» على غريمه في نهاية الأمر .. وعندما عاد إلى البيت ، غضبت الخالة «بوللي» وقررت أن تعاقبه بأن يقوم بدهان سور البيت باللون الأبيض صباح اليوم التالي .

* * *

كان السور طويلاً ومرتفعًا وطلاؤه قد يستغرق اليوم كله .. لذلك فقد خرج «توم» منذ الصباح الباكر وهو يحمل في يده فرشاة ، ويحمل في يده الأخرى دلوًا مملوءًا بالطلاء الأبيض .. وبدأ على الفور في مهمته الشاقة الصعبة .

ولم يمض وقت طويل حتى بدأ يشعر بالتعب والإرهاق ، وأخذ يفكر في أية طريقة يمكنه أن يتخلص بها من هذا العناء .. وازداد شعور «توم» بالحزن عندما أخذ بعض الأولاد يتجمعون حوله ويَشْمَتُونَ فيه وهو يؤدي هذه العقوبة الشاقة .

وعندئذٍ سنحت في ذهن «توم» فكرة ماكرة ، فتظاهر على الفور بالانهماك في دهان السور وهو سعيد للغاية ويصفر بفمه .. وتجاهل



تعليقات الأولاد الذين كانوا يسخرون منه .. ونظر إليهم نظرات فيها كثير من التحدي ، وقال لهم إن دهان السور يجعله يشعر بكثير من المتعة والسعادة .. لأنه يدهنه بلون أبيض جميل ويزيل كل الأتربة والبقع المتراكمة عليه .. وإن دهان الأسوار بهذا الشكل يتساوى مع عمل الرسامين والفنانين ..

وهنا توقف الأولاد عن السخرية والشماتة ، وبدأ بعضهم في التقرب من «توم» والتودد إليه ليمنحهم فرصة الاشتراك معه في دهان السور .. ولكن «توم» تمنّع في البداية ، ثم أخذ يشترط على كل من يريد الاشتراك في عملية الطلاء أن يقدم له هدية مناسبة ، وبشرط أن يقوم بطلاء السور بطريقة جيدة .

وهكذا حصل «توم سوير» من الأولاد على بعض مقتنياتهم .. فأخذ منهم اثنتي عشرة «بلية» .. وقطعًا من الدوبارة .. وقطعًا من الزجاج الأزرق من قنينة مكسورة .. وتمثالاً صغيرًا من الصفيح لأحد الجنود .. ومفتاحًا لا يفتح شيئًا .. ولجام كلب دون كلب .. ومقبض سكينة قديمة .. وأربعة أجزاء من برتقالة .. وتفاحتين !.. وفي الظهر ، أصبح السور جميلاً بعد أن تم دهانه بعناية فائقة ، وبثلاث طبقات من الطلاء الأبيض!

* * *

كان «توم» يحب فتاة اسمها «إيمي لورانس» .. ولكنه سرعان ما نسيها عندما وقع فجأة في حب فتاة جميلة أخرى ذات شعر أصفر وعيون زرقاء .. اسمها «بيكي تاتشر» ، وهي أخت «جيف تاتشر» زميله في المدرسة .

وكان «توم» يتوقع أن تشكره خالته على دهان السور بكل هذا القدر من الإتقان والسرعة، ولكنه فوجئ بخالته تضربه بتهمة أنه كسر «السكرية» ودلق السكر .. بالرغم من أن «توم» لا يعلم عن هذا الموضوع شيئًا

ولم يكسر السكرية .. وإنما الذي كسرها في حقيقة الأمر هو أخوه «سيدني» .. وحزن «توم» من أجل ذلك حزنًا شديدًا ؛ لأنه أصبح يعاقب على الذنوب التي يرتكبها الآخرون .

وقرب المساء خرج «توم» من البيت وهو كسيف البال، وتمنى أن يموت ولو لفترة قصيرة .. ورأى أن خير طريقة يموت بها هي أن يأخذ وردة حمراء .. ويرقد على الأرض تحت نافذة البيت الذي تسكن فيه حبيبته «بيكي تاتشر» .. وفي الصباح عندما تفتح «بيكي» النافذة ستراه ميتًا وتبكي عليه .. وعندئذٍ يقوم من موته ويخبرها بأنه ما زال حيًّا ..!

وبينما كان «توم» غارقًا في أحلامه تلك ، فتحت النافذة ، وأطل منها رجل دلق على «توم» دلوًا مملوءًا بالماء البارد .. فهبَّ «توم» واقفًا على قدميه، وانطلق يجري عائدًا للبيت ..

* * *

وفي صباح اليوم التالي حاول «توم» أن يتهرب من الذهاب إلى المدرسة بحجة أن سنّته «الملخلخة» تؤلمه .. فقامت الخالة «بوللي» بخلع هذه السنة من فمه ، وأمرته بالذهاب إلى المدرسة فورًا .

وفي الطريق تقابل «توم سوير» مع صديقه «هَكِلْبِرِي فِنْ» .. وهو ولد شريد لا عمل له .. يلبس ملابس رثة وقذرة ، وكلها من الثياب القديمة التي يرميها الناس .. ولا يذهب طبعًا إلى المدرسة .. وليس له بيت يأويه .. ومع ذلك فقد كان جميع الأولاد في البلدة معجبين «بهَكِلْبِرِي فِنْ» ويتمنون أن يعيشوا حياة مثل حياته .

وكان «توم» يحب أن ينادي صديقه «هَكِلْبِرِى» باسم « هَكْ» .. ودار حديث قصير بين الصديقين ، علم فيه «توم» بأخبار مثيرة تستحق المغامرة

.. فقد قال «هك» إن بعض اللصوص سيسرقون الليلة جثة الرجل العجوز «هورس وليامز» الذي مات منذ يومين ، وذلك لبيعها لأحد الأطباء .. وأن من الضروري أن يذهبا معًا إلى منطقة المقابر ليلاً للتمتع بمشاهدة هذه الجريمة !

وبعد الاتفاق على هذه المغامرة الليلية ، وصل «توم» إلى المدرسة متأخرًا، فانهال عليه ناظر المدرسة بالضرب .. ولكن «توم» تحمل الضرب دون تأوه ، ليثبت شجاعته أمام زملاء وزميلات المدرسة .. وأمره الناظر بأن يجلس في الصف الذي تجلس فيه البنات عقابًا له .. وهكذا جلس «توم» بجوار حبيبته «بيكي تاتشر» .

وحاول «توم» بكل الطرق أن يلفت نظر «بيكي» إليه .. فوضع تفاحة فوق درجها ، ولكنها أزاحت التفاحة برفق دون أن تنظر إليه .. فأخرج «توم» ورقة بيضاء ورسم عليها بيتًا .. ثم رسم عدة بيوت أخرى .. وعندئذٍ بدأت الفتاة تهتم قليلاً .. ونظرت إلى الرسم بإعجاب .. وسألته هامسة : هل تستطيع أن ترسم رجلاً ؟.

وعلي الفور شرع «توم» في رسم رجل على شكل قرصان .. وازداد إعجاب الفتاة وهمست قائلة : إنك تجيد الرسم .. كم أنت عظيم يا «توماس سوير» !

فقال «توم» بثبات : إن «توماس سوير» هو اسمي الرسمي عندما يضربونني .. ولكن يمكنك أن تناديني باسم «توم» فقط .. فهذا هو اسمي عندما أكون لطيفًا !

وطلبت «بيكي تاتشر» من «توم» أن يعلِّمها كيف ترسم .. فوعدها بذلك بعد انصراف التلاميذ من الفصل .. وبعد انتهاء اليوم الدرأسى

جلس الاثنان معًا .. وأخرج «توم» ورقة وكتب عليها كلمة واحدة حاول أن يخفيها عن صاحبته ، وقال متظاهرًا بعدم الاهتمام : أنا لم أكتب شيئًا..

ولكن «بيكي» قالت له : لا .. لقد كتبت شيئًا .. دعني أقرأ ما كتبته ..

فقال «توم» على الفور : لا .. إنك ستخبرين الآخرين بذلك .

ووعدته «بيكي» أنها لن تبوح بهذا السر لأحد ..

وعندئذ أزاح «توم» يده ببطء من فوق الكلمة المكتوبة .. وقرأت الفتاة كلمة «أحبك» .. فضربته على يده وقالت له إنه ولد سيىء .. ولكن ملامح وجهها كانت في قمة السعادة !

* * *

وفي تلك الليلة تسلل الصديقان «توم سوير» و «هكلبري فين» في الظلام .. وشقا طريقهما إلى منطقة المقابر التي تقع عند أطراف البلدة ، ليتمتعا بمشاهدة اللصوص ، وهم يسرقون جثة الرجل العجوز «هورس وليامز» . واختبأ الاثنان خلف شجرة ضخمة بالقرب من المقابر ، انتظارًا لمجيء اللصوص وقيامهم بارتكاب هذه الجريمة ..

كانت ليلة مقمرة .. وكان من السهل أن يرى الاثنان وصول ثلاثة رجال ومعهم عربة صغيرة ومصباح خافت الضوء .. وتعرف «توم» و «هَكْ» على لصين هما «موف بوتر» و «ريد جو» وهما من الأشرار المعروفين بالبلدة ، أما الشخص الثالث فهو طبيب شاب اسمه الدكتور «روبنسون» .

وقام اللصان بإخراج التابوت من المقبرة ووضعاه فوق العربة .. ثم التفت «موف بوتر» إلى الدكتور «روبنسون» وطلب منه أن يدفع لهما خمسة دولارات أخرى فوق الأجر المستحق لهما .. وانضم اللص الآخر

«ريد جو» إلى زميله وأيد هذا الطلب .. ولكن الدكتور رفض ، فقامت معركة حامية بينه وبين اللصين .

اشتبك الدكتور أولاً مع «موف بوتر» الذي كان يمسك في يده سكينًا.. ولكن الدكتور أسرع في الإمساك بلوح من الخشب هوى به على رأس «موف بوتر» فخر مغشيًّا عليه وطارت السكين من يده ..

وعندئذٍ أسرع «ريد جو» في التقاط السكين وغمدها في صدر الطبيب فسقط ميتًا !

كان «توم سوير» وصديقه «هكلبري فين» يشاهدان كل هذه الجرائم المفزعة ، وقلب كل منهما يكاد يتوقف عن النبض من شدة الخوف والرهبة والفزع ..

وقبل أن يفيق «موف بوتر» من غشيته .. قام زميله «ريد جو» بوضع السكين في يده اليمنى .. وانتظر نحو خمس دقائق إلى أن أفاق «موف بوتر» وفتح عينيه .. وعندئذ انتابه الفزع حين رأى السكين في يده اليمنى ملوثة بالدماء .. وتساءل في ذهول : ما هذا الذي حدث ؟

أجابه «ريد جو» الذي كان معروفًا بالمكر والإجرام ، أن الذي حدث شيء فظيع وخطير .. وقال له : إنك بعد أن تلقيت الضربة على رأسك ، وقبل أن تتهاوى على الأرض مغشيًّا عليك ، قمت بإغماد السكين في صدر الدكتور فقتلته !

ولكن «موف بوتر» اضطرب غاية الاضطراب وقال إنه لا يتذكر شيئًا حدث بعد أن تلقى الضربة على رأسه .. وعندئذٍ نظر إليه «ريد جو» شذرًا وقال : هل تظن إذن .. إنني الذي قتلت الدكتور ..؟!

وعندئذٍ اعتذر «موف بوتر» لزميله «ريد جو» وهو القاتل الحقيقي للدكتور .. وتوسل إليه أن يحتفظ بهذا السر ولا يخبر به أحدًا .. وعلى ذلك افترق اللصان ، وذهب كل منهما إلى طريق مختلف وغادرا المكان .

وبعد أن استعاد «توم» و «هك» هدوءهما .. انطلقا يجريان بأنفاس لاهثة تجاه القرية .. وعندما وصلا إلى بيت قديم يقع على مشارف القرية جلسا يستريحان من شدة التعب والمجهود الذي بذلاه في سرعة الجري .. وقال «توم» لصديقه : إننا لو قلنا الحقيقة التي رأيناها بأعيننا سيقوم «ريد جو» بقتلنا فورًا .. وليس أمامنا سوى أن نترك «موف بوتر» يواجه مصيره التعس بتحمل عقوبة جريمة قتل الدكتور ، التي تملص منها «ريد جو» بالرغم من أنه القاتل الحقيقي .. علينا أن نحتفظ بهذا السر ؛ لأنفسنا ولا نخبر به أحدًا .. ويجب أن نتعاهد على ذلك ونكتب هذا التعاهد ونوقع عليه بدمائنا !

والتقط «توم» قطعة صغيرة من الخشب ، كتب عليها التعهد التالي : «هكلبري فين وتوم سوير يتعاهدان بألا يقولا شيئًا عن الموضوع .. وليمت أي واحد منهما إذا قال شيئًا ».. ثم قام كل منهما بجرح إبهام يده ووقعا على هذا التعهد بالدم .. ثم قاما بدفن قطعة الخشب في ركن بجوار الحائط ، وغنيا أغنية حزينة جدًّا تليق بهذه المناسبة .

* * *

وهكذا بدأ «توم» يعاني كثيرًا من المتاعب الصعبة والأحزان الثقيلة .. ولاحظت خالته «بوللي» أنه أصبح يتكلم بصوت مرتفع أثناء نومه ويصيح قائلاً : الدم ! .. الدم ! .. لابد أن أعترف !

وظنت الخالة أن الحالة التي انتابته ربما تكون بسبب ما سمعه من أخبار جريمة مقتل الدكتور في المقابر .. وتأثرت الخالة بمرض «توم» وازداد عطفها عليه .. وأخذت تسقيه أنواعًا مختلفة من الأدوية ، منها دواء اسمه «قاتل الألم» كان حرِّيفًا كالشطة ومرًّا كالعلقم ..

وغافل «توم» خالته ، وفتح فم قطتها المشمشية الصغيرة ، وأفرغ فيه ملعقة من هذا الدواء المسمى «قاتل الألم» .. فهاجت القطة هياجًا شديدًا .. وقفزت في الهواء نحو مترين ، وأخذت تموء بطريقة مرعبة ، وتدور بسرعة في جميع أنحاء الغرفة ، محدثة جلبة وضوضاء عالية ، وقامت بتكسير أشياء كثيرة من حاجيات البيت .

وعندئذٍ أدركت الخالة «بوللي» أن دواء «قاتل الألم» ، وقد فعل كل هذا بالقطة التي لم تشرب منه سوى ملعقة واحدة .. فكيف كان أثره على «توم» المسكين الذي كانت تسقيه ملعقة كل ثلاث ساعات !.. ولذلك توقفت الخالة نهائيًّا عن إعطاء «توم» أي نقطة من «قاتل الألم» .

* * *

وعندما عاد «توم» إلى المدرسة ضربه الناظر عقابًا له على كثرة غيابه وعدم استذكار دروسه أو القيام بواجباته .. وازدادت أحزان «توم» عندما لاحظ أن «بيكي تاتشر» لم تعد تحضر إلى المدرسة لسبب لا يعرفه ، أو ربما بسبب مرض ألمَّ بها .. ولذلك فقد ضاق صدره بكل هذه المنغصات والمتاعب ..ورأى أن الخروج الوحيد من هذه الحالة هو أن يتجه إلى عالم الجريمة ويصبح قرصانًا ذائع الصيت !

وعرض «توم» هذه الفكرة على صديق له اسمه «جو هاربر» كانت أمه تضربه بسبب شقاوته المستمرة في البيت .. ووافق «جـو» على الفـور على

أن يصبح عضوًا بعصابة القراصنة التي سيكوّنها «توم سوير» .. كذلك فقـد وافق « هكلبري فين» على الاشتراك معهما في تلك العصابة !

وهكذا هرب الأولاد الثلاثة من القرية على ظهر «طوف» من الخشب ، أبحروا به في النهر حتى وصلوا إلى جزيرة في وسط النهر وكانت مهجورة لا يسكنها أحد ، واسمها المعروف هو «جزيرة جاكسون» .. وأثناء الطريق شرح «توم» لزميليه جميع الواجبات والأعمال التي سيقومون بها كقراصنة .. وقال لهما إن القراصنة الأقوياء يستولون على السفن ويحرقونها ، ويحصلون على كل ما بتلك السفن من أموال .. ثم يقومون بدفن تلك الأموال ككنوز في أماكن غريبة ..

وزهق الأولاد الثلاثة بعد يومين قضوهما في النوم والسباحة وأكل السمك .. وفي اليوم الثالث لاحظوا أن مجموعة من الرجال كانوا يركبون قوارب ويبحثون عن غرقى .. وهكذا عرف الأولاد الثلاثة أنهم أصبحوا محل اهتمام أهالي البلدة الذين ظنوا أن الأولاد قد غرقوا في النهر أثناء قيامهم باللعب والسباحة .

وفي تلك الليلة ، بعد أن تأكد «توم» من أن زميليه «هكلبري فين» و«جو هاربر» قد استغرقا في النوم ، أراد أن يعرف المزيد عن أخبارهم لدي أهالي البلدة ، فتسلل ونزل إلى النهر وسبح تجاه شاطئ البلدة ، وانتهز فرصة الظلام وتسلل إلى بيت خالته دون أن يراه أحد ..

وهناك لاحظ «توم» أن أم «جو هاربر» كانت جالسة مع خالته «بوللي» .. وكانت المرأتان تبكيان بحرقة وتتذكران كل شيء عن الولدين الغريقين «جو هاربر» و «توم سوير» .. وعلم من حديثهما الحزين الباكي .. أن الاستعدادات قد بدأت لتشييع جنازة الأولاد الغرقى يوم الأحد القادم ..

وعاد «توم» مسرعًا إلى جزيرة «جاكسون» وانتظر حتى الصباح ليخبر زميليه بمغامرة الأمس وبالأخبار التي عرفها .. وشرح لهما خطة العودة إلى البلدة في يوم الأحد القادم ، وفي نفس الموعد المقرر لتشييع جنازاتهم .. وبهذا يعملون مفاجأة مثيره تبهر جميع أهالي البلدة !

* * *

وبطبيعة الحال فقد نجحت هذه الخطة عندما ظهر الأولاد الثلاثة لحظة تشييع جنازاتهم ، وحلَّ الفرح محل الحزن .. وشعر «توم» بأنه أصبح الآن رجلاً عظيمًا وتظاهر بالوقار ، وأخذ يمشي بتؤدة من مكان إلى آخر ، وذلك باعتباره كان قرصانًا سابقًا !

وفي المدرسة أصبح «توم» محل اهتمام جميع الأولاد والبنات .. وعادت «بيكي تاتشر» إلى التقرب إليه ومخاطبة ودّه . وعادت المياه إلى مجاريها الطبيعية بين الحبيبين الصغيرين .. وكانت «بيكي» قد تسببت في تمزيق صفحتين من كتاب ناظر المدرسة ، وتقدم «توم» بشجاعة واعترف للناظر بأنه هو السبب في تمزيق الصفحتين ، وتحمل بذلك عقاب الناظر نيابة عن «بيكي» !

وتوالت بعد ذلك مغامرات «توم سوير» العديدة التي أثارت اهتمام الناس وحققت له شهرة عريضة .. خصوصًا عندما تقدم للشهادة في محاكمة «موف بوتر» .. وشهد بأنه رأى «ريد جو» وهو يقتل الدكتور روبنسون .. وبأن «موف بوتر» ليس هو القاتل .. فحكمت المحكمة ببراءته وأطلقت سراحه .. وقررت القبض على «ريد جو» الذي اختفى وكأنه فص ملح وذاب .

واتفق «توم» مع صديقه «هَكْ» بأن يقوما معًا بمغامرة البحث عن أي كنز يمكن العثور عليه في الأماكن الخلوية أو في البيوت المهجورة التي

تسكنها الأشباح .. ومن الغريب أن هذه المغامرة التي اشترك فيها الصديقان أدت إلى نتائج في غاية الأهمية ، فقد عرفا المكان الذي كان يختبئ فيه المجرم «ريد جو» .. وعرفا أيضًا أن «ريد جو» .. لديه كنز في صندوق كبير مملوء بالعملات الذهبية .. وعرفا كذلك أخبارًا مخيفة عن جريمة قتل يدبرها «ريد جو» مع شريك له ، حيث ينويان قتل «مسز دوجلاس» الذي يقع بيتها بأعلى التل والاستيلاء على أموالها .

ونظرًا لأن «توم» كان مشغولاً بالاشتراك في رحلة مدرسية لزيارة أحد الكهوف ، فقد قام «هكلبري فين» وحده بإبلاغ «مستر جونس» صاحب أقرب بيت إلى بيت «مسز دوجلاس» بالجريمة التي ينوي «ريد جو» ارتكابها بالاشترك مع زميله .. وقام «مستر جونس» وأولاده بتسليح أنفسهم بالبنادق ، وأطلقوا النار على اللصين عندما اقتربا من بيت «مسز دوجلاس» في الموعد المحدد الذي اتفقا عليه للقيام بجريمتي السرقة والقتل .. ولكن النار لم تصب أيًا من اللصين اللذين استطاعا الهرب وسط الظلام .. وبذلك تم إنقاذ « مسز دوجلاس» من هذه الجريمة البشعة .

* * *

أما الرحلة المدرسية لزيارة الكهف ، فقد أسفرت هي الأخرى عن مغامرة مثيرة أصبحت حديث الناس في البلدة كلها ، فقد تعمق «توم سوير» ومعه «بيكي تاتشر» في دخول الممرات الجانبية المتشعبة داخل الكهف .. وانفصلا تمامًا عن بقية الأولاد والبنات .. وتاها وسط الممرات دون أن يستطيعا الخروج من الكهف حتى حلَّ ظلام الليل ..

ومرت ثلاثة أيام عصيبة لم يتوقف فيها أهل البلدة عن عمليات البحث عن الصغيرين الغائبين .. ولم يتوقف خلالها «توم» عن البحث عن مخرج من هذا المأزق الذي وقع فيه وأوقع معه «بيكي تاتشر» .

ولكن جهود «توم» لم تكن عبثًا .. فقد أسفرت عن عدة معلومات واكتشافات مثيرة .. لقد اكتشف أن «ريد جو» يتخذ من هذا الكهف مخبأ له ولكنزه الضخم من العملات الذهبية .. واكتشف في النهاية ثغرة صغيرة استطاع أن يخرج منها هو و«بيكي تاتشر» .. وكانت هذه الثغرة تبعد بنحو خمسة أميال عن المدخل الذي دخلا منه إلى الكهف !

ولأنهما كانا متعبين تمامًا من تلك التجربة المثيرة .. فقد أركبهما سائق إحدى العربات على عربته واتجه بهما نحو البلدة.. ولا يمكن وصف مشاعر الفرح بعودة الصغيرين إلى أهلهما مرة أخرى .. وحكت «بيكي تاتشر» لوالدها كيف قام «توم» بالبحث عن طريقة للخروج من الكهف .. وأنه أعطاها كل ما كان معه من طعام ولم يأكل هو شيئًا .. وهكذا اكتسب «توم سوير» بطولة جديدة .

وبعد بضعة أيام قال والد « بيكي تاتشر» إنهم أغلقوا الكهف بباب من الحديد ولن يسمح لأحد بالدخول إليه .. وعندئذ قال «توم» إن معنى ذلك هو أن «ريد جو» المختبئ داخل الكهف لن يستطيع الخروج منه وربما يتعرض للموت ..

وذهب بعض رجال البلدة ومعهم مأمور الشرطة ليقبضوا على المتهم الهارب المختبئ بالكهف .. ولكنهم عندما وصلو إلى مدخل الكهف وجدوا «ريد جو» ميتًا بجوار المدخل ، الذي حاول أن يحفر فيه ثغرة أو يحطم الباب الحديدي دون جدوى ..

وفي تلك الليلة نفسها ذهب «توم سوير» ومعه صديقه «هكلبري فين» إلى الثغرة التي اكتشفها «توم» من قبل ، ودخلا إلى الكهف ، وعثرا بعد جهد على كنز العملات الذهبية .. ووضعا هذه العملات في عدة حقائب .. وعادا إلى البلدة وقاما بإخفاء هذه الحقائب في مكان أمين .

وفي الليلة نفسها أيضًا ، كانت «مسز دوجلاس» قد أعدت احتفالاً كبيرًا بنجاتها ، ودعت إليه كثيرين من أهالي البلدة .. وبالطبع فقد ذهب «توم» و «هك» إلى حضور هذا الاحتفال . واستمعا إلى خطبة كان يلقيها «مستر جونس» ، الذي أعلن أن الفضل لا يرجع إليه ولا إلى أولاده في إنقاذ «مسز دوجلاس» من القتل والسرقة ، وإنما الفضل كله يرجع إلى شجاعة «هكلبري فين» الذي أبلغ عن هذه الجريمة قبل حدوثها .

وعندئذٍ أعلنت « مسز دوجلاس» أنها ستتبنى «هكلبري فين» اعتبارًا من الآن ، وستجعله يعيش في بيتها آمنًا .. وعندما يكبر ستمنحه بعض المال ليبدأ حياته العملية ويدعم مستقبله ..

وهنا قال « توم » بعد أن فتح إحدى حقائب العملات الذهبية : إن صديقه «هَكْ» ليس في حاجة إلى المال لأنه غني بالفعل .. فهو يمتلك نصف الكنز الذي عثرا عليه ..

واندهش جميع المدعوين الذين كانوا حاضرين بالحفل وفغروا أفواههم عندما رأوا هذا القدر الكبير من العملات الذهبية ..

وهكذا أصبح الصديقان بين يوم وليلة من أثرياء البلدة .. كما وجد «هكلبري فين» في النهاية بيتًا محترمًا يعيش فيه ..

ولكن هل رضي «هكلبري فين» بأن يعيش تلك الحياة الناعمة الهادئة الجديدة ؟!

إن لذلك قصة أخرى !

جـــين أوسْـتِنْ

كـبريـــاء وتحـــامـل

PRIDE AND PREJUDICE
BY: JANE AUSTEN

«المستر بنيت» من سادة الريف الإنجليزي ، ويتميز بقدرته الفائقة على التعليقات الفكاهية اللاذعة ، أما زوجته «مسز بنيت» فهي سيدة ثرثارة متعتها الكبرى في تبادل الزيارات وتناقل الأخبار والشائعات مع الجيران.. وهمّها الأكبر هو أن تعثر على «عرسان» لبناتها الخمس الآنسات [جين ، وإليزابيث ، وماري ، وكاترين ، وليديا] .

وبطبيعة الحال فقد كانت «مسز بنيت» تطمح إلى تزويج بناتها من شبان أثرياء يتمتعون بالثروات الطائلة والمراكز المرموقة في المجتمع الإنجليزي .

وفي يوم ما أخبرت «مسز بنيت» زوجها بأن البيت المسمّى «نذرفيلد بارك» المجاور لبيتهم قد تم بيعه لشاب ثري من شمال إنجلترا يدعى «مستر بنجلي» .. وبالنظر إلى أن هذا الشاب غير متزوج [وقد عرفت ذلك من إحدى صديقاتها] فإن من الواجب أن يقوم «مستر بنيت» بزيارته وعقد أواصر الصداقة معه ، حتى يمكن أن يقوم هذا العريس «اللُّقطة» باختيار إحدى البنات زوجة له .

وقد أثار هذا الحديث تعليقات لاذعة من «مستر بنيت» ، تناول فيها زوجته وبناته كلهن عدا «إليزابيث» الأثيرة عنده ، لما تتمتع به من ذكاء وقوة شخصية أكثر مما تتمتع به أخواتها الأخريات .

وبالرغم من أن «مستر بنيت» قد تظاهر أمام زوجته بأن هذا الموضوع لا يهمه ، وأنه لن يزور «مستر بنجلي» هذا ، ولن يغريه بالزواج من إحدى

بناته ، إلا أنه أعلن في النهاية أنه قد زار بالفعل «مسر بنجلي» في نذر فيلد . وأن من المتوقع أن يقوم «مستر بنجلي» برد هذه الزيارة .. الأمر الذي أشاع البهجة والسرور لدي «مسز بنيت» وكل بناتها .

وعندما تمت هذه الزيارة بالفعل ، لم تستغرق أكثر من عشر دقائق ، حيث استقبله «مستر بنيت» في حجرة المكتبة .. وأعلن «مستر بنجلي» أنه يأمل في مشاهدة بنات الأسرة في فرصة أخرى .. وانصرف «مستر بنجلي» بعد ذلك، وتمتعت البنات الخمس برؤيته من النافذة العليا بالبيت ، وهو يمتطي ظهر حصانه الأسود ، ويسير مزهوًا بالملابس الزرقاء التي كان يرتديها .

ورتبت «مسز بنيت» أمورها وأرسلت «للمستر بنجلي» دعوة لتناول العشاء .. غير أن «المستر بنجلي » اعتذر عن قبول الدعوة لاضطراره إلى السفر إلى لندن في مهمة عاجلة .. وعلمت «مسز بنيت» من صديقتها «ليدي لوكاس» أنه قد سافر لدعوة بعض الرجال والفتيات من أصدقائه لحفلة رقص سيقيمها في بيته الجديد «نذرفيلد بارك» .

* * *

وانعقد الحفل الراقص بقاعة الاحتفالات في «نذرفيلد» .. وحضرته «مسز بنيت» وبناتها الخمس ، ومجموعة من ضيوف «مستر بنجلي» .. وهم: أخته الصغرى «الآنسة كارولين» .. وأخته الكبرى «مسز هيرست» [لويزا] وزوجها «مستر هيرست» .. وشاب من النبلاء الأثرياء اسمه «مستر دارسي» .

وجذب «مستر دارسي» انتباه الأم وبناتها الخمس بقوامه الممشوق ، ونبل مظهره .. وازداد إعجابهن به عندما قيل إن ممتلكاته تدر عليه دخلاً كبيرًا يتجاوز عشرة آلاف جنيه كل عام .

ومع ذلك فقد تحول إعجاب «مسز بنيت» به إلى كراهية وحنق عليه ، بعد أن لاحظت أنه متغطرس وشديد الكبرياء .. وأنه تجاهل جميع بناتها ، ولم يطلب أية واحدة منهن للرقص .. في حين أن «مستر بنجلي» قد اختار البنت الكبرى «جين» وأخذ يراقصها طوال الحفل .. بينما كانت «إليزابيث» جالسة إلى جوار «مستر دارسي» فتجاهلها طوال لوقت .

وعندما جاء صديقه ومضيفه «مستر بنجلي» ليشجعه على اختيار إحدى الفتيات ليراقصها ، قال له بصراحة وبصوت مسموع إنه لا يجد في هذه القاعة أية فتاة تثير اهتمامه أو تغريه بالرقص معها .

وعندما أشار إليه «مستر بنجلي» أن يراقص «اليزابيث» ، نظر إليها «مستر دارسي» نظرة خاطفة وقال ببرود إنها جميلة فعلاً ولكنها ليست أنيقة بدرجة كافية لإغرائه على طلبها للرقص .. وسمعت «إليزابيث» هذا الرأي الجارح لكبريائها .. ومع ذلك فلم تهتم كثيرًا بما حدث ، بل كانت تروي هذا الموقف لصديقاتها فيما بعد بروح ملؤها الدعابة والطيبة والمرح ..

وسعدت «مسز بنيت» كثيرًا بما لاحظته من اهتمام «مستر بنجلي» وأختيه بابنتها الكبرى «جين» .. فقد حازت إعجابه وراقصها كثيرًا .. كما أن أختيْ «مستر بنجلي» [لويزا وكارولين] أبديتا إعجابهما أيضًا بالآنسة «جين»، الأمر الذي سعدت به أسرة «بنيت» كلها .. وكانت سعادة الأم «مسز بنيت» تفوق الوصف .

* * *

كان بيت عائلة «بنيت» يقع في «لونجبورن» .. وعلى مسافة قصيرة كان يقع بيت عائلة «سير وليم لوكاس» .. وبطبيعة الحال فقد نشأت علاقة وطيدة بين هاتين العائلتين .

وكان «سير لوكاس» تاجرًا سابقًا مارس أعمال التجارة في قرية «ميرتيون» القريبة ، وحقق ثروة طائلة توصل بها إلى لقب «سير» .. وهو لقب رفيع جعله يتفاخر كثيرًا بانتمائه إلى هذه الطبقة الراقية .. فترك عمله وبيته في قرية «ميرتيون» ، وأقام في بيت أفضل يقع على بعد نحو ميل واحد من «ميرتيون» .. وسمى بيته الجديد «لوكاس لودج» .

وكانت زوجته «ليدي لوكاس» امرأة طيبة .. أما كبرى بنتيه الآنسة «تشارلوت لوكاس» ؛ فقد كانت فتاة طيبة تبلغ من العمر نحو سبع وعشرين سنة .. وكانت تربطها صداقة وطيدة بالآنسة «إليزابيث بنيت» .. أما صغرى البنتين فهي «الآنسة ماريا لوكاس» ، وكانت هي الأخرى فتاة لطيفة وطيبة إلى حد كبير .

وفي أول لقاء بين العائلتين ، انصب الحديث كله على وصف ما دار في الحفل الراقص الذي أقامه «مستر بنجلي» ووصف سلوكيات الضيوف ، وعلى وجه الخصوص ذلك الشاب المتكبر «مستر دارسي» وسلوكه الفظ نحو «إليزابيث» .

* * *

وأقيمت حفلة راقصة أخرى في بيت «سير لوكاس» حضرها «مستر بنجلي» وأختاه ، وزوج أخته ، وصديقه الشاب «مستر دارسي» .. كما حضرتها أيضًا «مسز بنيت» وبناتها .

وقد حاول «سير لوكاس» أن يغري «مستر دارسي» بطلب مراقصة الآنسة «إليزابيث بنيت» ، وعندما تقدم «مستر دارسي» بأدب شديد وطلب «إليزابيث» للرقص ، ابتعدت «إليزابيث» بأدب وأعلنت عدم رغبتها في

الرقص .. وكان هذا الموقف منها مدعاة لجذب انتباه «مستر دارسي» وبداية لإعجابه بها .

* * *

ودعيت الأخت الكبرى «جين» لقضاء بعض الوقت مع أختي «مستر بنجلي» «كارولين ولويزا» .. ففرحت الأم بذلك .. وازداد فرحها حين هطلت أمطار غزيرة ، ستكون مبررًا لتعذر رجوع ابنتها «جين» واضطرارها إلى المبيت في «نذرفيلد» . وحدث هذا بالفعل ..

ولكن في صباح اليوم التالي وصلت رسالة إلى «مسز بنيت» ، علمت منها أن ابنتها«جين» مريضة وأصابتها حمى البرد .. وعلى الفور انزعجت «إليزابيث» على أختها وقررت الذهاب في الحال للاطمئنان عليها .. واضطرت «إليزابيث» أن تذهب إلى «نذرفيلد» سيرًا على قدميها لعدم قدرتها على ركوب الخيل .

ووصلت «إليزابيث» إلى «نذرفيلد» وقت أُنْهِكَتْ قواها وتلوثت ملابسها بالطين.. وازداد إعجاب «مستر دارسي» بها وهي في حالتها تلك. ونظرًا لأن الطبيب قد قرر أن الأخت «جين» مصابة بحمى شديدة ويجب أن تستريح وتنام دون حركة ، فقد دعت الآنسة «كارولين بنجلي» الآنسة «إليزابيث» لكي تبقى إلى جوار أختها .. وأرسلوا رسالة بذلك إلى «لونجبورن» لإخبار الأسرة ، ولطلب بعض الملابس الخاصة بالأختين «جين وإليزابيث» .

وأثناء إقامة الأختين بـ«نذرفيلد» ازداد إعجاب «مستر دارسي» بإليزابيث . وهو إعجاب حاول كثيرًا أن يخفيه ؛ لأنه كان يخشى أن يقع في حبها ؛ لأنها من طبقة أقل من طبقته .. كذلك فقد ازداد إعجاب «مستر

بنجلي» بالأخت «جين» .. أما الآنسة «كارولين بنجلي» فقد أصبحت تغار من «إليزابيث» ؛ لأنها لاحظت أن إعجاب «مستر دارسي» بها قد أصبح يزداد بمرور الوقت .

* * *

أعلن «مستر بنيت» لزوجته وبناته أنه تلقى رسالة من ابن عمه ، وهو قسيس شاب يدعى «مستر كولنز» .

وكان من المعروف أن «كولنز» هذا هو الذي سيؤول إليه بالميراث البيت الذي تعيش فيه أسرة «مستر بنيت» بعد موته .. ذلك لأن البيت والمزرعة موقوفان على الذكور فقط من هذه العائلة .. وكان أقرب أقرباء «مستر بنيت» من الذكور هو ذلك القسيس الشاب « مستر كولنز» .. ولذلك فقد كانت «مسز بنيت» تنزعج تمامًا عند مجرد ذكر اسمه أمامها .

ولكن «مستر بنيت» طمأن أسرته عندما قرأ الرسالة ، وقال إن ابن عمه «مستر كولنز» سيحضر ليعلن حلًّا يرضي الجميع .

وحضر «مستر كولنز» في الموعد الذي حدده برسالته .. وكان شابًّا طويلاً وقويًّا يبلغ نحو الخامسة والعشرين .. ويتعامل مع الجميع في غاية الرقة والأدب . وأعلن «مستر كولنز» أنه يرغب في الزواج من إحدى بنات ابن عمه . وأنه اختار الابنة الكبرى «جين» .. واعتبر ذلك تسوية كريمة لإنهاء مشكلة ميراث بيت «لونجبورن» .

غير أن «مسز بنيت» أشارت له بطريق غير مباشر بأن ابنتها «جين» شبه مخطوبة لشخص آخر .. وعلى الفور غيَّر «مستر كولنز» رأيه واختار «إليزابيث» باعتبارها الأخت التالية «لجين» ، فسعدت «مسز بنيت» كثيرًا

بهذا الحل ، وسعدت أكثر بأنها أصبحت الآن على وشك أن تزوِّج اثنتين من بناتها في وقت واحد .

* * *

وذات صباح بينما كانت البنات يقمن بنزهة صحبهن فيها «مستر كولنز»، تقابلت المجموعة مع ضابطين ، أحدهما معروف لدى البنات وهو الضابط «دارني» .. أما الضابط الوسيم الآخر فهو «مستر ويكهام» الذي أعجبت البنات بوسامته ونبل مظهره .

وبينما كانت البنات يتحدثن مع الضابطين ، شاهدن كلًّا من «مستر بنجلي» و «مستر دارسي» وهما راكبين فوق حصانيهما ، وكانا متجهين إلى «لونجبورن» للاطمئنان على صحة «جين» .. ولاحظت «إليزابيث» بذكائها أن هناك سوء علاقة بين كل من « مستر دارسي » و «مستر ويكهام» .

* * *

وتلقت البنات دعوة للعشاء من خالتهن «مسز فليبس» فذهبن وذهب معهن «مستر كولنز» .. وكان «مستر ويكهام» مدعوًا أيضًا .. وعلمت «إليزابيث» منه سر الجفاء بينه وبين «مستر دارسي» .. حيث أخبرها بأن أباه كان يعمل وكيلاً لإدارة أملاك والد «مستر دارسي» .. الذي كان عطوفًا وأوصى بكفالة مستقبله . وعندما مات والد «مستر دارسي» تنصل الابن من وصية أبيه ، وفسَّرها بطريقة مختلفة مدَّعيًا أن «مستر ويكهام» له تصرفات سيئة ولا يستحق هذه الكفالة .. وقال «مستر ويكهام» في النهاية إنه يعرف أن «مستر دارسي» يضمر له كراهية شديدة .

كذلك فقد قال «مستر ويكهام» لإليزابيث إن خالة مستر دارسي «ليدي كاترين دي بورج» سيدة ثرية وذات نفوذ .. وأن لها ابنة هي «الآنسة آن دي

بورج» .. وهي تطمع في تزويجها «لمستر دارسي» لتوحيد الأملاك وزيادة الثروة . وفرحت «إليزابيث» بهذا الخبر الذي يبدد آمال «الآنسة كارولين بنجلي» أخت «مستر بنجلي» والتي تطمح إلى الزواج من «مستر دارسي» .

* * *

وذات صباح أعلن «مستر كولنز» رغبته في الزواج من «إليزابيث» بصفة رسمية .. وقال ذلك بطريقة غاية في الأدب ، ولكنها لا تخلو من التعالي والثقة الشديدة بنفسه .. ولكن « إليزابيث » رفضت هذا الطلب بأدب شديد وحسم واضح .

غضبت « مسز بنيت » من تصرف ابنتها « إليزابيث » ورفضها الزواج من «مستر كولنز».. ولكن « مستر بنيت » نفسه هنأ ابنته على شجاعتها في هذا الرفض .

وبعد عدة أيام وصلت « الآنسة تشارلوت لوكاس » لقضاء بعض الوقت مع صديقاتها البنات .. ولاحظت « إليزابيث » بكثير من السعادة والارتياح أن « مستر كولنز » أبدى اهتمامًا زائدًا « بتشارلوت لوكاس » .. وقد تحول هذا الاهتمام سريعًا إلى إعجاب متبادل أعقبه طلب «مستر كولنز» الزواج من « تشارلوت » .

وفوجئت أسرة بنيت برسالة تلقتها من «نذرفيلد» بأن الجميع قد رحلوا إلى لندن .. « مستر بنجلي » وأختاه وزوج أخته و« مستر دارسي ».. وتألمت «مسز بنيت» أيضًا حين تبدد أملها في تزويج ابنتيها واحدة وراء الأخرى.

* * *

ومرت شهور قليلة تم فيها زواج « مستر كولنز » من « تشارلوت » .. ورحل الزوجان إلى « هنسفورد » حيث يقيم الزوج .. وسافرت « جين »

إلى لندن لتقيم لدي بعض أقاربها ، لعلها تشاهد « مستر بنجلي » ، وتستقر معه على رأي حاسم في موضوع علاقتهما .

وبعد مرور عدة أسابيع تلقّت « إليزابيث » دعوة من صديقتها «تشارلوت» لزيارتها في « هنسفورد » .. وذهبت « إليزابيث » إلى هناك تلبية للدعوة .. وأقامت هناك عدة أيام دعيت فيها إلى حضور أكثر من حفلة أقامتها « ليدي كاترين دي بورج » خالة « مستر دارسي » .. وهناك تقابلت « إليزابيث » مع «مستر دارسي» عدة مرات. اتضح منها أن «مستر دارسي» قد ازداد إعجابه بها واقترابه منها .

وفي أحد هذه اللقاءات ، اعترف لها « مستر دارسي » بحبه وأعلن رغبته في الزواج منها .. ولكن « إليزابيث » .. ويا للعجب ! .. رفضت هذا العرض لعدة أسباب ذكرتها له .. لأنه أولاً قد تم بطريقة فيها الكثير من التعالي على عائلتها .. ولأنها كانت على يقين بأن « مستر دارسي » كان له تأثير مباشر على صديقه «مستر بنجلي» ودفعه إلى التنصل من علاقته بأختها «جين» .. وأنها على يقين أيضًا بأن «مستر دارسي» يقف موقفًا ظالمًا وغير كريم من « مستر ويكهام » . وانتهى هذا اللقاء بانصراف «مستر دارسي» غاضبًا، واستغرقت «إليزابيث» في موجة من البكاء المتواصل.

ولكن في صباح اليوم التالي تلقت « إليزابيث » رسالة من « مستر دارسي» يشرح فيها موقفه ، ويرد على اتهاماتها له .. واعترف في البداية بأنه يشعر بالفعل بتدني وضع أسرة أمها « مسز بنيت » . وهذه حقيقة لا مفر منها ، إذا تمت المقارنة بين هذا الوضع ووضع أسرته النبيلة .. وأن هذا كان السبب الذي دعاه إلى تحريض صديقه « مستر بنجلي » على عدم الزواج من أختها « جين » .. فصديقه « بنجلي » من أسرة نبيلة أيضًا .



واعترف لها كذلك بسر جفاء العلاقة بينه وبين « مستر ويكهام » .. فقد كان « ويكهام » هذا تحت عطف ورعاية « مستر دارسي » (الأب) .. وكان يعطف عليه كثيرًا وقرر له معاشًا إذا أكمل دراسته للعلوم الدينية وأصبح قسيسًا بالكنيسة .. وبعد أن مات « مستر دارسي » (الأب) أعلن « مستر ويكهام» أنه غير راغب في مواصلة دراسة العلوم الدينية. وطلب أن يدرس القانون .. فقام « مستر دارسي » (الابن) بمساعدته على ذلك .. ولكنه علم فيما بعد أن « ويكهام » مهمل تمامًا لدراسته ، ويعيش حياة منحرفة ، بل وقام بعمل علاقة مع أخت « مستر دارسي » الصغيرة وغرر بها وأغواها على الهرب معه .

اعترف « مستر دارسي » في رسالته بكل هذه الأسرار وطلب من «إليزابيث» أن تكتم هذه الأسرار وتحتفظ بها لنفسها ، ولا تعلنها لأحد أيًّا كان.

وصدقت « إليزابيث » كل كلمة جاءت في تلك الرسالة .. وخاب ظنها تمامًا في « مستر ويكهام » ، وآمنت بأنه شخص انتهازي سيئ ومخادع شرير.

* * *

حلَّت « إليزابيث » ضيفة على خالها « مستر جاردنر » وزوجته « مسز جاردنر » وأولاده الصغار .. وكانوا يعيشون في منطقة ريفية جميلة ذات طبيعة خلابة .. وهناك تقابلت مع « مستر دارسي » وشعرت بكثير من الخجل أمامه .. ولكنها اندهشت من شدة رقته وأدبه في التعامل معها ، بل وطلب منها أن تسمح له بأن يصطحب أخته معه في زيارته القادمة لتتعرف عليها .. وسُرَّت « إليزابيث » كثيرًا بهذه الصداقة والإعجاب المتبادل بين خالها « مستر جاردنر » وصديقها « مستر دارسي » .

غير أن سعادة « إليزابيث » لم تدم طويلاً ، فقد تسلمت رسالة مفزعة تتضمن أخبارًا سيئة .. كانت الرسالة من أختها « جين » تخبرها فيها بأن أختهما الصغرى « ليديا » قد هربت مع « مستر ويكهام » الذي غرَّر بها بوعده بالزواج منها .. غير أن الأسرة لا تثق إطلاقًا في كلامه .. وسافر الأب « مستر بنيت » إلى لندن لمحاولة العثور على « ليديا » .. وقالت «جين» في نهاية الرسالة إن أباها قد استشاط غضبًا واضطرب ذهنه ، ومن المتوقع أنه سيسيئ التصرف بحكمة .. ومن الأوفق في هذه الحالة أن تقوم « إليزابيث » باستشارة الخال «مستر جاردنر» للتصرف في هذا الموقف .

وفور أن عرف الخال بهذه الأخبار السيئة ، استعد الجميع للرحيل إلى «لونجبورن» ليكونوا إلى جانب عائلة « بنيت » في محنتها .

وسرعان ما شاع خبر هذه الفضيحة ، ووصل إلى ابن العم «مستر كولنز» الذي أرسل رسالة يؤنب فيها الأب والأم ، وينصح الأسرة فيها بطرد هذه البنت الضالة التي جلبت العار على العائلة كلها .

وبعد أن عاد « مستر بنيت » خائبًا دون أن يتمكن من العثور على ابنته «ليديا» أو على « مستر ويكهام » الذي غرَّر بها .. سافر الخال « مستر جاردنر » ليبحث بنفسه عن الهاربين ، ويسوي الموضوع تسوية مرضية تمنع الفضيحة وتصحح الوضع بالنسبة للجميع .

وبعد فترة وصلت رسالة من الخال يخبرهم فيها بأنه تقابل مع «ليديا ومستر ويكهام » .. وعرف أنهما لم يتزوجا بعد .. وأن « مستر ويكهام » قد اشترط لإتمام الزواج بصفة رسمية بعض الشروط المالية التي يجب أن تقوم الأسرة بتوفيرها لابنتهم « ليديا » .

وأدرك الأب « مستر بنيت » أن الخال « مستر جاردنر » لابد قد دفع الكثير لهذا الشخص الانتهازي ، حتى يصل معه إلى هذا الاتفاق .

وعلى هذا تمت تسوية الموضوع بلا فضيحة ، وتزوَّج « مستر ويكهام » من « ليديا » .

وعلمت « إليزابيث » من زوجة خالها « مسز جاردنر » أن « مستر دارسي » كان له موقف كريم جدًّا ، وساعد زوجها في تسوية الموضوع واندهشت « إليزابيث » من موقف « مستر دارسي » الذي لم يكن متوقعًا .. وهكذا ازداد إعجابها به وحبها له .

* * *

وزادت سعادتها أكثر وأكثر حين عادت عائلة « مستر بنجلي » إلى «نذرفيلد» .. وكان في صحبتهم « مستر دارسي » .. وعاد التزاور بين العائلتين (بنجلي وبنيت) .. وعاد تبادل دعوات الغداء والعشاء .. وتوطدت علاقة الحب التي تجمع بين « مستر بنجلي » والأخت الكبرى «جين» .. أما علاقة الحب التي تجمع بين « مستر دارسي » و« إليزابيث » فقد أخذت تزداد نموًّا بهدوء وتزداد قوة .. وانتهى الأمر أخيرًا بأن أعلن «مستر بنجلي» رسميًا رغبته في الزواج من « جين » .

* * *

وبطبيعة الحال فقد عمَّت الفرحة جميع أفراد عائلة « بنيت » .. ولكن في أحد أيام الأسبوع التالي ، وصلت إلى البيت عربة فاخرة نزلت منها سيدة أرستقراطية متغطرسة هي « ليدي كاترين دي بورج » .. وهي خالة «مستر دارسي» ، وطلبت الليدي أن تنفرد بالآنسة « إليزابيث » ؛ لأنها تريد أن تحادثها حديثًا خاصًا .. وتمشت الاثنتان في الحديقة الملحقة بالبيت .

بدأت الليدي حديثها بغطرسة زائدة لا تخفي غضبها .. وقالت إنها علمت بأن ابن أختها « المستر دارسي » ينوي الزواج من الآنسة «إليزابيث بنيت» .. وهذا زواج مستحيل ؛ لأنه غير متكافئ ، نظرًا لنبل عائلة «مستر دارسي» ووضاعة عائلة « مسز بينت » أم إليزابيث .. وأخبرتها أيضًا أن «مستر دارسي» مرتبط بابنتها منذ الصغر ، وأن زواجه من ابنتها يحقق المصلحة بالنسبة للطرفين فيما يخص الثروات والأملاك التي ستتوحد بهذا الزواج .. وأخبرتها كذلك بأنها على علم بالفضيحة المخزية التي صنعتها أختها الصغرى « ليديا » وفرارها مع « مستر ويكهام » واضطراره للزواج منها في النهاية .

وأخيرًا طلبت ليدي « كاترين دي بورج » من « إليزابيث » أن تعدها بأنها سترفض الزواج من « مستر دارسي » إذا تقدم لطلب يدها .. ولكن «إليزابيث» رفضت ذلك ، وطلبت من « الليدي كاترين » أن تنهي المقابلة عند هذا الحد .. وانصرفت الليدي غاضبة وهي تواصل إهاناتها ..

وحدث بعد ذلك أن قام « مستر دارسي » و« مستر بنجلي » بزيارة عائلة «بنيت» .. وتقابل « دارسي » مع « إليزابيث » التي بدأت حديثها معه بشكره على موقفه النبيل الكريم ومساهمته في حل مشكلة أختها « ليديا » مع « مستر ويكهام » .. ورد عليها « دارسي » بأنه فعل هذا من أجلها هي ؛ لأنه يحبها ويريد أن يتأكد من أنها تبادله الشعور نفسه حتى يمكنه التقدم لطلب يدها .

* * *

اندهشت عائلة بنيت بأسرها عندما أبلغتهم « إليزابيث » بهذا الخبر ؛ لأن جميع أفراد العائلة - وخصوصًا أمها - كانوا يظنون أن « إليزابيث » تكره « مستر دارسي » لموقفه السابق منها ومن أختها « جين » .. غير أن

«إليزابيث» أفهمتهم بأن سلوك « مستر دارسي » قد تغير تمامًا وأنها بالفعل تحبه وتتمناه زوجًا لها .

* * *

وهكذا تم أخيرًا زواج « جين » من « مستر بنجلي » .. وزواج «إليزابيث» من « مستر دارسي » .. وأصبحت عائلة « بنيت » تعيش في سعادة غامرة ..

وبسبب هذا الزواج انتهت المشاكل التي كانت موجودة بين هذه العائلات كلها .. إلا أن « ليدي كاترين دي بورج » ظلت على غطرستها ، وازدادت غضبًا وحنقًا ..!

* * *

ولیم شیکسپیر

رومیو و جولییت

ROMEO AND JULIET
BY: WILLIAM SHAKESPEARE

في مدينة « فيرونا » بإيطاليا ، كانت تعيش أسرتان ثريتان هما : أسرة «مونتاجيو» التي ينتمي إليها «روميو» ، وأسرة « كابوليت » التي تنتمي إليها « جولييت » ..

وكان بين هاتين العائلتين عداء كبير ، وصل إلى حد إراقة الدماء .. وكم شهدت شوارع المدينة من أنواع الشجار والمشاحنات والمعارك التي كانت تنشب باستمرار بين أعضاء العائلتين ، بل وبين الخدم الذين كانوا يعملون لدى كل عائلة منهما .

وفي إحدى الليالي ، أقام اللورد عميد عائلة « كابوليت » حفلة صاخبة في قصره ، حضرتها مجموعة كبيرة من النبلاء وعلية القوم ، وأجمل الفتيات والسيدات .. وكان « روميو » يحب فتاة تسمى « روزالين » .. ولكنه كان حبًّا من طرف واحد .. إذ كانت الفتاة لا تهتم كثيرًا بروميو ولم تبادله حبًّا بحب .. وكثيرًا ما حاول صديقٌ مقرب لروميو اسمه « بنفوليو » أن يثنيه عن هذا الغرام ، بدعوى أن هناك فتيات أجمل من « روزالين » بكثير يتمنين شخصًا نبيلاً مثل روميو ويخلصن إليه .. ولكن روميو - بعد أن عرف أن «روزالين» مدعوة في تلك الحفلة - قرر أن يذهب ليراها .. ولكن كيف يتم ذلك والحفلة مقامة في قصر اللورد « كابوليت » العدو الأكبر لعائلة «مونتاجيو»؟!

وبعد تفكير اقترح « بنفوليو » أن يذهبا إلى تلك الحفلة متنكرين .. واصطحبا معهما صديقًا ثالثًا هو « ميركاتيو » .. وذهب الجميع وعلى وجوههم أقنعة تخفي شخصياتهم الحقيقية .. وكان « بنفوليو » يأمل في أن يجد « روميو » فتاة جميلة تنسيه غرامه الفاشل « بروزالين » .

واستقبلهم اللورد « كابوليت » مرحبًا بهم معتقدًا بأنهم سادة نبلاء من منطقة مجاورة .. ودخل الأصدقاء الثلاثة إلى قاعة الحفلة الحافلة بأجمل الفتيات اللاتي كن يشتركن في الرقص مع من يدعوهن إليه من الشباب.

وتمتع « روميو » كثيرًا برؤية كل هذا العدد من الفتيات الجميلات .. ولكن فجأة ازداد خفقان قلبه حتى كاد يحس أنه سيقفز من صدره .. وتلاحقت أنفاسه من شدة ما اعتراه من انبهار وإعجاب ..!

لقد شاهد « روميو » فتاة آية في الجمال .. فانطلق لسانه بلا وعي يمدح هذا الجمال الأخاذ بأجمل وأعذب الكلمات : إن نور جمالها أقوى من ضوء المصابيح في ظلام الليل .. إنها تبدو كالجوهرة الثمينة تتلألأ بالنور .. إن مثل هذا الجمال لم يوجد بعد على الأرض .. إنها تبدو كطائر جميل له ريش ناصع البياض يقف بين غربان وطيور سوداء ..!

وبينما كان « روميو » ينطق هذه الكلمات التي تعبر عما يجول بقلبه من انبهار وانفعال صادق .. سمعه « تايبالت » - ابن خال جولييت - وكان يعرف صوته ، وأدرك على الفور أنه « روميو » ابن عائلة « مونتاجيو » .. عائلة الأعداء .. فكيف يجسر على الحضور إلى هذا الحفل بكل هذه الجسارة.. لابد أن يقتل عقابًا له على تلك الجرأة ..!

وذهب « تايبالت » أولاً ليخبر اللورد « كابوليت » بتلك الفعلة الشنيعة التي ارتكبها « روميو » ابن عائلة مونتاجيو .. وأنه ذاهب لكي يقتله ..

ولكن اللورد منعه من ذلك احترامًا للضيوف الموجودين بالحفل .. وقال اللورد إن « روميو » يتصرف كالسادة المهذبين .

وعندئذ اضطر « تايبالت » أن يلوذ بالصبر ، ولكنه أصر في نفسه على أن « روميو » شيطان ، ولابد أن يعاقب على جسارته بحضور الحفل في بيت الأعداء دون أن يدعوه أحد .

في تلك الأثناء كان « روميو » قد تقدم إلى الحسناء التي بهره جمالها وأخذ يبثها هواه .. ويثني على جمالها الملائكي الساحر الفتان .. وبالرغم من أن «روميو» لم يزل يغطي وجهه بالقناع الذي يخفي شخصيته وشكله، إلا أن « جولييت » انبهرت بتلك الكلمات الرقيقة العذبة التي أحست فيها الصدق .. وبدأ قلبها يدق وينبض في صدرها بلحن الوقوع في الحب!!

وبادلته الحديث الرقيق بحديث أرق .. وتاه الاثنان وهما يحلقان في سماء الحب الصافية .. وأفاقت « جولييت » إلى من يدعوها لمقابلة أمها ، فاستأذنت من « روميو » لتلبي دعوة أمها .. وما هي إلا لحظات قصار حتى أدرك « روميو » أن تلك الفتاة الرائعة الجمال هي « جولييت » ابنة «كابوليت» العدو الأكبر لأسرته .. وأدركت « جولييت » أيضًا أن ذلك الفتى المهذب صاحب الحديث العذب هو ابن « مونتاجيو » العدو الأكبر لأسرتها !!!

يا لتصاريف القدر .. الفتى والفتاة من عائلتين تكره كل منهما الأخرى.. ولكن الحب انتصر على الكراهية .. وربط قلبي الفتى والفتاة برباط لا ينفصم .. وأحس كل منهما نحو الآخر بكل العواطف الصادقة النبيلة .

* * *

انتهت الحفلة وانصرف المدعوون .. وانصرف « روميو » وصديقاه .. ولكن هذين الصديقين تبيَّنا فجأة أن « روميو » قد اختفى من بينهما وانطلق وحده في ظلام الليل ، كأن شيئًا غامضًا يجذبه إلى البيت الذي تسكن فيه الحبيبة التي سكنت قلبه وملأته حبًا وهيامًا .

تناسى « روميو » كل خطر ، ودفعته جرأة الحب إلى أن يقترب من بيت الحبيبة أكثر وأكثر .. وأن يتسلق سور الحديقة .. ويختفي في الظلام وراء الأشجار .. ويشْخَص بعينيه إلى شرفة حجرة « جولييت » .. آملاً أن يراها مرة أخرى ولو في لحظة عابرة ..

وفجأة ، ظهرت « جولييت » وأطلّت من شرفتها .. وأحس « روميو » أنها تشع نورًا كنور الشمس المشرقة .. بل غطى نورها على ضوء القمر وجعله خافتًا هزيلاً لا يكاد يبين .

وقفت « جولييت » في الشرفة وكأنها تحلق بأحلامها في عالم آخر .. كانت تبدو في غاية السعادة التي تغمر ملامح وجهها وكل حركاتها وسكناتها .. تنهدت وتنهدت .. وملأت صدرها بنسيم الليل ، وصاحت صيحة فرحة كأنها صادرة من أعماقها : يا فرحتي .. يا فرحتي !!

وانطلق لسانها بكلمات تبدو كما لو كانت حديثًا موجهًا إلى الكون ، تعلن فيه فرحتها بالعثور على الحبيب الذي ملك قلبها ، وتنطق اسم «روميو» مرات ومرات .

ولكنَّ لحن الفرح الذي كان يتلون في كلماتها كأنغام الموسيقى ، بدأ يتحول إلى لحن حزين مملوء بالأسى .. تساءلت لماذا يكون أول حبيب خفق له قلبها من أسرة «مونتاجيو» بالذات ؟ .. ولماذا تنتسب هي إلى أسرة

« كابوليت » .. والأسرتان تعادي كل منهما الأخرى وتُكنُّ لها كل أسباب الكراهية والبغضاء ..؟

كاد « روميو » يطير من الفرح بعد أن سمع هذا الكلام الجميل .. وأدرك أن الحبيبة التي تربعت على عرش قلبه ، قد فتحت له قلبها وأسكنته فيه .. فنادى عليها بصوت حنون ..!

وفوجئت « جولييت » بهذا النداء ، فاعتراها الخوف لحظة .. ولكنها أدركت أنها سمعت صوت حبيبها «روميو».. سمعته بقلبها قبل أن تسمعه بأذنيها .. وفوجئت أكثر حينما رأت « روميو » يخرج من مخبئه وراء أشجار الحديقة .. وتصورت أنها تعيش في عالم الأحلام والخيال ، ولا تعيش في واقع ملموس ومحسوس ..

ودارت أحاديث الهوى بين العاشق الواقف في الحديقة ، والعاشقة التي تطل عليه من شرفتها .. وفي ضوء القمر تعاهد الحبيبان على أن يكون كل منهما للآخر ، بالرغم من كل صعاب الدنيا .

وقبل أن ينبلج نور الصباح ويحين وقت الفراق ، كان الحبيبان قد اتفقا على أن يتوّجا حبهما الشريف بالزواج ، ووعدته « جولييت » بأنها ستوفد إليه رسولاً لتحديد الموعد الذي يتم فيه الزواج بعد أن ترتب أمورها .

وافترق الحبيبان على أمل اللقاء ..!

* * *

ومع تباشير الصباح اتجه « روميو » نحو الدير لمقابلة الراهب «لورانس» .. وحكى له « روميو » قصة هذا الحب الشريف ، الذي ربط قلبه بقلب «جولييت» ابنة اللورد «كابوليت» .. وطلب من الراهب أن يساعدهما على تتويج هذا الحب بالزواج .

وبارك الراهب هذه العلاقة الشريفة ، وأبدى استعداده للقيام بعقد الزواج بين الحبيبين ، آملاً أن يكون في هذا الزواج نهاية سعيدة لسنوات طويلة من العداء المستحكم بين عائلتي « كابوليت » و« مونتاجيو » .

وأوفت « جولييت » بوعدها .. وأرسلت رسولاً إلى « روميو » ، ومعه رسالة تحدد فيها استعدادها للمجيء إليه لإجراء مراسم الزواج .. وأرسل «روميو» مع نفس الرسول ردًا يطلب فيه من « جولييت » أن تحضر إليه فورًا في صومعة الراهب « لورانس » بالدير ، وأن الراهب قد وافق على أن يكون عقد الزواج بينهما على يديه ..

وعندما وصلت « جولييت » إلى صومعة الراهب قام الراهب على الفور بعقد الزواج بين الحبيبين .. وتوسل إلى السماء أن تمنح هذا الحب الشريف بركاتها ، وأن تجعل من هذا الزواج الذي تم بين ابن عائلة «مونتاجيو» وبنت عائلة «كابوليت» سببًا في أن يحل الحب والوئام محل الكراهية والخصام .. وأن تزول العداوة ويسود السلام ..

وقبل أن تنصرف « جولييت » عائدة إلى بيتها .. وعدها « روميو » بالحضور إلى حديقة البيت عندما يرخي الليل أستار الظلام .. وطلب منها أن تلقاه هناك .

* * *

ولكن الأمور تطورت بسرعة في ذلك الصباح .. ووقعت أحداث جسام غيَّرت كل تدبير .. كان « روميو » يسير مع صديقيه « بنفوليو » و«ميركاتيو» حين تقابلوا مع مجموعة من الشبان من عائلة « كابوليت » ، وكان بينهم الشاب « تايبالت » الذي يُضمر الشر ويريد الانتقام من «روميو» .. ووجه « تايبالت » بعض الإهانات إلى « روميو » وصديقيه ، فانبرى له « ميركاتيو » وتبارز الاثنان مبارزة انتهت بمقتل « ميركاتيو » .

وواصل « تايبالت » إهاناته لـ « روميو » .. ثم اشترك الاثنان في مبارزة أخرى انتهت بمقتل « تايبالت » .. وانتشرت هذه الأخبار في المدينة .. وحضر « كابوليت » وزوجته .. و« مونتاجيو » وزوجته .. كما حضر الأمير حاكم المدينة .

وبعد التحقيق أصدر الأمير حكمه بنفي « روميو » إلى خارج مدينة «فيرونا» .. وأن عليه مغادرة المدينة قبل صباح اليوم التالي ، وإلا فسوف يكون جزاءه الموت !!

حزنت « جولييت » عندما سمعت هذا الخبر حزنًا شديدًا .. ومع ذلك فقد لاح لها بصيص ضئيل من الأمل ؛ لأن زوجها الحبيب قد خرج من المعركة حيًّا .. أما « روميو » فقد انهار وأوشك أن يجن ؛ لأن هذا الحكم سيفرق بينه وبين زوجته حبيبة الفؤاد ..

وذهب « روميو » إلى الدير ليستشير الراهب « لورانس » في هذا الأمر، ونصحه الراهب بأن يرضى بحكم القدر ، وأن يذهب لوداع حبيبته هذا المساء ، وأن يغادر مدينة « فيرونا » إلى مدينة « مانتوا » قبل أن يحل الصباح .. ووعده الراهب بأنه سيبذل كل ما في وسعه لإصلاح ذات البيْن بين العائلتين المتخاصمتين .. وسيجد الوقت المناسب لإعلان الزواج المقدس الذي تم بين ابن عائلة « مونتاجيو » وابنة عائلة « كابوليت » .. وإنه واثق أن إعلان هذا الزواج سينهي كل المشاكل ، وسيجعل الأمير يصدر عفوًا عنه ، وسيعود إلى « فيرونا » ليعيش بين أسرته ومع زوجته الحبيبة ..

* * *

وبالفعل ، عندما حل الليل وانسدلت أستار الظلام ، تسلل « روميو » إلى بيت « جولييت » .. وتسلق سور الحديقة .. ومن الحديقة تسلق على

حبل حتى وصل إلى شرفة « جولييت » ودخل حجرتها .. واستمتع الحبيبان بليلة اختلطت فيها كل عواطف السعادة والفرح ، مع كل أحاسيس اليأس والأسى .. فقد كتب عليهما الفراق .. ومن يدري بما تخبئه الأقدار .!

وقبل أن يشرق نور الصباح .. خرج « روميو وجولييت » إلى الشرفة .. وهبط « روميو » إلى الحديقة باستعمال الحبل المسدول .. وودَّع حبيبته وقلبه يكاد ينفطر من شدة الحزن .. أما جولييت فقد أحست بأن الموت أهون عليها من هذا الفراق !

* * *

ثم توالت المصائب والخطوب الجسام . فقد وافق « كابوليت » والد «جولييت» على تزويجها لشاب ثري من النبلاء يسمى « باريس » .. وأصر على أن يتم هذا الزواج يوم الخميس القادم .. وقع هذا الخبر على «جولييت» كالصاعقة .. كيف تتزوج وهي متزوجة بالفعل ؟! .. وكيف الخروج من هذا المأزق وتلك المصيبة الكبرى ..؟!

ولجأت « جولييت » إلى الراهب « لورانس » لعله يجد لها مخرجًا .. وبعد تفكير طويل اتفق معها الراهب على أن تتناول دواء معينًا سيعطيه لها .. على أن تشرب هذا الدواء يوم الأربعاء ليلاً .. وهذا الدواء سيجعلها تغيب عن الوعي وتبدو كما لو كانت ميتة.. سيعتقد الجميع بأنها ماتت .. وسيدفنونها في مقبرة الأسرة .. وسوف يرسل الراهب رسولاً سريعًا إلى « روميو » ليحضر سرًّا إلى « فيرونا » ، ليأخذها من المقبرة بعد أن تفيق من غيبوبتها المؤقتة .

ثم يهربا ليعيشا معًا في منفاه بمدينة « مانتوا » .. كانت هذه الخطة هي الوسيلة الوحيدة للخروج من هذا المأزق .. وسارت الأمور طبقًا لما تم

الاتفاق عليه بين « جولييت » والراهب .. ولكن هذه الأمور كانت تسير عند « روميو » على نحو آخر مخالف تمامًا .

لم يصل إليه الرسول الذي أوفده الراهب ليخبره بتفاصيل الخطة .. بل وصلت إليه الأخبار التي شاعت في مدينة «فيرونا» كلها: إن «جولييت» قد ماتت .. وشُيعت جنازتها .. ودفنت بمقبرة أسرتها ..!

وعندما استمع « روميو » إلى تلك الأخبار ، جن جنونه .. واشترى سُمًّا قويًّا يقضي فورًا على أقوى الرجال .. وقرر الانتحار بأن يموت بجانب حبيبته بعد أن يلقي عليها النظرة الأخيرة .. وإذا كانت الحياة لم تستطع أن تجمعهما ، فليجمعهما الموت إلى الأبد ..

وامتطي « روميو » حصانه ، وانطلق بأقصى سرعة عائدًا إلى « فيرونا ».. إلى القبر الذي دفنت فيه « جولييت » ليموت بجانبها ..

وصل « روميو » إلى المقبرة في منتصف الليل .. وكان قد أحضر معه فانوسًا وأدوات لكسر باب المقبرة .. وما إن شرع في الدخول حتى فوجئ بصوت من الخارج يناديه باسمه .. وفوجئ « روميو » بأن المنادي عليه هو « باريس » الذي كان سيتم زواجه « بجولييت » في اليوم نفسه .. وكان قد جاء لينثر الزهور فوق قبرها ، وليصلي لروحها لكي ترتاح وتهدأ في عالم الأموات ..

ونشب عراك بين الشابين انتهى بمقتل « باريس » .. فنقل « روميو » جثته إلى داخل المقبرة التي ترقد فيها « جولييت » .

وعلي ضوء الفانوس .. شاهد « روميو » زوجته وحبيبة قلبه «جولييت» راقدة في سباتها العميق .. وكان وجهها يشع جمالاً ونضارة .. وبكى

«روميو» كثيرًا وانتحب .. ثم قبَّل زوجته القُبلة الأخيرة .. ورفع زجاجة السم القاتل وشربها عن آخرها.. وخرَّ صريعًا جوار مرقد «جولييت »..!!

* * *

كان الراهب « لورانس » قد أدرك أن رسائله التي بعث بها إلى «روميو» لم تصل إليه .. ورأى أن يذهب بنفسه بها إلى المقبرة التي دفنت فيها «جولييت» .. لأن مفعول الدواء الذي أعطاه لها قد أوشك على الانتهاء ، وسوف تفيق من غيبوبتها بعد لحظات .. ولابد من إخراجها من المقبرة .

وعندما وصل الراهب .. فوجئ بوجود جثتي « روميو » و« باريس».. وكانت « جولييت » قد أوشكت على الإفاقة والعودة إلى وعيها .. وعندما أفاقت فعلاً ، وجدت الراهب أمامها فسألته عن « روميو » .. وأخبرها الراهب بكل شيء .. وأن الخطة باءت بالفشل .. وأن عليها أن تخرج من هذه المقبرة فورًا ، لأنه يسمع ضجة ناس قادمين نحو المقبرة .. وعندما اقتربت تلك الأصوات هرب الراهب وترك « جولييت » وحدها ..

وشاهدت « جولييت » زجاجة السم القاتل في يد حبيبها «روميو» .. وقررت أن تموت هي الأخرى راقدة إلى جواره .. ورفعت الزجاجة إلى شفتيها لعلها تجد فيها قطرات باقية .. وأخذت تقبله في فمه لعلها تمتص بقايا سم عالقة ..

في تلك اللحظات كانت أصوات القادمين قد اقتربت أكثر وأكثر .. وأصبحت قريبة جدًّا من مدخل المقبرة .. وعندئذ أخذت « جولييت » الخنجر الذي كان معلقًا بحزام « روميو » وأغمدته في صدرها .. وخرت صريعة جوار حبيبها ..!

* * *



كان الخبر قد انتشر .. وجاء كثيرون ليشهدوا تلك المأساة الموجعة .. جاء الأمير حاكم « فيرونا » .. وجاءت عائلة « كابوليت » وعائلة «مونتاجيو» .. وعاد الراهب « لورانس » ليشرح للجميع جوانب المأساة وأسرارها .. وأعلن على الجميع أن « روميو وجولييت » زوجان أمام الله .. وكان يربطهما رباط مقدس .. وأنه كان يأمل أن يكون زواج هذين الحبيبين سببًا في إنهاء العداوة بين العائلتين المتخاصمتين .

وأمام الحزن العميق الذي حلَّ بهاتين العائلتين .. واحترامًا وتقديرًا للحب الذي ربط بين « روميو وجولييت » فقد تعاهد كل من « كابوليت» و« ومونتاجيو » على الصلح والسلام ، وإزالة الكراهية والبغضاء من القلوب والنفوس ..

وقررت عائلة « جولييت » أن تقيم تمثالاً « لروميو » .. كما قررت عائلة « روميو » أن تقيم تمثالاً « لجولييت » .. وكان التمثالان من الذهب الخالص ..!!

* * *

وليم شيكسبير

تاجر البندقية

THE MERCHANT OF VENICE
BY: WILLIAM SHAKESPEARE

في مدينة « فينيسيا » البندقية بإيطاليا ، كان اليهودي الجشع « شيلوك » قد جمع ثروة طائلة من المال الحرام .. فقد كان يُقرض الناس بالربا الفاحش .. وكانت مدينة « البندقية » في ذلك الوقت من أشهر المدن التجارية ، ويعيش فيها تجّار كثيرون من المسيحيين .. من بينهم تاجر شاب اسمه «أنطونيو» .

كان « أنطونيو » ذا قلب طيب كريم .. وكان لا يبخل على كل من يلجأ إليه للاقتراض دون أن يحصل من المقترض على أي ربا أو فائدة . لذلك فقد كان اليهودي « شيلوك » يكرهه ويضمر له الشر بالرغم مما كان يبديه له من نفاق واحترام مفتعل .

وفي أي مكان كان يلتقي فيه « أنطونيو » و« شيلوك » كان « أنطونيو » يعنّفه ويوبّخه ، بل ويبصق عليه ويتهمه بقسوة القلب والاستغلال . وكان اليهودي يتحمل هذه المهانة ، وفي الوقت نفسه كان يتحين أية فرصة تسنح له للانتقام من « أنطونيو » .

وكان جميع أهالي « البندقية » يحبون « أنطونيو » ويحترمونه لما عرف عنه من كرم وشجاعة ، كما كان له أصدقاء كثيرون يعزهم ويعزونه .. ولكن أقرب الأصدقاء وأعزهم على قلب « أنطونيو » كان صديقًا شابًّا اسمه «بسانيو» .. وهو نبيل من طبقة نبلاء البندقية ، إلا أنه كان صاحب ثروة بسيطة ، أضاعها وبدّدها بالإسراف الشديد على مظاهر حياته .. وكلما كان يحتاج إلى المزيد من النقود ليصرفها ، كان يلجأ إلى صديقه

« أنطونيو » الذي كان لا يبخل عليه أبدًا ويعامله بكل كرم يليق به كصديق من أعز أصدقائه.

وفي أحد الأيام قال « بسانيو » لصديقه « أنطونيو » إنه مقبل على الزواج من فتاة ثرية ورثت عن أبيها ممتلكات وثروة كبيرة .. وإنه يحتاج إلى ثلاثة آلاف من الجنيهات حتى يبدو مظهره أمامها كعريس يليق بها .

ولكن « أنطونيو » لم يكن يمتلك هذا المبلغ في ذلك الوقت .. كان ينتظر سفنه القادمة المحملة بالبضائع التي يمكن أن يبيعها عند وصولها .. ولكي يلبي « أنطونيو » طلب صديقه العزيز ، قرر أن يقترض هذا المبلغ من اليهودي « شيلوك » .. على أن يرد له هذا الدين وفوائده فور وصول سفنه المحملة بالبضائع .

وذهب الصديقان إلى « شيلوك » وطلب « أنطونيو » منه أن يقرضه مبلغ ثلاثة آلاف من الجنيهات بأي نسبة فائدة يطلبها ، مع وعد بأن يرد إليه القرض وفوائده عند وصول السفن في موعد قريب ..

هنا.. سنحت الفرصة التي يتحينها اليهودي «شيلوك» للتاجر «أنطونيو» .. ودارت في ذهن اليهودي أفكار الشر والأذى والانتقام .. وظل يفكر طويلاً فيما عساه يصنعه بهذا التاجر الذي يعطي للناس نقودًا بلا فائدة : هذا التاجر الذي يكرهني ويكره شعبنا اليهودي كله .. إنه يسبني ويلعنني ويسميني بالكافر .. وبالكلب الأذعر .. ويبصق على عباءتي كلما رآني .. وها هي الفرصة قد سنحت أمامي لكي أنتقم .. وإذا لم أغتنم هذه الفرصة فلن يغفر لي ذلك أهلي وعشيرتي من اليهود الآخرين..

قال « شيلوك » وهو يُخفي الحقد والكراهية في قلبه : يا سنيور «أنطونيو» .. كثيرًا ما شتمتني ولعنتني وركلتني بقدمك ، كما لو أني كلب من الكلاب

.. وهأنتذا جئتني ، وتطلب مني أن أساعدك بثلاثة آلاف من الجنيهات .. فهل تظن يا سيدي أن كلبًا يمكنه أن يقدم لك مثل هذا القرض ..؟!

فقال « أنطونيو » بشجاعة : حتى لو أقرضتني هذه النقود ، فسوف أظل أدعوك كلبًا وأركلك بقدمي وأبصق عليك وعلى عباءتك .. أقرضني هذه النقود وافرض وزد عليها ما شئت من فوائد تطمع فيها .. وسوف يكون لك الحق في أن تفرض عليَّ ما شئت من عقاب إذا لم أردها إليك في الوقت المتفق عليه .

وعندئذٍ قال « شيلوك » بكل خبث ودهاء إنه على استعداد أن يقدم لأنطونيو هذا القرض دون فوائد على الإطلاق .. ولكن بشرط واحد : هو أن يذهبا معًا إلى المحامي ، وأن يوقع « أنطونيو » على عقد يبدو كما لو كان مزاحًا ، يتيح لليهودي « شيلوك » أن يقطع رطلاً من لحم « أنطونيو » ومن أي جزء يختاره « شيلوك » من جسم « أنطونيو » ، وذلك إذا لم يرد إليه الآلاف الثلاثة من الجنيهات في موعد محدد !

وحاول « بسانيو » أن يثني صديقه « أنطونيو » عن توقيع هذا العقد اليهودي الماكر .. ولكن « أنطونيو » صمم على التوقيع دون خوف .. لأن سفنه وبضائعه ستصل قبل أن يحل موعد السداد بمدة كافية .. ولن تكون هناك فرصة أمام « شيلوك » لتنفيذ هذا المزاح ..

وهكذا وقَّع « أنطونيو » على العقد ..!

* * *

أما الفتاة الثرية التي يحبها « بسانيو » ويتمنى الزواج منها فقد كان اسمها «بورشيا» .. وكانت تتمتع إلى جانب أخلاقها الرفيعة ورجاحة عقلها بثروة طائلة ورثتها عن أبيها .. وكانت لها وصيفة اسمها « نيرسا ».. وكانت « بورشيا » تعيش في منطقة « بلمونت » القريبة من البندقية .

وبعد أن حصل « بسانيو » على النقود ، التي اقترضها صديقه «أنطونيو» من اليهودي « شيلوك » ، أخذ طريقه إلى « بلمونت » ليعرض الزواج على حبيبته « بورشيا » .. وكان قد اصطحب معه تابعه المهذب « جراتيانو » ومجموعة من الخدم الذين يرتدون ملابس حسنة المنظر ليكونوا في خدمته مؤتمرين بأمره ..

ووافقت « بورشيا » على الزواج من « بسانيو » بسعادة غامرة .. واعترف لها « بسانيو » بأن ممتلكاته قليلة .. وأن الشيء الوحيد الذي يفخر به هو انتماؤه إلى أسرة عريقة من النبلاء .. فقالت له « بورشيا » إنها تهبه نفسها وكل أملاكها .. وأنه من الآن فصاعدًا هو رب البيت ومن حقه أن يتصرف في كل شيء .. وخلعت الخاتم من أصبعها وأهدته إليه ، وطلبت منه ألاّ يفرط في هذا الخاتم أبدًا ..

وكان التابع « جراتيانو » والوصيفة « نيرسا » يحبان بعضهما ويرغبان في تتويج هذا الحب بالزواج .. لذلك فما أن علما بأن سيديهما سيتزوجان ، حتى أعلن « جراتيانو » أنه يرغب في الزواج من « نيرسا » .

ووافق السيدان على ذلك بكل سرور ..

* * *

ولكن لحظة الهناء هذه لم تستمر طويلاً .. فقد وصل إلى « بسانيو » خطاب يتضمن أنباء مزعجة ومفزعة ، فشحب وجهه وسألته « بورشيا » عن سر اضطرابه ، فقال لها بكل صدق إنه مدين لصديقه العزيز «أنطونيو» بمبلغ ثلاثة آلاف من الجنيهات .. وقد اقترض صديقه هذا المبلغ من اليهودي « شيلوك » بناء على عقد يعطي لليهودي الحق في قطع رطل من لحم « أنطونيو » إذا لم يسدد إليه هذا القرض في موعد محدد ..

وأراها الخطاب الذي وصله من صديقه الوفي « أنطونيو » والذي يحمل أنباءً سيئة .. وكان الخطاب يقول : « عزيزي بسانيو » .. فقدت كل سفني .. ولم أعد أستطيع سداد القرض « لشيلوك » .. بعد أن حلَّ موعد الدفع .. ومعني ذلك أن اليهودي سيقطع رطلاً من لحمي من أي جزء من جسمي .. وسوف تنتهي حياتي وكل ما أتمناه أن أراك قبل موتي ..

تأثرت « بورشيا » كثيرًا بالمصير المؤلم لهذا الصديق المخلص النبيل .. وقالت إن على « بسانيو » أن يرحل فورًا إلى مدينة « البندقية » ومعه أضعاف هذا المبلغ ليحاول تصحيح هذا الخطأ ، وينقذ صديقه من براثن اليهودي « شيلوك » .. ووعدته بأنها سوف تبذل كل جهدها بالوقوف إلى جانبه في هذه المشكلة .

ولكن لكي يصبح « لبسانيو » الحق في التصرف في أموال « بورشيا » فقد كان لابد أن يتم زواجهما فورًا.. فتزوجا.. وتزوج أيضًا «جراتيانو» و«نيرسا» ..

وفور إتمام كل هذه الإجراءات ، سافر « بسانيو » وتابعه « جراتيانو » إلى البندقية فوجدا « أنطونيو » محبوسًا في السجن ..

وحاول « بسانيو » أن يتفاهم مع اليهودي « شيلوك » الذي رفض قبول الثلاثة آلاف من الجنيهات التي قدمها إليه « بسانيو » .. وأصر « شيلوك » على أن يقوم بقطع رطل من لحم « أنطونيو » طبقًا لما تم الاتفاق عليه في العقد ، وبعد أن فات ميعاد السداد ..

وتحدد موعد لمحاكمة « أنطونيو » أمام دوق « البندقية » ووقع «بسانيو» في قلق بالغ وحيرة شديد .

* * *

بعد رحيل « بسانيو » خافت « بورشيا » أن يفشل « بسانيو » في إنقاذ هذا الصديق الوفي النبيل الذي ضحى بحياته من أجل زوجها .. وقررت بينها وبين نفسها أن تذهب إلى « البندقية » لتدافع عن هذا الصديق النبيل أمام المحكمة .. ولكن كيف ؟!

كان أحد أقارب « بورشيا » محاميًا كبيرًا اسمه « بلاريو » فقامت بالكتابة إليه بكل تفاصيل المشكلة .. وطلبت منه أن يعطيها النصيحة في كيفية الدفاع .. كما طلبت منه أيضًا أن يعيرها روب المحاماة حتى يمكنها الوقوف به أمام المحكمة ، وسرعان ما وصلها رد المحامي « بلاريو » متضمنًا كل النصائح والتفاصيل خطوة خطوة .

وهكذا تزيَّت « بورشيا » ووصيفتها « نيرسا » بزي الرجال ، وارتدت «بورشيا» روب المحاماة ، وقامت « نيرسا » بدور كاتب المحامي .. وشدتا الرحال إلى البندقية ..

ودخلت الفتاتان إلى قاعة المحكمة التي كانت منعقدة برئاسة دوق البندقية ومجموعة من المستشارين . وسلَّمت « بورشيا » إلى المحكمة خطابًا بتوقيع المحامي الكبير « بلاريو » ، يقول فيه إنه كان ينوي الحضور إلى البندقية للدفاع بنفسه عن « أنطونيو » ، ولكنه يعتذر عن الحضور بسبب مرضه . . ويفوّض الشاب المثقف الدكتور « بالتازار » وهو الاسم الذي سميت به « بورشيا » ليقوم بالدفاع نيابة عنه .

وقبل الدوق هذا الخطاب ، ووافق على أن يقوم الدكتور « بالتازار » بالدفاع عن « أنطونيو » ، بالرغم من صغر سنّه ، وبالرغم من ملامحه الغضة الرقيقة التي تشع بالنضارة ..!



ودارت « بورشيا » بعينيها في قاعة المحكمة .. وشاهدت خصمها اليهودي الجشع « شيلوك » الذي خلا قلبه من الرحمة .. كما شاهدت زوجها « بسانيو » الذي لم يستطع التعرف عليها وهي مرتدية ملابس الرجال وروب المحاماة .. وكان واقفًا إلى جوار صديقه الحميم «أنطونيو»، وقلبه مفعم بالحزن والأسى ..

* * *

وقالت « بورشيا » أو « الدكتور بالتازار المحامي » دفاعًا عن «أنطونيو» إنه طبقًا لقوانين « البندقية » فلابد من تنفيذ الاتفاق الذي تم في هذا العقد .. وطلبت العقد من « شيلوك » لتقرأه .. ثم قالت إن هذا العقد يعطي الحق لليهودي « شيلوك » أن يقطع رطلاً من لحم « أنطونيو » .. ولكن الرحمة ضرورية وواجبة .. إن تحقيق العدالة لابد أن يتم بالرحمة . وظلت تستعطف اليهودي لكي يكون رحيمًا بخصمه ما دام المدين قادرًا على رد الدين ودفع الثلاثة آلاف من الجنيهات .

وعندئذٍ قال « بسيانو » إنه مستعد أن يرد لليهودي هذا المبلغ أضعافًا مضاعفة .. ولكن « شيلوك » لم يستجب لأي عرض ، وأصر على تنفيذ ما تم الاتفاق عليه في العقد ، وأن يقطع رطلاً من لحم « أنطونيو » .

وهنا تظاهرت « بورشيا » بقبولها لحكم القانون .. والتفتت إلى «أنطونيو» ، وطلبت منه أن يكشف صدره ويستعد لهذه العملية القاسية التي سيقوم بها اليهودي ..

وأخذ اليهودي يسن سكينته الحادة ..

* * *

تساءلت « بورشيا » عن وجود الميزان الذي سيستخدم في وزن رطل اللحم .. وقالت لليهودي : قبل أن تقوم بقطع الرطل من لحم « أنطونيو» يجب أن تحضر طبيبًا حتى لا ينزف دمه إلى أن يموت ..

فقال « شيلوك » : إن ذلك غير منصوص عليه في العقد .

فقالت « بورشيا » : نعم إن العقد يعطيك الحق في رطل من لحم «أنطونيو» ، ولكنه لا يعطيك الحق في أن تجعله ينزف دمًا .. إن إراقة الدماء جريمة يعاقب عليها القانون .. فعليك أن تقطع رطل اللحم دون أن تريق ولو قطرة واحدة من دم هذا المسيحي .. وإلا فإن قوانين « البندقية » ستطبق عليك فورًا .. فتصادر جميع ممتلكاتك وجميع بضائعك وأموالك وتصبح حقًّا لحكومة البندقية !

وهنا هلَّل جميع الحاضرين في المحكمة فرحين .. لقد أصبح من المحال على اليهودي « شيلوك » أن ينفذ خطته الوحشية الدنيئة .. لذلك فقد اضطر إلى الاستسلام فورًا ، وأن يقول في يأس : إذن أعطوني نقودي وسأنصرف إلى حال سبيلي !

عندئذٍ صاح « بسانيو » متسرعًا : ها هي نقودك فخذها .. ولكن «بورشيا» قاطعته قائلة : انتظر .. إن العقد لا ينص إلا على حق اليهودي في أن يقطع رطلاً من لحم مدينه ، إذا فات ميعاد السداد ولم يقم المدين برد الدين .. فإذا استطاع اليهودي أن يقطع رطل اللحم دون أن يريق دم المدين فعليه أن يقوم بذلك الآن .. ثم إن هذا اليهودي قد ارتكب جريمة يعاقب عليها قانون « البندقية » .. هذه الجريمة هي التآمر على حياة أحد مواطني المدينة .. ولأنك يا « شيلوك » قد تآمرت على حياة « أنطونيو » فإن جميع أموالك ستصادر لصالح حكومة « البندقية » .. أما حياتك أو إعدامك ..

فذلك أمر متروك لرحمة الدوق رئيس المحكمة ليحكم ضدك بما يشاء طبقًا للقانون .. فهيّا اركع على ركبتك والتمس العفو عنك أو الرحمة بك !!

وقال الدوق رئيس المحكمة : لقد عفونا عنك دون أن تتوسل إلينا .. أما ثروتك وممتلكاتك ، فقد حكمنا بمصادرتها على أن يؤول نصفها إلى «أنطونيو» الذي كنت ستتسبب في موته .. ويؤول النصف الآخر إلى حكومة البندقية .

ولأن « أنطونيو » كان طيبًا وكريمًا فقد أبدى استعداده للتنازل عن نصيبه إلى « شيلوك » بشرط أن يوقع على وصية تنص على أن تؤول ثروته بعد موته إلى ابنته وزوجها .

فقد كان « أنطونيو » يعلم أن لهذا اليهودي ابنة وحيدة ، أحبَّت وتزوجت شابًّا مسيحيًّا اسمه « لورنزو » وهو صديق عزيز من أصدقائه .. فغضب اليهودي على ابنته ، وقرر أن يحرمها من ميراثه وَتَرِكَته بعد موته ..

واستسلم اليهودي ولم يجد مفرًّا .. واضطر أن يقبل كل ذلك .. وبعدئذٍ حكم الدوق بإطلاق سراح « أنطونيو » وانتهت المحاكمة .

وعندئذٍ تقدم « بسانيو » إلى الدكتور « بالتازار » المحامي ليشكره على دفاعه الذكي الذي أنقذ حياة صديقه « أنطونيو » .. ولم يكن « بسانيو » يعلم أن هذا المحامي ما هو إلا زوجته « بورشيا » .. وقال « بسانيو » بكل شكر وامتنان : إن تقديرنا لك لا يقدر بثمن وأرجوك أن تقبل الآلاف الثلاثة من الجنيهات التي كنا سندفعها إلى اليهودي كأتعاب لك ..

* * *

رفضت « بورشيا » أن تأخذ النقود .. ولكن « بسانيو » أصر على المحامي أن يقبل أي هدية يحددها .. وعندئذ قالت « بورشيا » : إذن أعطني قفازك هذا !

وعلي الفور خلع بسانيو قفازه وأعطاه للمحامي ، وعندما شاهدت «بورشيا» الخاتم الذي أهدته إليه ووعدها بألا يفرط فيه أبدًا .. قالت له : أرجوك .. أعطني هذا الخاتم وسوف أقبله كهدية بدلاً من الأتعاب ..!

شحب وجه « بسانيو » وشعر بحرج شديد وقال معتذرًا : بأن هذا الخاتم بالذات هدية من زوجته العزيزة ولا يستطيع أن يفرط أو يتصرف فيه .. وأنه على استعداد لشراء أغلى وأثمن خاتم في « البندقية » وتقديمه هدية للمحامي .. ولكن « بورشيا » أصرت على أخذ الخاتم الذي يلبسه «بسانيو» في إصبعه .

وانصرفت وهي تتظاهر بالغضب .. وانصرفت وراءها وصيفتها «نيرسا» التي كانت متنكرة في زي كاتب المحامي .. وعندئذ اقترح «أنطونيو» على صديقه «بسانيو» أن يعطي الخاتم للمحامي وأن يعتذر لزوجته عن هذا التصرف .. وازداد حرج « بسانيو » وخاف أن يُتَّهم بأنه ناكر للجميل ، فخلع الخاتم وأعطاه لتابعه « جراتيانو » ليلحق بالمحامي ويعطيه إياه .

وعندما أخذت «بورشيا» الخاتم، طلبت من «جراتيانو» أن يبلغ شكرها لسيده .. وهنا طلبت « نيرسا » من زوجها « جراتيانو » ، الذي لم يعرفها وهي متنكرة في زي الرجال ، أن يعطيها الخاتم الذي يلبسه في إصبعه ، وكانت «نيرسا» قد أهدت لزوجها هذا الخاتم وأقسم لها ألا يفرط فيه ، ولم يجد « جراتيانو » مناصًا سوى أن يخلع الخاتم ويقدمه إلى الكاتب .. وانصرفت « بورشيا » ووصيفتها عائدتين إلى بيتهما .

* * *

جلست الزوجتان «بورشيا» و«نيرسا» تنتظران عودة زوجيهما «بسانيو» و« جراتيانو » .. ووصل الزوجان ومعهما «أنطونيو» ليتعرف على زوجة صديقه الكريمة ، وما هي إلا لحظات حتى نشب شجار بين «جراتيانو»

و«نيرسا» التي اكتشفت أن زوجها قد فرَّط في الخاتم الذي أهدته له ، واتهمته بأنه أعطاه لامرأة أخرى .. وعندما حاولت «بورشيا» التدخل لفض النزاع بين الزوجين ، اكتشفت هي الأخرى أن زوجها « بسانيو » قد فرَّط في الخاتم الذي أهدته له ، واتهمته بأنه قد أعطاه لامرأة أخرى ..

وعبثًا حاول الزوجان أن يقنعا زوجتيهما بأنهما قد أعطيا الخاتمين للمحامي وكاتب المحامي ، وذلك بعد أن رفض المحامي أن يأخذ أتعابًا سوى الخاتم الذي كان يلبسه « بسانيو » .

وتظاهرت الزوجتان بالحزن والغضب .. بينما ساد حزن حقيقي في قلب كل من الرجال الثلاثة .. وكان « أنطونيو » أشدهم حزنًا .. لذلك فقد قال « لبورشيا » بتأثر : سيدتي .. أرجو أن تغفري لي لأني تسببت في هذا الشجار .. وفي أن زوجك الكريم قد أعطى الخاتم للمحامي الذكي العظيم الذي أنقذ حياتي .. وإني على يقين يا سيدتي بأن زوجك سيحافظ على ثقتك فيه طوال حياته .

وعندئذٍ قالت « بورشيا » ولأجل خاطرك يا سيدي .. فسوف أعيد إليه هـذا الخاتم .. وهو نفس الخاتم الذي أهديته له من قبل .. وفوجئ الرجال بأن المحامي الدكتور « بالتازار » لم يكن سوى « بورشيا » نفسها .. وأن كاتب المحامي لم يكن سوى « نيرسا » .. وفرح الرجال كثيرًا بهذه المفاجأة .. وفرحوا أكثر وأكثر عندما أعطت « بورشيا » « لأنطونيو » خطابًا يحمل أنباء طيبة بأن سفنه قد وصلت سالمة ولم تلحق بها أية خسارة .

وهكذا انتهت حكاية تاجر البندقية بهذا الحظ السعيد .. وهذا الضحك الصادر من القلب على حكاية الخاتمين .. وحكاية الزوجين اللذين لم يتعرفا على زوجتيهما عندما تنكرتا في زي الرجال ..!!

* * *

وليم شيكسبير

كما تحب

AS YOU LIKE IT
BY: WILLIAM SHAKESPEARE

في إحدى مقاطعات فرنسا منذ زمن بعيد .. قام الدوق « فردريك » بالاستيلاء على حكم الدوقية بعد أن طرد أخاه الدوق الشرعي ..

واضطر الدوق المخلوع إلى أن يفر هاربًا إلى غابة تسمى غابة «آردن».. وفرت معه مجموعة من رجاله وأصحابه المخلصين الذين تركوا أموالهم وثرواتهم نهبًا للدوق غير الشرعي الذي استولى عليها .

وفي تلك الغابة عاش الدوق المخلوع ورفاقه حياة بسيطة حرة .. ولكنها كانت أسعد بكثير من الحياة المنعمة التي كانوا يحيونها في المدينة .. وفي كل يوم كان يحضر إلى مخبأ الدوق ورفاقه في غابة « آردن » مجموعة من النبلاء الشبان المخلصين ، ليشاركوا الدوق المخلوع حياته المنطلقة البسيطة السعيدة .

خلال الصيف كان الجميع يتمتعون بظلال الغابة الوارفة .. ومشاهدة الغزلان اللطيفة والوديعة وهي تمرح في سرور في أنحاء الغابة .. ومن شدة حبهم لتلك الغزلان ، امتنعوا عن اصطيادها أو أكل لحومها .

أما خلال الشتاء ، فقد كانت الرياح الباردة تهب في قسوة ، وتصبح حياة الدوق المخلوع ورفاقه في غاية الصعوبة .. ومع ذلك فقد كان الدوق المخلوع يقول دائمًا : إن هذه الرياح الباردة تعض أجسامنا بأسنانها.. ولكن أسنانها أهون وأحن بكثير من أسنان البشر الذين يغتصبون الحقوق وينكرون الجميل !

وهكذا عاش الدوق المخلوع حياته في تلك الغابة .. يعتبر كل الكائنات الحية من حوله أصدقاء محبين مخلصين ، حتى بالنسبة للأشجار وجداول المياه ، كان يحس نحوها بالصداقة والأمان والاطمئنان .

* * *

كان للدوق فردريك - غير الشرعي - ابنة لطيفة تسمى « سيليا » .. وكان للدوق المخلوع ابنة لطيفة أخرى في مثل سن بنت عمها وتسمى «روزالند» .. وقد حرص الدوق غير الشرعي على استبقاء ابنة أخيه «روزالند» ولم يسلمها لأبيها المخلوع ، وذلك لكي تكون رفيقة لابنته وتؤنس وحدتها .

ونشأت صداقة عميقة ومحبة وطيدة بين الشابتين الصغيرتين .. وكانت «سيليا» تحرص دائمًا على إسعاد صديقتها وابنة عمها «روزالند» وتخفف أحزانها عندما تتذكر الظلم الذي وقع لأبيها على يد عمها .

وفي يوم ما وصلت إلى الصديقتين دعوة لمشاهدة مباراة في المصارعة ستقام بساحة القصر .. وفي تلك الأيام البعيدة ، كانت مباريات المصارعة تقام في ساحات قصور الحكام والنبلاء ، وكان يسمح للسيدات وفتيات القصور بمشاهدة تلك المباريات .

وقيل للصديقتين «سيليا» و«روزالند» إن هذه المباراة ستكون عنيفة جدًّا .. حيث سيتبارى مصارع قوي متمرس هزم الكثيرين وقضى عليهم ، مع شاب صغير كان من المؤكد أن المصارع الأول سيقضي عليه بسهولة.

وعندما وصلت الصديقتان إلى ساحة القصر قال لهما الدوق «فردريك» إنهما لن تستمتعا كثيرًا بهذه المباراة غير المتكافئة ؛ لأن من الواضح أن الشاب الصغير مقضي عليه لا محالة .. لذلك فقد طلب من ابنته وابنة أخيه أن تحاولا إثناء الشاب عن هذه المباراة إشفاقًا عليه .



وفرحت البنتان بذلك .. وقالت « سيليا » للشاب الصغير إن من الأفضل له أن ينسحب من تلك المباراة غير المتكافئة .. أما « روزالند » فقد شجَّعت الشاب على الدخول في المباراة مع خصمه مهما كان قويًّا .. وأن عليه أن يبذل كل جهده بشجاعة حتى ينتصر على هذا الخصم .

وامتن الشاب الصغير كثيرًا بهذا التشجيع ، ووعدها بأنه سيستمد شجاعته من كلماتها .

* * *

كانت المباراة عنيفة جدًّا .. وكانت الفتاتان تشاهدانها باهتمام زائد وخوف شديد على مصير الشاب الصغير.. كانت «سيليا» تتمنى ألا يصاب هذا الشاب بأذى .. بينما كانت « روزالند » تتمنى له التوفيق والانتصار على خصمه .. وأحس الشاب باهتمام الفتاتين بأمره ، فأخذ يبذل كل ما في وسعه من شجاعة وقوة .. إلى أن انتصر على خصمه في النهاية .

وأعجب الدوق « فردريك » بشجاعة هذا الشاب وإقدامه وبراعته في فنون وحركات المصارعة ، وإصراره على تحقيق النصر لنفسه والهزيمة لغريمه وخصمه .. وطلب الدوق من الشاب المنتصر أن يخبره باسمه واسم عائلته حتى يمكن أن يكافئه .

قال الشاب إن اسمه هو « أورلاندو » .. وإنه أصغر أبناء « السير رولاند دي بويز » الذي كان من النبلاء المقربين للدوق المخلوع . والذي مات منذ سنوات قليلة .

وما إن سمع الدوق « فردريك » هذا الاسم ، حتى تحول إعجابه بهذا الشاب الصغير الشجاع إلى بغض وكراهية ، وقال بغضب وهو يغادر المكان ، إنه كان يتمنى أن يكون « أورلاندو » هذا ابنًا لأي رجل دون «السير رولاند دي بويز» .

وعندما سمعت «روزالند» أن هذا الشاب الصغير الشجاع «أورلاندو» هو ابن صديق حميم لوالدها الدوق المخلوع ، خفق قلبها في صدرها ، وشعرت بإحساس صادق أنها قد وقعت في هواه وحبه .

وذهبت الفتاتان إلى الشاب لتعتذرا له عما بدر من كلمات غاضبة قالها الدوق .. وأخذتا تتحدثان إليه بكلمات رقيقة طيبة .. وقبل أن تنصرفا ، خلعت « روزالند » سلسلة ذهبية من رقبتها ، وأهدتها له باعتباره ابنًا لصديق كان عزيزًا لدى والدها .. وألمحت إليه بأنها تتمنى أن تعطيه هدية أخرى أكثر قيمة .

* * *

لاحظت « سيليا » أن ابنة عمها « روزالند» قد وقعت في حب «أورلاندو» بكل هذه السرعة .. فاندهشت « سيليا » وسألتها عن السبب في ظهور هذا الحب فجأة .. وأجابتها « روزالند » بأنها شعرت بأن جميع عواطفها تتجه نحو « أورلاندو » .. ربما لأن أباه كان صديقًا حميمًا لوالدها الدوق المخلوع .

وكان « فردريك » قد غضب كثيرًا عندما اتضح له أن « أورلاندو» هو ابن السير «رولاند دي بويز» .. وجالت في نفسه ذكريات عن أخيه الدوق المخلوع ، وعن مجموعة الرفاق والأصدقاء الذين آزروا الدوق المخلوع ووقفوا معه ضد اغتصاب حكم الدوقية بطريقة غير مشروعة..

واشتد غضب الدوق « فردريك » وأمر بطرد « روزالند » من القصر لتلحق بأبيها .. وحاولت « سيليا » أن تقنع أباها بالعدول عن هذا القرار بطرد صديقتها الوحيدة ، ولكنه أصر على موقفه ورفض طلب ابنته ولم يخضع لتوسلاتها .

* * *

لذلك فقد قررت «سيليا» أن تهرب من القصر ، لتكون في رفقة صديقتها وابنة عمها «روزالند» .. وفي جنح الليل هربت الفتاتان معًا .. وتوجهتا إلى الطريق الصعب الطويل الذي يؤدي إلى غابة « آردن » التي يعيش فيها الدوق المخلوع والد « روزالند » ..

كانت رحلة طويلة مضنية .. وتنبهت «سيليا» في البداية إلى ضرورة التنكر بارتداء ملابس القرويين ، حتى لا تلتفت إليهما الأنظار بملابسهما الفخمة .. واقترحت « روزالند » أن تتنكر هي في زي شاب قروي .. وأن تتنكر «سيليا» في زي فتاة قروية .. وأن يدَّعيا أنهما أخ وأخته .. كما كان لابد أيضًا أن يغيرا اسميهما ..

وأطلقت « روزالند » على نفسها اسم « جاني ميد » وأطلقت «سيليا» على نفسها اسم « إلينا » .. وابتداء من الآن سنعرف ما حدث لهاتين الفتاتين الصديقتين باسميهما المستعارين ..

* * *

وبسبب طول الطريق وصعوبته .. حلَّ التعب والإرهاق بالأخوين القرويين «ميد» و«إلينا» .. واشتدت عليهما قرصة الجوع والحاجة إلى الطعام وإلى الراحة من عناء السفر .. واستلقى الاثنان على الأرض لا يستطيعان مواصلة السير ، بالرغم من أنهما قد أصبحا قريبين تمامًا من غابة «آردن» .

وحاول الأخ « ميد » أن يواسي أخته « إلينا » بكلمات مشجعة باعتبار أن « الرجل » هو المسئول عن تشجيع « المرأة » على تحمل المتاعب .. ومع ذلك فقد أحس الاثنان معًا أن من المحتمل أن تنتهي رحلتهما بنتيجة مفجعة ، أو ربما سيتعرضان إلى الموت جوعًا ..

ولكن سرعان ما لاح لهما أمل النجاة ، حين مرَّ عليهما رجل قروي عجوز .. فقال له « ميد » وهو يحاول تقليد خشونة صوت الرجال إنهما أخ وأخته .. جاءا معًا إلى غابة « آردن » .. ولكنهما الآن يبحثان عن مأوى وعن أي طعام .

وأفهمهما الرجل القروي العجوز بأنه يعمل خادمًا لدى أحد الرعاة .. وأن هذا الراعي له مأوى فقير داخل الغابة ويريد أن يبيعه .. وصحبهما الرجل إلى هناك حيث قوبلا بالترحاب وأكلا وشبعا واستراحا ..

وقام الأخوان « ميد » و« إلينا » بشراء هذا المأوى الفقير من الراعي ، كما اشتريا أيضًا أغنامه .. وطلبا من الرجل القروي العجوز أن يبقى معهما ليخدمها .

وهكذا بدأت حياة الفتاتين المتنكرتين في تلك الغابة .. ولم تنس «روزالند» (ميد) أن عليها أن تبحث عن المكان الذي يعيش فيه أبوها الدوق المخلوع ورفاقه داخل الغابة .. وما زالت تتمنى في قرارة نفسها أن تقابل حبيبها « أورلاندو » الذي وقعت في غرامه .. وهي لا تعلم حتى الآن أن « أورلاندو» يعيش في نفس الغابة .. وفي مكان قريب من مكانها كما سيتضح لنا من متابعة أحداث هذه القصة .

* * *

كان « لأورلاندو » حكاية غريبة .. كان هو الابن الأصغر « للسير رولاند دي بويز » كما عرفنا .. وكان له أخ أكبر اسمه « أوليفر » .. وكان شريرًا سيئ الخلق .. وقبل أن يموت الأب ، طلب من « أوليفر » أن يرعى أخاه .. ولكن « أوليفر » كان يكره أخاه « أورلاندو » كراهية شديدة .. وحوَّل حياته إلى كرب دائم .. وربما كان هذا هو السبب الذي دفع

«أورلاندو» إلى المجازفة بالدخول في مباراة المصارعة العنيفة لعله يموت على يدي خصمه وغريمه ، فتنتهي بذلك حياته غير السعيدة ..

ولكن « أورلاندو » انتصر في مباراة المصارعة بشجاعة فائقة وصلت أخبارها إلى أخيه « أوليفر » ، فازداد بالتالي غضبه عليه وازدادت كراهيته له .. وقرر أن يدبر جريمة لقتله والتخلص منه نهائيًا ، وذلك بإحراق حجرة «أورلاندو» بعد أن يخلد إلى النوم .

وكان هناك خادم عجوز اسمه « آدم » كان يحب « أورلاندو » ويعطف عليه .. وأسرع هذا الخادم المخلص بلقاء « أورلاندو » قبل أن يعود .. وأخبره بأمر الجريمة التي يدبرها له أخوه الشرير .. وطلب منه ألا يعود إلى قصر أخيه أبدًا .. وتوسل إليه أن يقبله كخادم مخلص يتولى خدمته في حياته الجديدة ..

تأثر «أورلاندو» كثيرًا بكلام هذا الخادم المخلص.. وقرر أن يبدأ حياته الجديدة داخل غابة « آردن » .. وتوجه «أورلاندو» وخادمه «آدم» إلى تلك الغابة ..

ولكن الطريق كان طويلاً وشاقًا .. وحل التعب والإرهاق بجسم الخادم العجوز الذي أخذ يتلوى من شدة الجوع .. وارتمى على الأرض غير قادر على الحركة ..

وأسرع « أورلاندو » بالبحث عن أي طعام في أي مكان قريب .. ولحسن حظه فقد وصل إلى نفس المكان الذي كان يعيش فيه الدوق المخلوع ورفاقه المخلصون .. وكان الجميع قد تهيأوا لتناول طعامهم جالسين على العشب تحت شجرة ضخمة وارفة الظل ..

* * *

وما إن شاهد « أورلاندو » كل هذا القدر من الطعام الطيب ، حتى استل سيفه وتقدم ليستولي على الطعام بالقوة .. ولكن الدوق المخلوع ورفاقه قابلوه بترحاب وكرم .. وطلبوا منه أن يقبل دعوتهم بتناول الطعام معهم إذا كان جائعًا .. واعتذر « أورلاندو » لهم عما بدر منه من شراسة.. وشرح لهم موقفه وموقف خادمه العجوز المخلص .. فطلبوا منه أيضًا أن يذهب لإحضار هذا الرجل الطيب .. وأسرع « أورلاندو » بحمل خادمه العجوز « آدم » حتى أحضره إلى تلك الوليمة الشهية .. فتناول الخادم طعامه واسترد عافيته وقواه ..

وبعد تناول الطعام سأل الدوق المخلوع « أورلاندو » عن اسمه .. وفوجئ الدوق بأنه ابن لصديقه المخلص « سير رولاند دي بويز » .. وعندما علم الدوق بحكاية « أورلاند » مع أخيه الشرير « أوليڤر » ، تذكر الدوق حكايته هو مع أخيه الشرير « فردريك » .. لذلك فقد تعاطف الدوق المخلوع مع « أورلاندو » ، وطلب منه أن يعيش معه ومع رفاقه في غابة « آردن » ..

* * *

وسعد « أورلاندو » بحياته الجديدة مع الدوق المخلوع ورفاقه في غابة «آردن» .. ولكنه لم يستطع أن ينسى حبه « لروزالند » الذي تمكن في قلبه.. فأخذ يكتب اسم حبيبته الغائبة على جذوع الأشجار في الغابة .. ويكتب تحت الاسم أشعارًا رقيقة كلها حب ووفاء للذكرى .. وعبَّر فيها عن أمله في اللقاء بحبيبته .

واندهشت « روزالند » المتخفية في هيئة الراعي « جاني ميد » ، حين رأت اسمها الحقيقي مكتوبًا هكذا على جذوع الأشجار .. وقالت « سيليا »

أو «إلينا» إن من الواضح أن « أورلاندو » يعيش معهما في الغابة نفسها .. وأنهما سيتقابلان معه قريبًا .

ولم يمر وقت طويل حتى تقابل الحبيبان فجأة .. وعرفته « روزالند » وسعدت كثيرًا حين شاهدت السلسلة التي أهدتها له معلَّقة بصدره ، ولكنها مع ذلك ظلت محتفظة بشخصية الراعي « جاني ميد » .. ولذلك فلم يتمكن «أورلاندو» من معرفة أنه كان يتحدث فعلاً مع حبيبته الغائبة .

واعترف «أورلاندو» بأنه يحب فتاة نبيلة طيبة اسمها «روزالند» ، وهي ابنة للدوق المخلوع الذي يعيش معه في الغابة .. وسعدت «روزالند» كثيرًا بقرب وصولها إلى أبيها والحياة معه .. ولكنها رغبت في أن تستمر قليلًا في لعبة التخفي .. وقالت « لأورلاندو » إنها قادرة على شفائه من حب «روزالند» .. وذلك إذا جاء كل يوم إلى الكوخ الفقير الذي تعيش هي فيه الآن باعتبارها الراعي « جاني ميد » وأخته الراعية « إلينا » ..

وبالرغم من أن « أورلاندو » قد تشكك كثيرًا في فائدة هذه اللعبة ، إلا أنه قَبِلَ الاشتراك فيها بعد أن لاحظ وجود شبه غريب بين ملامح هذا الراعي الشاب « ميد » وبين حبيبته الغائبة « روزالند » ..

* * *

وفي صباح أحد الأيام ، حين كان « أورلاندو » في طريقه إلى الكوخ الذي يعيش فيه « جاني ميد » .. شاهد رجلاً نائمًا على الأرض ، وعلى مقربة منه حية خضراء تسعى إليه لتلدغه .. فتقدم « أورلاندو » إلى الرجل النائم ، وهجم على الحية فهربت مسرعة إلى جحرها .. غير أنه لاحظ أيضًا أن هناك لبؤة تتربص هي الأخرى بالرجل النائم .. فشهر «أورلاندو» سيفه وهجم على اللبؤة وهجمت اللبؤة عليه .. ودار صراع عنيف انتهى بمقتل

الحيوان المفترس ، ولكن بعد أن نهشت اللبؤة ذراع « أورلاندو » فنزف دمًا غزيرًا ..

وأثناء ذلك الصراع الذي احتدم بين « أورلاندو » واللبؤة ، استيقظ الرجل النائم ، فإذا به « أوليفر » الأخ الأكبر « لأورلاندو » والذي كان قد جاء إلى الغابة قاصدًا قتله .. وعندئذ تبين « لأوليفر » أن «أورلاندو» كاد يضحي بحياته في سبيل إنقاذه من الحيوان المفترس .. فخرَّ « أوليفر » راكعًا على قدميه أمام أخيه الأصغر ، وأخذ يبكي بحرقة طالبًا منه الصفح عن جميع الأفعال السيئة التي ارتكبها في حقه .. وتصالح الأخوان في النهاية ..

غير أن إصابة «أورلاندو» جعلته ينزف دمًا كثيرًا .. وأصبح لا يقوى على الذهاب إلى « ميد » .. لذلك فقد طلب «أورلاندو» من أخيه أن يتوجه إلى الكوخ ليخبر « جاني ميد » بإصابته وباعتذاره عن الحضور .

وما إن وصل « أوليفر » إلى الكوخ حتى قابل « جاني ميد » وأخته «إلينا» .. وقصَّ عليهما كل حكايته مع أخيه الشجاع الذي أصيب لكي ينقذ حياته .. ومدح أخاه لكرمه في قبول اعتذاره عن جميع الآثام والسيئات التي ارتكبها ضده .

وبسبب صدق الحديث والكلمات الطيبة التي ذكرها « أوليفر » عن أخيه «أورلاندو» ، تعاطفت معه « إلينا » وتعاطف معها .. ونشأ بين الاثنين حب فجائي ولكنه حب صادق ..

وعندما عاد « أوليفر » إلى أخيه « أورلاندو » اعترف له على الفور بأنه قد وقع في حب « إلينا » أخت « جاني ميد » ويريد أن يتزوجها ، ويبقى معها في الغابة ليساعدها في رعي الأغنام ، وإنه سوف يتنازل لأخيه «أورلاندو» عن أرضه وبيته وكل ممتلكاته ..

وافق « أورلاندو » على رغبة أخيه في الزواج من « إلينا » راعية الأغنام، وأخبره بأن الزواج سيتم غدًا بعد أن يخبر الدوق المخلوع بأمر هذا الزواج .. وطار « أوليڤر » فرحًا إلى كوخ « إلينا » ليخبرها بموعد الزواج في اليوم التالي .

وفي هذه الأثناء كان « جاني ميد » قد وصل إلى «أورلاندو» ليطمئن على جرحه وليخبره في الوقت نفسه بأنه يبارك زواج « أوليڤر » من أخته .. وقال « جاني ميد » « لأورلاندو » إنه لو كان صادقًا في حبه « لروزالند » فإن زواجه بها يمكن أن يتم غدًا مع زواج أخيه من « إلينا » .. فاندهش «أورلاندو» من ذلك دهشة شديدة .. غير أن « جاني ميد » أخبره بأنه يجيد السحر وسيحضر إليه « روزالند » حبيبته الغائبة لكي يتزوجها ..

وفي اليوم التالي استعد الجميع للاحتفال بهذا الزواج- المزدوج .. وكاد الدوق المخلوع يطير فرحًا عندما كان ينتظر وصول ابنته الحبيبة «روزالند» لتتزوج من «أورلاندو» .. وكم كان الدوق يتمنى رؤية ابنته مرة أخرى.

وفجأة ظهرت « روزالند » و« سيليا » بشخصيتيهما الحقيقيتين وهما ترتديان ملابسهما الفاخرة التي كانتا يرتديانها حين هربتا من القصر .. وعلى الفور تقدمت «روزالند» من أبيها وخرَّت راكعة أمامه .. وطلبت منه أن يبارك زواجها من « أورلاندو » ..

وأثناء فرحة الجميع بهذه الأحداث السعيدة ، وصلت إلى الدوق المخلوع أخبار طيبة .. فقد رجع أخوه « فردريك » إلى الحق والصواب ، وانصرف إلى عبادة الله لاستغفاره عن خطاياه السابقة ، وأعاد الدوقية إلى صاحبها الشرعي .. وعاد السلام يملأ القلوب !

* * *

المؤلفون الذين ورد ذكرهم
في هذا الكتاب

سير هنري رايدر هاجارد SIR HENRY RIDER HAGGARD

* ولد في « برادنهام هول » بمدينة « نورفولك » بإنجلترا في 22 يونيو 1856م ، ومات في « لندن » في 14 مايو 1925م .

* عاش حياة حافلة بشتى المشاغل والهوايات .. فقد مارس مهنة المحاماة ، وتقلد وظائف حكومية مختلفة .. كما مارس حرفة الزراعة وألّف فيها كتبًا .. وعمل لفترة طويلة بالإدارة القانونية لإقليم « الترنسفال » بجنوب أفريقيا ، حين كان هذا الإقليم خاضعًا للاستعمار البريطاني .. ولذلك فلم يكن من الغريب أيضًا أن يؤلف كتابًا عن أساليب وتاريخ الاستعمار في قارة أفريقيا .

* يتميز أسلوبه بالخيال الخصب ، والقدرة الفائقة على نسج الأحداث المثيرة ، وخلق الشخصيات الروائية ذات الجاذبية الشديدة .. وإذا بدأ القارئ في قراءة السطور الأولي من أية رواية من رواياته الشهيرة ، فلا يستطيع أن يبعد عينيه عن السطور التالية، ولا يستطيع أن يؤجل القراءة إلى وقت آخر، أو يتوقف عند فصل معين .. ولا يملك إلا أن يواصل القراءة الممتعة حتى آخر كلمة ، مسحورًا بالأسلوب البسيط الآسر، وبالأحداث المتلاحقة المبهرة التي تأخذ بالألباب .

* وقد فطنت السينما العالمية إلى تلك الخاصية « الديناميكية » التي يتميز بها « الحدث » في أعمال هذا الأديب القدير ، فأخرجت معظم

رواياته في أفلام ضخمة حازت شهرة عالمية ، وما زالت تلقى نفس الرواج والإقبال الذي لاقته منذ إنتاجها للمرة الأولى منذ عشرات السنين .

* من أشهر رواياته التي يعرفها قراء الأدب وأحبابه في مختلف أنحاء العالم روايات : « الفجر » 1884 .. و« كنوز الملك سليمان » 1885 .. و«هي أو عائشة» و« نجمة الصباح» 1887 .. بالإضافة إلى رواياته وكتبه الأخرى الأقل شهرة مثل : « كيتويو وجيرانه البيض » 1882 .. و« إيرك برايتيس » 1883 .. و«ابنة مونتزوما» 1893 . و« شعب الضباب » 1894.. و«سوالو» 1898 .. و« ابن العاطفة » 1903 .. و« آلان العجوز » 1920 .

ومن أشهر مؤلفاته الزراعية والتاريخية والسياسية : « إنجلترا والزراعة » 1902 .. و« الدنمارك والزراعة » 1911 .. وكتاب « الفقير والأرض » .. وكتاب « أيام حياتي » الذي سجل فيه ذكرياته وتفاصيل حياته الحافلة . وقد صدر هذا الكتاب الأخير سنة 1926 ؛ أي بعد نحو عام من وفاته .

وقد منح لقب « سير » في عام 1925 تقديرًا لخدماته للإمبراطورية البريطانية .

* * *

وليم بلاي WILLIAM BLIGH

* ولد بمدينة «بلايموث» بإنجلترا عام 1754م .. وكات بإحدى ضواحي مدينة لندن عام 1817م.

* تركزت حياته كلها حول البحر ، حيث أصبح بحارًا وهو في سن السادسة عشرة .. وأصبح ضابطًا بحريًا تحت إمرة « الكابتن » المستكشف الإنجليزي الشهير « جيمس كوك » وهو في الثانية والعشرين من عمره .

* اشترك مع « كوك » في رحلاته البحرية الاستكشافية ، وعاونه في رسم وإعداد مجموعة من الخرائط لمناطق جنوب المحيط الهادي . وهي الخرائط التي ساهمت إلى حد كبير في نشر المعارف والمعلومات عن هذه المناطق في مختلف أنحاء العالم .

* في إحدى هذه الرحلات تم اكتشاف « ثمرة الخبز » Breadfruit التي تنبت بكثرة في جزر البحار الجنوبية ، وعلى الأخص في جزيرة «أوتاهايت» المعروفة الآن بجزيرة « تاهيتي » .

* خدم أيضًا بالسفن الحربية البريطانية .. ثم عُيِّن « قبطانًا » على السفينة «بونتي» وهي سفينة تجارية كُلِّفَت بالقيام برحلة بحرية إلى جزيرة «تاهيتي» للحصول على شتلات من « شجر الخبز » بقصد استزراعه في جزر الهند الغربية .

* وأثناء تلك الرحلة حدث عصيان خطير من بعض البحارة الذين استولوا على السفينة ، وأرغموه هو وثمانية عشر ضابطًا وبحارًا على النزول إلى البحر في قارب صغير مفتوح ، حيث واجهوا الموت مرارًا في رحلة مضنية خطرة امتدت نحو 3000 ميل (نحو 5560 كيلومترًا) .

* قام بوصف جميع المخاطر والتجارب المريرة التي عاناها في تلك الرحلة الطويلة ، ودوّنها في « دفتر مذكراته اليومية » وقام بنشرها سنة 1790م بعد عودته إلى إنجلترا .

* أخرجت هذه المذكرات في شكل الأعمال الأدبية ، وأثارت ضجة ، بين الذين أدانوه بسبب مواقفه وقراراته الوحشية المتعسفة ، التي أدت إلى حدوث العصيان على السفينة « بونتي » .. وبين الذين تعاطفوا معه في اتخاذه لتلك المواقف والقرارات .

* أبرأته المحكمة البحرية التي انعقدت لمحاكمته في لندن، وتمت ترقيته، وتم تعيينه قبطانًا على سفينة أخرى ، للتوجه مرة ثانية إلى جزيرة «تاهيتي» للحصول على شجر ثمار الخبز .

* واصل خدمته بعد ذلك في سفن الأسطول البريطاني ، وفي أواخر أيامه عين حاكمًا لاستراليا .

* * *

تشارلز ديكنز CHARLES DICKENS

* من أعظم الأدباء الإنجليز الذين اشتهروا عالميًّا ، ولد في منطقة بورتسي « وتسمى الآن بورتسماوث » في 7 فبراير 1812 ، ومات في جادس هيل بمقاطعة كِنْت في 9 يونيو 1870 .

* نشأ في أسرة فقيرة وكان ثاني ثمانية أبناء لوالديه . وكان أبوه يعمل بوظيفة كاتب بالبحرية ، ولا يكفي دخله من تلك الوظيفة لرعاية أسرته الكبيرة . وفي سن السادسة التحق تشارلس ديكنز بمدرسة صغيرة لفترة قصيرة ، ثم انتقلت أسرته إلى لندن ، حيث أخذ يتجول بين أحيائها وشوارعها الراقية والفقيرة ، وهي الأماكن التي وصفها في معظم قصصه ورواياته الأدبية ومقالاته الصحفية .

* عندما بلغ الثانية عشرة من عمره اشتغل في مصنع لدهان الأحذية، وعانى كل ما يعانيه أمثاله من الأطفال الإنجليز الفقراء .. وعاش طفولة بائسة بعد أن دخل أبوه إلى السجن لعجزه عن سداد ديونه .

* ونتيجة للمعاناة التي صادفها في حياته المبكرة ، فقد اهتم بإبراز الوجه المظلم الكئيب لحياة الفقراء في مدينة لندن خلال العصر الفكتوري .. وتناول هذا الموضوع في العديد من قصصه ورواياته ، الأمر الذي شكّل في النهاية دعوة متكاملة للإصلاح الاجتماعي للناس وللفقراء بصفة عامة،

وطالب بإزالة أحياء قديمة بأكملها لبناء أحياء جديدة بديلة تليق بكرامة الإنجليز كبشر .

* ورث أبوه ثروة صغيرة من أحد أقربائه ، فاستطاع أن يسدد ديونه ، وأن يلحق ابنه تشارلز بمدرسة راقية ، فأقبل على التعلم بنهم وظهرت بوادر عبقريته في كتابة بعض الحكايات والقصص القصيرة ، كان يقرؤها بنفسه على زملائه بالمدرسة . واستطاع تكوين فرقة مسرحية متواضعة لأنه كان يهوى التمثيل .

* وفي سن مبكرة عمل تشارلز ديكنز كمراسل صحفي لإحدى الجرائد ، بالإضافة إلى عمل آخر بمكتب أحد المحامين ، وقد وصف طبيعة أعمال المحامين والقضاة والمتقاضين ، كما وصف مباني المحاكم وقاعاتها ودهاليزها وصفًا مشوقًا ظهر في العديد من قصصه ورواياته التي كتبها فيما بعد .

* وفي سن الثانية والعشرين ، حصل على وظيفة ثابتة كمحرر ومراسل وكاتب تقارير صحفية في جريدة « ذا مورنينج كرونيكال » اليومية، فازدادت خبرته بالحياة وتعلم الكثير من أحوال الحياة وأحوال الناس في مختلف الطبقات والمستويات الاجتماعية .

* وفي عام 1833 نشر أول أعماله الأدبية الكبرى ، وهي رواية قصيرة بعنوان « الغداء تحت أشجار الحور » .. وقد أعاد صياغة هذه الرواية فيما بعد وغيّر عنوانها إلى « المستر مينز وابن عمه » . ونشر أيضًا كتابًا باسم «اسكتشات من تأليف بوز» . وفيما بين عامي 1836 و 1837 نشر حلقات مسلسلة لروايته الشهيرة « مذكرات بيكويك » .. وهي الرواية التي بلغ بها أوج الشهرة في طول إنجلترا وعرضها ، بل وقفزت بشهرته فوق الأطلنطي حتى وصلت إلى أمريكا .

* وتبنى فكرة الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي عن طريق العرض الأدبي لأحوال المجتمع الإنجليزي في مختلف طبقاته ، مع التركيز على الدعوة لإصلاح أحوال الفقراء وبسطاء الناس . ولشدة إيمانه بدوره كمصلح اجتماعي كتب العديد من القصص والروايات ، التي تدعو إلى التمسك بالقيم الإنسانية النبيلة ومكارم الأخلاق .

* قام بعدة رحلات إلى إيطاليا وسويسرا وفرنسا ، وكتب رواية على شكل حلقات مسلسلة بعنوان « دومبي وولده » ، انتقد فيها بعنف التقاليد التي كانت تقوم على أساس النعرات العائلية والافتخار بالانتساب إلى العائلات العريقة ، كما انتقد انكباب بعض الناس على عبادة المال وجمع الثروات .

* ومن أشهر أعماله الأدبية التي اشتهرت عالميًّا: رواية «دكان التحف القديمة » سنة 1840 .. و« مذكرات بيكويك » سنة 1836 .. و« نيكولاس نيكلباي » سنة 1838 .. و« اسكتشات عن جنتلمان صغير » سنة 1838.. و« اسكتشات عن الأزواج الشبان » سنة 1840 .. و« بارنابي رووج » سنة 1841 .. و« مذكرات أمريكية » سنة 1842 (سخر فيها من طريقة الحياة الأمريكية ومن الأخلاقيات والمؤسسات السياسية الأمريكية ومن تمسك الأمريكيين بتطبيق نظام العبيد) .. ورواية « أنشودة عيد الميلاد » سنة 1843 .. و« موسيقى الأجراس » سنة 1844 .. و« معركة الحياة » سنة 1846 ، ومسلسلة « صور من إيطاليا » سنة 1845 .. وروايته الشهيرة «أوليفر تويست» سنة 1839 (التي كشف فيها الأساليب الإجرامية التي يقع في حبائلها العديد من الأطفال الصغار المشردين ، كما انتقد فيها أساليب القسوة والمعاملة السيئة والأحوال غير الإنسانية في الملاجئ

والإصلاحات والمؤسسات التي كانت تسمى مؤسسات خيرية) .. ورواية « دافيد كوبر فيلد » سنة 1850 (التي تعتبر نوعًا من التاريخ أو السيرة الذاتية لحياته ، وكيف عبر بجهوده الشخصية تلك القنطرة الصعبة التي تفصل بين خمول الذكر والشهرة الواسعة ، وقد اعتبرها نقاد الأدب ومؤرخوه علامة ساطعة على الدرجة الرفيعة التي بلغها تشارلز ديكنز في الأدب الإنجليزي) .. أما رواية « حكاية مدينتين » فتدور أحداثها في كل من لندن وباريس ويصف فيها الأحوال البائسة التي كان يعيش فيها الشعب الفرنسي ، الذي قام بالثورة لإصلاح تلك الأحوال والانتقام من طبقة الأرستقراطيين والنبلاء .

* ومات تشارلز ديكنز وهو يكتب الفصل السادس من روايته الأخيرة التي لم تكتمل « سر إدوين درود » .. ودفن مع عظماء الإنجليز في وستمنستر إبي .

* * *

هـ . ج . ويلز H. G. WELLS

* ولد في بروملي بمقاطعة كِنْت بإنجلترا في 21 سبتمبر 1866 .. ومات في لندن في 13 أغسطس 1946 . واسمه بالكامل « هربرت جورج ويلز Herbert George Wells » .

نشأ في أسرة فقيرة رقيقة الحال ، ولم يستطع أن يكمل تعليمه في فترة الصبا ، واضطر وهو في الرابعة عشرة من عمره أن يعمل صبيًّا في متجر لبيع الأقمشة .. ثم عمل مدرسًا غير مؤهل في مدرسة صغيرة بإحدى القرى .

ونظرًا لرجاحة عقله وولعه بالقراءة ورغبته في التعلّم ، فقد ظل يكافح حتى حصل على منحة دراسية ساعدته على الالتحاق بالجامعة في لندن لدراسة العلوم ، وقضى في تلك الدراسة ثلاث سنوات ، ولكنه لم يوفق في الحصول على الشهادة الجامعية .. ومع ذلك فقد أشعلت هذه الدراسة قدرته على الخيال العلمي ، وبلورت موهبته الأدبية ، وأنضجت ثقافته وقدراته التعبيرية ، وكانت مصدر إلهام مباشر لمعظم الروايات التي كتبها فيما بعد .. وظل مثابرًا على الدراسة العلمية ، حتى استطاع في النهاية الحصول على شهادته الجامعية عن طريق الانتساب .

* أصيب منذ صباه بمرض صدري جعله هزيل الجسم ويعاني من المتاعب الصحية .. وتزوج في بداية شبابه بسيدة من طبقته الاجتماعية

المتواضعة ، وكان زواجًا غير موفق ، أضاف إلى حياته متاعب أخرى ، إلى أن استطاع أن يتخلص من هذا الزواج الفاشل .. ثم تزوج مرة أخرى من فتاة شابة أصبحت أمًّا لاثنين من أبنائه .

* اشتغل بمهنة الصحافة ، وحقق فيها نجاحًا كبيرًا بسبب طلاوة أسلوبه الذي يتميز بالعمق والطرافة والجاذبية الشديدة .. كما كتب كثيرًا من القصص القصيرة التي تميزت بالجدة في أسلوب العرض والبراعة في اختيار الموضوع .

* ذاعت شهرته عندما كتب رواية « آلة الزمن » Time Machine وهي من أدب الخيال العلمي ، وحققت له شهرة عريضة ، جعلته بحق من الرواد الأوائل لهذا النوع من الأعمال الأدبية في الأدب الإنجليزي .

* وكان النجاح الذي حققه في كتابة أدب الخيال العلمي حافزًا له على ترك مهنة الصحافة ، وانتقل إلى الريف ليعيش حياة هادئة مثمرة ، تفرغ فيها لفن الكتابة الأدبية والعلمية والاجتماعية والتاريخية .

ومن أشهر هذه الأعمال :

- الزيارة العجيبة The Wonderful Visit : كتبها سنة 1895 .
- جزيرة الدكتور مورو The Island of Doctor Moreau : سنة 1896 .
- الرجل الخفي The Invisible Man : سنة 1897 .
- حرب العوالم The War of The Worlds : سنة 1898 .
- الحب ومستر لويشام Love and Mr, Lewisham : سنة 1900 .
- أول رجال على سطح القمر The First Men In the Moon : سنة 1901 .

- طعام الآلهة The Food of the Gods : سنة 1904 .
- كيبس – قصة روح بسيطة Kipps- The Story of Simple Soul : سنة 1905 .
- الحرب في الهواء The War in The Air : سنة 1908 .
- آن فيرونيكا Ann Veronica : سنة 1909 .
- تاريخ مستر بوللي The History of Mr Polly : سنة 1910 .
- ماكيا فيللي الجديد The New Machia Velli : سنة 1911 .
- الزواج Marriage : سنة 1912 .
- زوجة سير إسحاق هارمان The Wife of Sir Isac Harman : سنة 1914 .
- روح المطران The Soul of A Bishop : سنة 1917 .
- جوان وبيتر Joan and Peter : سنة 1918 .
- شكل الأشياء القديمة The Shape of Things to Come : سنة 1933.
- لاعب الكروكيت Croquet Player : سنة 1936 .
- الأخوة The Brothers : سنة 1937 .
- الرعب المقدس The Holy Terror : سنة 1939 .
- وكتابه العظيم الشهير : موجز تاريخ العالم : سنة 1920 .
- بالإضافة إلى عديد من الروايات والقصص القصيرة الأخرى ، وكثير من المقالات والدراسات في التاريخ والاجتماع .

* * *

مارك توين Mark Twain

* ولد عام 1835م في مدينة « هانيبال » بولاية « ميسوري » التي تقع على نهر المسيسبي بالولايات المتحدة الأمريكية .. ومات عام 1910م .

* اسم « مارك توين » هو اسم مستعار ، ومعناه الحرفي «العلامة الثانية» باللهجة الشعبية ، التي كان يستخدمها بحارة السفن الذين يعملون في نهر المسيسبي . وقد بدأ استخدام هذا الاسم المستعار في بداية عمله بالكتابة الصحفية ، ثم استخدمه بعد ذلك في جميع قصصه ورواياته ومحاضراته وكتبه الأدبية .

أما اسمه الحقيقي فهو : صمويل لانجهورن كليمنس Samuel Langhorne Clemens .

* سخّر « مارك توين » قلمه في انتقاد الظلم السيأسى أو الاجتماعي .. فَسَخرَ بالاستعمار العالمي الذي كان يمتص دماء الشعوب (الأفريقية على وجه الخصوص) المغلوبة على أمرها .. كما حارب بكل قوة تجارة العبيد التي كانت منتشرة في أيامه .

* تعتبر حياته الشخصية نموذجًا فريدًا في إثبات قدرة الإنسان على تحقيق الطموح ورفعة الشأن ، مهما واجهته من صعاب ومتاعب ومعوقات.. فقد عاش في طفولته حياة فقيرة إلى حد البؤس ، واضطر إلى الانقطاع عن الدراسة والالتحاق بمختلف أنواع الأعمال الشاقة حتى

يتكسب شيئًا يقيم أوده ويساعد أسرته .. فاشتغل : بائع صحف ، وكاتبًا في محل بقال ، وصبيًا لحدّاد ، وخادمًا في صيدلية ، وصبيًا في مطبعة ، وعاملاً في جمع الحروف ، ثم بحارًا على إحدى السفن العاملة في نهر المسيسبي ، ثم عاملاً في المناجم .. ثم انتهي به الأمر أخيرًا ليصبح صحفيًا وأديبًا من أعظم الأدباء الذين ظهروا في أمريكا .

* بدأت شهرته الأدبية الواسعة بمجرد نشره لقصة اسمها « الضفدع القافز الشهير من مقاطعة كلافراس » كتبها عام 1865 ، فأقبل الناس على قراءتها بشغف كبير منحه الشهرة في طول أمريكا وعرضها .

* وفي عام 1880 كتب رواية شهيرة أخرى اسمها « الأمير والفقير » .. ثم كتب رواية « أمريكي من كونكتيكت في بلاط الملك آرثر » في سنة 1889 .. ثم كتب « الرجل الذي أفسد هيدلبرج » في سنة 1899 .. و«من هو الإنسان» في سنة 1906 .

* كما كتب الكثير من مقالات وكتب أدب الرحلات ، لعل أشهرها كتاب «الأبرياء في الخارج» سنة 1869 الذي اعتبر من أوسع الكتب نجاحًا وانتشارًا في عصره .. وكتاب « متسوِّل في الخارج » سنة 1879 .. وكتاب «الحياة في نهر المسيسبي» سنة 1883 .

أما رواية « مغامرات توم سوير » التي كتبها سنة 1876 .. ورواية «مغامرات هَكِلْبِري فِينْ» التي كتبها سنة 1884 فتعتبران من أروع وأعظم أعماله الأدبية .. ففي كل من هاتين الروايتين سجل « مارك توين » ذكريات طفولته والحياة الشقية التي عاناها .. وبالرغم من مرور أكثر من مائة عام على ظهورهما، فما زالت هاتان الروايتان تعتبران من أشهر الروايات الأدبية التي انتشرت في جميع أنحاء العالم ، وتُرْجِمَتَا إلى أكثر من خمسين لغة ، وطُبِعَتَا

عشرات المرات ، وما زالتا حتى الآن محل إقبال القراء للتمتع بكل ما فيها من خيال خصب ، ونقد ساخر ، ومواقف مضحكة ، وحكمة وفلسفة ومشاعر إنسانية صادقة .. كما ظهرت كل رواية منهما في فيلم سينمائي شهير.

* وبالرغم من سخريته وخفة ظله وقدرته الفائقة على إدخال السرور إلى قلوب قرائه ومستمعي محاضراته الفكاهية الساخرة ، فقد تعرض في حياته إلى الكثير من المحن والنكبات المالية والأحزان النفسية .. لدرجة أنه فقد ثروته كلها وأصبح معدمًا تمامًا، بل ومدينًا بمبالغ طائلة في سنة 1893، بسبب إنفاق أمواله في تشجيع وكشف الاختراعات الحديثة في فن الطباعة، وبسبب المضاربات المالية الفاشلة التي قامت بها إحدى دور النشر التي كان شريكًا في ملكيتها .. ومع ذلك فقد ظل يكافح حتى تمكن من تسديد ديونه الطائلة ، وعاود النجاح من جديد .

* وعاش السنوات الأخيرة من حياته في حزن دائم ، بعد موت زوجته وبناته واحدة بعد أخرى .

* * *

جين أوستِن JANE AUSTEN

* ولدت في هامبشير بإنجلترا في 16 ديسمبر 1775م .. وماتت في 18 يوليو 1817م .. وكان أبوها قسيسًا .

* عاشت معظم سنوات حياتها في تلك القرية النائية الهادئة حيث توجد الكنيسة التي كان يعمل بها أبوها .

* بدأت هواية الكتابة في سن مبكرة .. وظهرت كتاباتها الأولى وهي لم تزل في الثالثة عشرة من عمرها .. وتنوعت كتاباتها في تلك المرحلة ومرحلة شبابها ، فتضمنت كثيرًا من القصص والروايات القصيرة ، والمسرحيات القصيرة ، وكثيرًا من الأعمال الأدبية الأخرى نثرًا وشعرًا .

* وبدءًا من سنة 1811م ذاعت شهرتها بروايتها العظيمة « العقل والعاطفة » Sense and Sensibility .

* ومن أعمالها الروائية الأخرى التي حازت شهرة واسعة ، رواية «كبرياء وتحامل» Pride and Prejudice التي ظهرت عام 1813 . ورواية «مانسفيلد بارك» Mansfield Park التي ظهرت عام 1814 .

ورواية « إمّا » Emma التي ظهرت عام 1815 .

* اعتبرها كثيرون من نقاد ومؤرخي الأدب واحدة من أعظم كتّاب الرواية في الأدب الإنجليزي .

* تتميز رواياتها بتصوير الحياة اليومية للناس العاديين من الطبقة الوسطى مع التركيز على مظاهر الحياة العائلية وعلاقات الحب والزواج .. كما تتميز بقدرة فائقة على تصوير المشاهد الاجتماعية وتحليل طباع الشخصيات ، بالإضافة إلى روح الدعابة والسخرية الخفيفة بأسلوب سهل بسيط .

* * *

وليم شيكسبير WILLIAM SHAKESPEARE

* من أعظم الأدباء والشعراء وكتّاب المسرح الإنجليز ، تم تعميده كطفل في 26 أبريل 1564 بكنيسة البلدة التي ولد فيها وهي « ستراتفورد أبون آفون » بإنجلترا .. ومات بنفس البلدة في 23 أبريل 1616 .

* كان أبوه قد نزح إلى تلك البلدة قادمًا من قرية سنترفيلد سعيًا وراء الرزق حيث مارس العمل في الزراعة وعاش حياة بسيطة وفقيرة .

* التحق وليم شيكسبير بالمدرسة الابتدائية بالقرية حيث درس مبادئ اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسية ، وهي الدراسة التي مكّنته فيما بعد من التعمق في قراءة كتب التاريخ والأدب الكلاسيكي .

* ولم يتمكن من مواصلة دراسته بسبب اضطراره إلى العمل لمساعدة والده . وعندما بلغ سن الثامنة عشرة تزوج من فتاة قروية من نفس البلدة، وهي « آن هاثاواي » التي أنجبت له ابنته سوزانا وتوأمين هما هَامْنِتْ وجوديث .

* ولأنه كان يهوى التمثيل بالإضافة إلى كتابة الشعر فقد انتقل إلى لندن سنة 1584 حيث التحق بأشهر الفرق المسرحية وكتب بعض المسرحيات ونشر أول أعماله الشعرية « فينوس وأدونيس » عام 1593 ، وحقق نجاحًا كبيرًا واستطاع أن يسدد جميع ديونه ويتمتع بفائض يمكنه من الارتفاع بمستوى حياته .

* بعد النجاح الذي حققه في لندن عاد إلى بلدته الريفية « ستراتفورد أبون آفون » وواصل تأليف القصائد الشعرية (حيث اعتبره نقاد ومؤرخو الأدب الشاعر القومي للإنجليز) .. كما واصل كتابة المسرحيات الكوميدية والتاريخية والتراجيدية « المأساوية » التي تظهر فيها عبقريته وقدرته الأدبية الفائقة على تحليل النفس البشرية والتصرفات والمواقف الإنسانية ، وقدرته المتميزة على الموازنة بين المواقف الضاحكة والمواقف المأساوية المحزنة في حياة البشر .

* ترجع أولى المسرحيات التي كتبها إلى فترة التسعينيات من القرن السادس عشر ، بدءًا بالمسرحيات الكوميدية مثل « ترويض الشرسة » التي كتبها سنة 1593 / 1594 والمسرحيات التاريخية التي يتناول فيها حياة بعض الملوك الإنجليز مثل مسرحية « هنري السادس » التي كتبها سنة 1592 .. ومسرحية «ريتشارد الثالث» سنة 1592 / 1593 .. والمسرحيات التراجيدية مثل « روميو وجولييت » سنة 1594 / 1595 .. وتدل هذه المسرحيات التي كتبها شيكسبير في بداية حياته الأدبية على تمكنه من القدرة على تطويع اللغة الإنجليزية للتعبير بها عن الأحداث والشخصيات في ضوء المنهج الذي ابتدعه في التعبير الدرامي .

* أما المسرحيات والأعمال الدرامية التي كتبها شيكسبير في المرحلة الوسطى من حياته الأدبية ، فبعضها من الأعمال الكوميدية وبعضها الآخر من الأعمال التاريخية التي تناول فيها موقف أبطاله من الملوك الإنجليز والشخصيات الكبرى من غير الإنجليز ومن الأحداث التاريخية التي عاصروها . وأهم هذه المسرحيات «تاجر البندقية» التي كتبها سنة 1596/ 1597 .. ومسرحية « ضجيج بلا مبرر » سنة 1598 / 1599 .. ومسرحية

« هنري الرابع » سنة 1598 / 1599 .. ومسرحية « يوليوس قيصر » سنة 1599 / 1600 .

* ومع بداية القرن السابع عشر ، كتب شيكسبير أعظم مسرحياته التراجيدية مثل مسرحية « هاملت » التي كتبها سنة 1600 / 1601 .. ومسرحية « عطيل » سنة 1604 / 1605 .. ومسرحية « الملك لير » سنة 1605 / 1606 .. ومسرحية « ماكبث » سنة 1605 / 1606 .

* أما المسرحيات التي كتبها في المرحلة الأخيرة من حياته الأدبية فتتنوع ما بين الأعمال الرومانسية والكوميدية والمأساوية مثل مسرحية « حكاية شتاء » التي كتبها سنة 1610 / 1611 .. ومسرحية « العاصفة » سنة 1611 /1612 .

* وما زالت أعمال شيكسبير تحوز إعجاب الناس في معظم أنحاء العالم، وترجمت إلى عشرات من اللغات ، وما زالت تلقى هذا القبول والنجاح حتى الآن ، سواء بنشرها ككتب مقروءة أو بتقديمها على خشبة المسرح الدرامي والغنائي والراقص « الباليه » أو بإخراجها في أفلام سينمائية ذات شهرة عالمية .

* * *

صدر من هذه السلسلة